



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

حضرموت الثقافية

ربيع الآخر ١٤٤٠ هـ - December - 2018 Hadhramaut AL-Thaqafiah Magazine

مجلة فصلية - السنة الثانية العدد (10)

وهج القصائد

على تتواطئ اللغة

بحضرموت في وثائق

الإرثيف العثماني

مقابلة مع روبرت بيرترام سيرجانت

مكاتبة الفقيه القاضي

عمر بن عثمان باعثمان لأهل المكلا

رائد الملاحة العربية في القرن التاسع عشر سعيد باطايح وعيسى القطامي

ملف العدد: المظاهر العسكرية التقليدية بحضرموت



من أعلام حضرموت



المؤرخ الأستاذ / سعيد عوض باوزير

محتويات العدد

حديث البداية

- 4 • استراتيجيات المجلة رئيس التحرير

أصوات

- مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى الفادرة..
9 مكاتبة الفقيه القاضي عمر بن عثمان بإعتمان لأهل المكلا محسن علوي باعلوي
12 • حضرموت في وثائق الإرشيف العثماني د. خالد حسن الجوهي
15 • تعري رؤية الهلال في وادي دوعن صالح باحيدرة

دراسات

- الصلات التجارية بين حضرموت والهند أ.د. محمد بن هادي باوزير... 17
• لهجة حضرموت محمد عوض محروس ... 22
• من ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الحضرمي د. محمد يسلم عبدالنور... 28
• رalda الملاحة العربية في القرن التاسع عشر.. سعيد باطايح وعيسى القطامي ... محمد علوي باهارون... 36

نقد

- وهج القصائد على شواطي اللغة أ.د. عبدالله حسين البار... 43
• المقاربات السردية لأدب الرحلة في النقد العربي أ.د. مسعود سعيد عمشوش... 53
• سحر الموضوع وقضايا المسرح الإنجليزي
• قراءة في كتاب (في الأدب المسرحي) للدكتور عبدالله عبدالرحمن بكير د. طه حسين الحضرمي... 56
• النواة والشجرة.. قراءة في الصلة الفنية بالثراث.. أغنية بلقيث (نسًا يا قتيبي) مثالاً... د. أحمد سعيد عبيدون... 60

ملف العدد

- أبو قتيلة.. سلاح ناري غير موازين القوى بحضرموت د. محمد صالح بلعشير... 64
• السلاح والقيم، والسلاح والفزل.. قراءة ثقافية في بعض دلالات الشعر العامي الحضرمي... د. عبدالقادر علي باعيسى... 70
• ألقاف خاصة بالجنتية الحضرمية رياض باكرموم... 75
• التحصينات العسكرية في حضنة ووادي حضرموت.. عمارة القرف والطين... أحمد صالح الرباكي... 80

حوار

- مقابلة مع روبرت بيرترام سيجانت د. أبو بكر محسن الحامد... 93

شخصيات

- محطات مضيئة من حياة الشيخ الجليل القاضي عبدالرحمن بكير... عبدالعزيز محمد يامحسون... 96
• محمد بن ثعلب.. وعمر في حمل الهم التربوي عمر عوض باهي... 100

كتابات

- زع دَم حَا د. سعيد سالم الجبري... 103
• وثيقة الشعر التاريخية منير بن سالم بازهير... 104

إبداع

- عاندة (سرد) مسعود علي الثعلبي... 106
• أصوات (سرد) صالح باعامر... 107

توقيع قلم

- قتيبنوا أ.د. عبدالله سعيد الجعدي... 108

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الثانية العدد (10)

أكتوبر - ديسمبر 2018م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ.د. عبدالله سعيد بن جبار الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

الصور

م. عبدالله جمال بن عبدالعزيز

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار
أ. د. عبدالله صالح بابعير
أ. د. ناجي جعفر الكثيري
أ. د. مسعود سعيد عمشوش
أ.د. خالد يسلم بلخشر
د. طه حسين الحضرمي
د. أحمد سعيد عبيدون
د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق شروط فنية إخراجية.

المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تمسكها للنشر، سواء نُشرت أو لم تُنشر. ولا تقترن بنشر المقالات بالمرسلة آتيا بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baasah-1@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

الطابع: المكلا حي الفقيه (مبنى بشاريف سابقاً) ت ٩١١٦٩

محتويات العدد

حديث البداية

- استراتيجية المجلة رئيس التحرير 4

أصا

- مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى النادرة..
- مكاتبة الفقيه القاضي عمر بن عثمان باعثمان لأهل المكلا محسن علوي باعلوي 9
- حضرموت في وثائق الإريشيف العثماني د. خالد حسن الجوهي 12
- تحري رؤية الهلال في وادي دوعن صالح باحيدرة 15

دراسات

- الصلات التجارية بين حضرموت والهند أ.د. محمد بن هاوي باوزير 17
- لهجة حضرموت محمد عوض محروس ... 22
- من ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الحضرمي د. محمد يسلم عبدالنور ... 28
- راندا الملاحه العربية في القرن التاسع عشر.. سعيد باطايح وعيسى القطامي ... محمد علوي باهارون... 36

نقد

- وهج القصائد على شواطئ اللغة آ. د. عبدالله حسين البار 43
- المقاربات السردية لأدب الرحلة في النقد العربي أ.د. مسعود سعيد عمشوش... 53
- سحر الموضوع وقضايا المسرح الإنجليزي
- قراءة في كتاب (في الأدب المسرحي) للدكتور عبدالله عبدالرحمن بكير د. طه حسين الحضرمي 56
- النواة والشجرة.. قراءة في الصلة الفنية بالتراث.. أغنية بلقيته (تسلًا يا قليبي) مثالًا... د. أحمد سعيد عبيدون... 60

ملف العدد

- أبو فتيلة.. سلاح ناري غير موازين القوى بحضرموت..... د. محمد صالح بلعفير..... 64
- السلاح والقيم، والسلاح والفزل.. قراءة ثقافية في بعض دلالات الشعر العامي الحضرمي... د. عبدالقادر علي باعيسى... 70
- ألفاظ خاصة بالجانبية الحضرمية رياض باكرموم... 75
- التحصينات العسكرية في هضبة وادي حضرموت.. عمارة القرف والطين.....أحمد صالح الرباكي..... 80

حوار

- مقابلة مع روبرت بيرترام سيرجانت..... د. أبو بكر محسن الحامد... 93

تخصيات

- محطات مضيئة من حياة الشيخ الجليل القاضي عبدالرحمن بكير..... عبدالعزيز محمد بامحسون..... 96
- محمد بن ثعلب.. وعمر في حمل الهم التربوي عمر عوض باني... 100

كتابات

- رَع دُم حَا د. سعيد سالم الجبري... 103
- وظيفة الشعر التاريخية منير بن سالم بازهير .. 104

إبداع

- عائدة (سرد) مسعود علي الغتيني... 106
- أصوات (سرد) صالح باعامر... 107

توقيع قلم

- فتبينوا أ.د. عبدالله سعيد الجعدي... 108

حضر موت الثقافي

مجلة فصلية

السنة الثانية العدد (10)

أكتوبر - ديسمبر 2018م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جَسَّار الجعدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

سكرتير التحرير

أنور سالم باكركر

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

الصور

م.عبدالله جمال بن عبدالعزيز

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنية إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تتنزه بنشر المقالات المرسل إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

Baesa-١@hotmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

العنوان : المكلا - حي الشهيد - (مهد بأشرف سابقاً) - تـ ٢٥٠١٢٥

استراتيجية المجلة

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م

سعت مجلة (حضر موت الثقافية) الصادرة عن مركز حضر موت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر منذ تأسيسها إلى أن تكون مجلة مختلفة نوعياً عن غيرها من المجلات بغية التفاعل مع القراء بصورة مختلفة بما يثريهم ويثري المجلة في وقت معاً، فهي ليست مجلة التاريخ السياسي فحسب، وإنما مجلة التاريخ الثقافي، والتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الفني، والتاريخ الصحفي... وهي إلى ذلك مجلة تستوعب خطابات متعددة ذات طبيعة إبداعية وفنية ونقدية مما يعين على النظر في الوضع الثقافي العام لإنسان هذا البلد، والإنسان عموماً، من زوايا مختلفة، ومحاولة تجاوز بعض المسلمات التقليدية أو إعادة النظر فيها بصيغة موضوعية بعيداً عن الإساءة والمحاكمة، فبمقدار ما يهمننا في هذه المجلة تناول التاريخ بوصفه أحداثاً ووقائع متحركة في الزمن يهمننا تناول القضايا التي حركته من الداخل، والقضايا التي نتجت عنه.

د. عبد القادر علي باعيسى
رئيس التحرير



إننا غالباً ما نتحدث عن فترة انقطاع كبيرة حدثت في تاريخ حضر موت تشمل الخمسة القرون الهجرية الأولى، ونسى أن هناك فترات انقطاع أخرى لا تتحدد بالضرورة بالمعنى الزمني وإنما بالانغلاق في الحراك المعرفي والنقدي الذي يناقش التاريخ مما يدخل أساساً في تاريخ تكوين العقل لدينا الذي هو بحاجة إلى كثير من التأصيل والكشف بدليل ما نتج عنه من نشاط تجاري وديني واجتماعي وقضائي عرف به الحضارة، فلا نستطيع أن نتحدث عن زمننا وحده منفصلاً عن الأزمان السابقة عليه، ولذا فمن المهم أن نبحث في أثر كل زمن سابق في تشكيلنا الآن سلباً وإيجاباً، وإلا ما معنى الكتابة التاريخية إذن؟ هل معناها أن نعرف ما أنجزه الأقدمون من أسلافنا؟ هذا شيء مهم، لكن الأهم أن نعرف كيف يتحرك ذلك الإنجاز فينا؟ وكيف تشكل؟ وكيف نتشكل نحن به؟ وكيف يمكننا أن نصير مستقبلاً؟.



إن حركة التاريخ لا تنقل التجارب الزمنية إلينا بصورة آلية وإنما عبر تعقيدات دقيقة مر بها الواقع التاريخي نفسه لا يمكن إدراكها بكل تفاصيلها إلا إذا استطعنا الوصول إلى معرفة كل شيء حدث في التاريخ بدقائقه، وهذا محض المحال فواقع التجربة الحقيقية لما حدث لا تنقله كل الكتابات التاريخية، ذلك لأنه لا يمكن تدوين كل شيء في حركة المجتمع والأحداث والسياسة والبيئة، ولذا تظل عملية الكتابة والتحليل عملية مقارنة لا غير، وهذا الذي نقرؤه مكتوباً من التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي لا يعدو كونه سطوراً محدودة من آلاف السطور التي لم تكتب في ديمومة التاريخ، فلا تعني القراءة التاريخية مهما بلغت من الحصافة والسعة وصولها إلى نقطة الحقيقة التي لا مزيد عليها.

فضلاً عن أن التاريخ نفسه لا يمضي على نسق واحد، فقد يكون في بعض مراحل منسجماً مع نفسه وعمل التدوين التاريخي على تشويشه وإرباكه، وقد يكون التاريخ مرتبكاً وعمل التدوين التاريخي في نسقه العام أو الخاص على صناعة الانتظام فيه بصورة من الصور، مادامت الكتابة هي في الأساس عملية تركيب تتضمن الحذف والإضافة والتحوير والتدليس... إلخ، وما زالت بنية الكتابة التاريخية المعروفة لدينا في حضر موت تدخل في تشكيلها النزعة الذاتية الشخصية إلا ما ندر، ومن هذا المنطلق فهي بحاجة إلى كثير من التفكيك وإعادة القراءة مما يمنع تاريخنا أن يكون مغلقاً يبارس سلطة خفية علينا من حيث لا نشعر.

ومع أن مجلة (حضر موت الثقافية) لم تمثل إلى الآن الطموح الذي نرغب فيه، في مامت الإشارة إليه سلفاً، فإنها قد فتحت الطريق إليه، ولو بصورة جزئية وما زال الطريق أمامنا طويلاً.



ندوة المظاهر الحضارية العسكرية التقليدية في حضرموت

شباب حضرموت وموضحاً الدور الذي يجب أن تلعبه كل مؤسسات حضرموت وشبابها ونخبها في تطوير حضرموت وأن حضرموت ستظل شامخة رغم كل المعوقات .

بعد ذلك ألقى الشاعر الشاب المبدع أسامة بلسود قصيدة شعرية بهذه المناسبة نالت استحسان الجميع . ثم استعرضت بعد ذلك عناوين البحوث والدراسات الخاصة بالندوة .



هذا وقد اختتمت الندوة بحضور الأستاذ الدكتور عبد الله سعيد الجعدي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر والأستاذ أحمد بن دويس مدير عام مكتب وزارة الثقافة بواحي حضرموت والدكاترة المشاركين والأساتذة خالد عمر باجنود وفهيم بن كدة ممثلي السلطة المحلية.

وقد ألقى الدكتور عبدالقادر علي باعيسى كلمة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر عبر من خلالها عن تقديره لجميع المشاركين من الأساتذة الدكاترة والباحثين والمتداعلين والحضور ودورهم في إثراء هذه الندوة بالأوراق البحثية العلمية والتاريخية الهامة

عبد الله بن علي جابر مدير عام مديرية شبام وعدد من ضيوف مدينة شبام من الدكاترة والباحثين الأكاديميين من مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وجامعتي عدن وحضرموت والمراكز العلمية. هذا وقد بدأت الندوة بأي من القرآن الكريم تلاوة القارئ مروان هويدي. بعد ذلك ألقى الأستاذ الدكتور عبد الله سعيد الجعدي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر كلمة موضحاً فيها القيمة العلمية الكبيرة لهذه الندوة ومعطياً صورة موجزة عن نشاط مركز حضرموت للدراسات.

بعد ذلك ألقى الأستاذ عصام حبريش الكثيري كلمة رحب فيها بالحاضرين جميعاً من حضرموت وضيوفها في مدينة التاريخ والحضارة

برعاية اللواء الركن فرج سالمين البحسني محافظ محافظة حضرموت قائد المنطقة العسكرية الثانية والأستاذ عصام حبريش الكثيري وكيل المحافظ لشؤون الوادي والصحراء نظم مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ندوة علمية بعنوان (المظاهر الحضارية العسكرية التقليدية في حضرموت) يومي السبت والأحد الموافق ٢٧-٢٨ أكتوبر ٢٠١٨م بمدينة شبام - حضرموت.

وقد صاحب الندوة عدد من الفعاليات الفنية والتراثية نظمتها المؤسسات الرسمية والشعبية بمدينة شبام.

هذا وقد افتتحت الندوة بحضور الأستاذ عصام بن حبريش الكثيري وكيل محافظة حضرموت للوادي والصحراء والمهندس هشام السعيد الوكيل المساعد والأستاذ عبدالوهاب





7

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م



هذا وعلى هامش الفعاليات المصاحبة لانعقاد الندوة قام المشاركون عصرًا بزيارة إحدى القلاع الواقعة على جبل الخبة بسحيل شبام المواجه للمدينة، بعد ذلك تم التوجه إلى ساحة بانديب بالمدينة بحضور المدير العام لمديرية شبام الأستاذ عبد الوهاب عبد الله بن علي جابر لحضور احتفالات أطفال شبام وأهاليهم المختلفة وترحيبهم بالضيوف المشاركين بالندوة العلمية بمدينة شبام وقد شارك الضيوف من الأساتذة والدكاترة والباحثين الأطفال فرحتهم من خلال ترديد تلك الأهازيج والرقص معهم في منظر فرائحي بديع.

خلال ترميم حصن واحد في كل منطقة نظرا لكثرتها في حضرموت. ٣. عقد المزيد من الندوات والمؤتمرات العلمية المتعلقة بتوضيح الإرث الحضاري لحضرموت وتوثيقها. ٤. التواصل مع المنظمات الدولية

والمعلومات القيمة والجهود التي بذلت لإنجاح هذه الندوة وسعادتهم بعقد هذه الندوة العلمية في مدينة شبام حضرموت، مؤكدا على مدى أهمية انعقاد مثل هذه الندوات لإثراء الحياة الثقافية والتاريخية والحضارية



وفي المساء قام ضيوف شبام بزيارة لكل من منزل الأساتذة عوض عمر حسان وسالم عبد الله بن سميطة للاطلاع على محتويات البيت الشبامي وطرق بنائه ومعرفة الشيء الكثير عن تاريخ مدينة شبام وعلمائها ودورهم الرائد في جوانب الحياة الشبامية المختلفة. وبهذا أسدل الستار على ندوة علمية فريدة وناجحة بكل المقاييس العلمية والبحثية المعروفة وازدانت بها وبالمشاركين فيها مدينة شبام حضرموت وتألقت رونقا وبهاء.

لضرورة الحفاظ على الموروث الحضاري العسكري لحضرموت. ٥. حث طلاب الدراسات العليا في الجامعات على التخصص في مجال الآثار القديمة والتاريخية بشكل عام. ٦. التوصية إلى جامعة حضرموت بفتح قسم للآثار بكلية الآداب - جامعة حضرموت. ٧. جمع الأبحاث المقدمة للندوة في كتاب خاص يصدر عن مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

لحضرمت بشكل عام ولإبراز وتوثيق تلك الكنوز الأثرية وذلك الموروث التاريخي والحضاري لحضرمت أرضا وإنسانا في مختلف مجالات الحياة الحضرمية.

بعد ذلك تم تكريم الأساتذة الدكاترة والباحثين الأكاديميين المشاركين في الندوة العلمية بمدينة شبام حضرموت بالشهادات التقديرية عرفانا بجهودهم في إنجاح هذه الندوة.

ثم ألقى الدكتور عبد القادر علي باعيسى التوصيات الصادرة عن المشاركين في هذه الندوة على النحو التالي:

١. توصي الندوة بإقامة متحف عسكري خاص في مدينة شبام حضرموت خاص بالأسلحة التقليدية التي عرفت بها حضرموت.

٢. توصي الندوة بالحفاظ على الأكوات والحصون والقلاع الحربية ولو من



8

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م

عرض لكتاب (انجرامز سلطان حضرموت غير المتوج) للدكتور مكنون



في ضمن نشاطات مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر الثقافية والتاريخية التي يقوم بها بين الآونة والأخرى، نظم المركز مساء يوم الأربعاء ٧ نوفمبر ٢٠١٨م عرضاً لكتاب (انجرامز سلطان حضرموت غير المتوج) لأستاذ التاريخ الحديث المشارك ونائب رئيس جامعة الأحقاف د. صادق عمر مكنون، أسترخص فيه باستفاضة الدور الذي قام به المستشار البريطاني هارولد انجرامز في التاريخ المعاصر لحضرموت في المجالات السياسية والأمنية

جدير بالذكر أن الكتاب الذي قام باستعراضه الدكتور مكنون هو بالأساس رسالة دكتوراه تقدم بها الدكتور مكنون إلى الجامعة الوطنية بماليزيا (كلية الدراسات الإسلامية بمدينة بانجي ٢٠٠٦م) بعنوان (أثر هارولد انجرامز في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حضرموت ١٩٣٤-١٩٤٤م). وقد حضر المحاضرة جمع كبير من المثقفين والاختصاصيين

والعسكرية والتعليمية والاجتماعية والصحية.



زيارة العميد بن غانم إلى المركز

أن يزور المركز وقد رأى ما شاهده عياناً أمل أن تتاح للعناصر العاملة بالمركز الفرصة الكافية لإثبات جدارتها العلمية من خلال مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

الثقافية منوهاً بصفة خاصة بالندوة التي أقيمت مؤخراً في مدينة شبام. من جانبه أبدى العميد بن غانم سعادته بزيارة المركز والتعرف على كادره العلمي والإداري مشيداً بنشاطه الذي قال إنه قرأ وسمع عنه بكثافة قبل

في إطار النشاط المستمر لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في علاقته بمؤسسات المجتمع المدنية والحكومية قام مساء الاثنين الموافق ١٩/١١/٢٠١٨م العميد سليمان بن غانم مستشار محافظ حضرموت بزيارة ودية للمركز التقى خلالها الأستاذ الدكتور عبد الله سعيد الجعدي مدير المركز وعددًا من مديري الدوائر بالمركز حيث قدم له مدير المركز شرحاً وافياً عن النشاط الثقافي والتاريخي الذي ينهض به المركز متمثلاً في المؤتمرات العلمية والندوات والمحاضرات وحلقات النقاش وإصدارات الكتب ومجلة حضرموت





مجموعة المقالات والأحكام والفتاوى النادرة (٤) مكتبة الفقيه القاضي عمر بن عثمان باعثمان لأهل الملا



محسن علوي أبوبكر باعلوي

معلومات تصديرية:

*المكاتب: هو الشيخ القاضي عمر بن عثمان باعثمان الدوعني.

*المكاتب له: جماعة من علماء ووجهاء الملا.

*سبب المكاتب: الرد على القاضي المسكتي في طعنه في استخلاف الشيخ باعثمان للشيخ سالم بركات بافضل.

*زمن المكاتب: ٢٦ / صفر / ١٢٩٥ هـ = ١٨٧٨ / ٣ / ١ م في عهد الأمير النقيب عمر بن صلاح الكسادي.

نص المكاتب

الحمد لله وحده:

من عمر بن عثمان بن محمد باعثمان (١) إلى حضرة الأجلء الكرام الإخوان في الله تعالى: عوض بن عبد الله بالفقيه، وعوض بن سعيد بن ثعلب (٢)، والمعلم سالم بن حسين بركات بافضل (٣) - سلمهم الله تعالى - آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

صرت من نوع - بلد هنون - و[الإعلام] (٤) خير وعافية، أحواله رايقة (٥)، وأسعاره العادة، وإن سألتهم عنّا، وكافة

والمعبديّة (١٥)؛ بل ولا الملل الخارجة عن دائرة الإسلام فضلاً عن الشريعة المصونة عن الحيف والميل.

وأدلة ذلك كثيرة ظاهرة، وعبارة التحفة: «وإذا عدلت البيّنة لم يجز الحكم إلا بطلب المدعي كما تقرّر، فإذا طلبه قال لخصمه: ألك دافع.. إلخ» (١٦).

فإذا كان هذا بعد الدعوى، والجواب، وورود البيّنة، وتغديلهما، وقبل طلب الحكم غير جائز فكيف إذا كان قبل الجميع. فإذا عرف ما تقرّر، وتبين به بطلان حكمه المذكور، وخروجه عن القواعد الشرعية، والعادية، فإن اعترف بذلك، ورجع إلى الصواب، فالرجوع إلى الحق واجب متعين عليه، وإن تمادى على ما صار منه فالمطلوب منه الدليل على جواز الحكم على الوجه المشروح، ولا دليل له في ما ذكر، ولا سند، ولا سلف قطعاً، والمجلس محضور، ومحفوظ بيننا وبينه على أن الخصم معترف بجميع ما ذكر.

واستدلّاه أيضاً لبطلان حكمه المذكور، وخطاه (١٧) المزبور بكون المعلم (سالم) ليس مثلي في العلم والمعرفة فلا يصح استخلافه له، ولو مع الإذن فيه زاعماً أنه يشترط في المستخلف أن يكون مثل المستخلف في العلم، أو أعلم منه أخذاً من قول المنهاج: «وشرط المستخلف كالقاضي» (١٨)؛ استدلال ظاهر البطلان، وفهمه العبارة المذكورة على هذا الوجه خطأ لا يحتاج إلى نظر وإمعان؛ بل هو من الغرائب الأوابد، واستدلال لبطلان بفاصل؛ إذ معنى قول المنهاج: (وشرط المستخلف كالقاضي): أي في ما سبق من الشروط المعتمدة في القاضي، لا

للتأدين (١٩)؛ الحمد لله بعافية، ونعمة ضافية، لا نسأل إلا عنكم - جعلكم الله كذلك في خير ولطف، وعافية.

وبعد: من العائدين الفائزين بعيد الحج الأكبر، واليوم الأزهري - أعاده الله علينا، وعليكم سنين بعد سنين، وأعوام (٢٠) بعد أعوام على ما يحب ويرضى ذو الجلال والإكرام. وهذا جعلناه لكم بقصد التهنية بالعيد السعيد، وبقصد المذكرة منكم، وطلب المراجعة منكم، للشيخ المسكتي (٢١)؛ لأنه صديق ومحب لكم، والفقيه كذلك، والقصد اتّضح الحق وظهوره.

والحاصل أن المذكور حكم ببطلان استخلافه (٢٢) المعلم سالم (٢٣) في القضية الجارية بيني وبين سالم المعلم المعلوم لكم.

وحكمه ببطلان الاستخلاف باطل مردود عليه، مخالف لما تأسست وتقررت عليه أحكام الشريعة المطهرة.

ووجه بطلان الحكم المذكور أنه حكم ببطلان الاستخلاف من قبل نفسه قبل الخوض فيه والدعوى والجواب، وطلب الحكم، وغير ذلك مما يعتبر تقدّمه لصحة الحكم.

والحكم على هذا الوجه غير صحيح؛ بل هو باطل مردود كما هو معروف لمن له أدنى خبرة ومعرفة بها فضلاً عن الماهر فيها الممارس لها لا سيما المتصدّي والمتصدّر لفصل الخصومات بين المسلمين على الوجه الشرعي، والطريق المرضي عند الله سبحانه وتعالى؛ بل ما وقفنا، ولا سمعنا بمثله هذه القضية عند أحد من حكام الطواغيت والعوائد كالـ... (٢٤) والبحرة (٢٥)، والحرّاة (٢٦)، والبداوة (٢٧)،



صورة لمكتبة عمر باعثمان

كونه مثله في العلم والمعرفة وإلا فقد ذكر العلماء -رحمهم الله تعالى- مؤدى عبارة (المنهاج) المذكورة بـعبارة ظاهرة في عدم اشتراط ما ذكر، وعبارة (العُباب) (١٩): «ثُمَّ مِنْ اسْتِخْلَافٍ فِي خَاصِّ كَفَاهُ عِلْمٍ أَحْكَامِهِ، أَوْ فِي عَامِّ اسْتِشْرَاطٍ فِيهِ أَهْلِيَّةُ الْقَضَاءِ... إلخ».

وعبارة (الإقناع): «وشرط المستخلف - بفتح اللام - كشرط القاضي السابق إلا أن يستخلف في أمر خاص كسماع بيعة فيكفي علمه بما يتعلق به» (٢٠). ولهذا قال العلامة المحلي في شرحه: «أي كشرط المتقدم» (٢١).

والحاصل أنه غلط في الحكم، وفهم عبارة المنهاج على غير وجهها، ثم استدلل لباطل حكمه بفاسد فهمه، كما عرفت ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ونسأله السلامة والعافية من الجهل المركب العام الموقع في ظلم الأنام، تحريم الحلال، وتحليل الحرام الموجب لسخط المولى والانتقام.

وجميع ما ذكر واضح ظاهر لا خفاء فيه؛ ولكن مع عموم الجهل، وتصدر أهله في هذا الزمان القريب من الزمن المشار إلى حال أهله بقوله صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث المشهور: «فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً فضلوا وأضلوا» (٢٢)، لا تستغرب وقوع مثل هذا الغلط، وأعظم منه، والله در القائل شعراً:

ذهب العلم والدين إذا ما

طلبوا العلم طلبوه حيناً

وبلينا من الزمان يقوم

لا يكادون يفقهون حديثنا

وقول الآخر أيضاً (٢٣):

تصدر للتدريس كل مهوس

بليد تسمى بالفتية المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا

ببيت قديم شاع في كل مجلس

لقدر هزكت حتى بدا من هزأها

في الأصح تحكيماً لقرينة الحال، ولو طرأ عدم القدرة بعد التولية لنحو مرض، أو سفر استخلف جزماً... إلخ» (٢٦). وما نحن فيه من هذا القليل كما هو ظاهر؛ على أن مقابل الأصح المذكور جواز ذلك، ولو مع القدرة.

هذا رد ما صدر منه في الاتفاق الأول، وأما الاتفاق الأخير فلا تطيل بشرح ما صدر فيه؛ لأنه غير قاطع لنا، ولا قاذح في حجتنا إلا أن نسبة الدعوى وطلب اليمين إلى فيه من قائم في وظيفة الشرع متكلم على لسانه؛ مع أنني لم أدع أصلاً، ولم أطلب اليمين اختياراً، والاقتصار على قوله في ما كتبه: (وصح عندي أنه لم يثبت)، مجازفة ظاهرة، وتهافت محض لا ينبغي صدوره عن شحيح بدنيه.

وبالجمله فأنا في السلامة من ضرر هذه القضية ديناً ودنيا بعد بذل الجهد فيها فصلت على الوجه المطلوب أم لا. وأما القاضي (٢٧) والوالي (٢٨) فإن تركوا

كلاًهما وحتى سأمها كل مفلس وأما إنكار النقيب عمر (٢٤) الإذن في الاستخلاف بعد صدور ما صدر على الوجه الذي تقرر، مع أنني على يقين منه بحضور ابن سلمان وغيره، ولكن سبحان من لا يسهو ولا ينسى.

فهو غير قاذح في صحة استخلافي للمعلم سالم المذكور في القضية المذكورة؛ إذ غايته أن تكون التولية مطلقة، وقد استخلفته في قضية خاصة عجزت عن مباشرة الحكم فيها شرعاً، والاستخلاف على الوجه المذكور جائز، وعبارة (الإقناع): «فروع: يندب للإمام أن يأذن للقاضي في الاستخلاف إعانة له فإن أطلق التولية استخلف في ما عجز عنه... إلخ» (٢٥).

وعبارة المنهاج مع شرحه للعلماء ابن حجر، والعلامة الرملي: «وإن أطلق الاستخلاف استخلف مطلقاً، أو التولية في ما لا يقدر إلا على بعضه استخلف في ما لا يقدر عليه لحاجته إليه، (لا غيره



(١٦) تحفة المحتاج بشرح المنهاج، للفقهاء أحمد بن حجر الهيتمي، وبهامشه حاشية ابن قاسم، وحاشية الشرواني، ج ١٠ / ص ٤٠.

(١٧) لعل الصواب: خطئه.

(١٨) المنهاج، للإمام يحيى بن شرف النووي، ص ٥٥٨.

(١٩) كتاب العباب المحيط بمعظم نصوص الشافعي والأصحاب، لشهاب الدين أحمد بن عمر المزجد، (ت ٩٣٠هـ).

(٢٠) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، لشمس الدين محمد الشربيني، ج ٢ / ص ٦٥١.

(٢١) شرح المنهاج، لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي ج ٤ / ص ٢٩٨.

(٢٢) الحديث أخرجه البخاري في العلم، حديث رقم (١٠٠)، ومسلم في العلم، رقم (٢٦٧٣-١٣)، وغيرهما.

(٢٣) الأبيات نسبت لأبي الحسن القالي، (ت ٤٤٨هـ)، ينظر: معجم الأدباء، ج ٤ / ص ١٦٤٦.

(٢٤) النقيب عمر بن صلاح الكسادي، ولد سنة (١٢٤٨هـ)، وتولى الإمارة سنة (١٢٩٠هـ)، وتوفي في زنجبار سنة (١٣١٦هـ).

(٢٥) الإقناع، للخطيب الشربيني، ج ٢ / ص ٦١٥.

(٢٦) تحفة المحتاج، للفقهاء ابن حجر، ج ١٠ / ص ١١٥، ونهاية المحتاج، للشمس الرملي ج ٨ / ص ٢٤١.

(٢٧) القاضي هو عبد الله المسكتي.

(٢٨) الوالي هو النقيب عمر الكسادي.

(٢٩) الطبل: هو آلة مدورة يشد عليها الجلد من وجه، أو من وجهين يقرع عليه باليد، والطاسة: طبل كالوعاء نصف دائري له وجه واحد يقرع عليه بأعواد دقيقة.

(٣٠) كلمة بها بعض الطمس، ولعلها: وإثبات.

(٣١) كلمة بها بعض الطمس، ولعلها: طوب.

(٣٢) هو والي المكلا النقيب عمر بن صلاح الكسادي.

(٣٣) الشيخ عوض بن عبد الله بن علي بامسعود من علماء المكلا في عهد الإمارة الكسادية، وكذلك أخوه أحمد بن عبد الله، وهما من سكان الحارة، وأثبتت شهادتهما في بعض الأحكام القضائية سنة (١٣٠١هـ).

(٣٤) وهو يوافق يوم الجمعة ١ / مارس / ١٨٧٨م.

وأخذ عنه جماعة منهم: الشيخ عبدالرحمن باشيخ، ومحمد بن طاهر الحداد، وولي قضاء المكلا في عهد النقيب عمر الكسادي، في حدود سنة (١٢٩٤هـ)، توفي سنة (١٣٢٠هـ)، أو بعدها بقليل.

(٢) الشيخ القاضي عوض بن سعيد بن محمد بن ثعلب من علماء المكلا في عهد الدولتين: الكسادية والقيعطية، ولي قضاء المكلا سنة (١٣٠٤هـ)، وكان قاضياً بها سنة (١٣١٠هـ) إلى (١٣١٥هـ)، له مجموعة من الأحكام مخطوطة، ورأيت له كتابة وصية باسنبل سنة (١٢٩٢هـ)، كان حياً سنة (١٣٢٨هـ).

(٣) الشيخ القاضي سالم بن حسن بن محمد بركات بافضل: من علماء المكلا في عهد الدولتين الكسادية والقيعطية، استخلف على قضاء المكلا سنة (١٢٩٥هـ)، وكان قاضياً بها سنة (١٣٠١هـ)، وبقي إلى سنة (١٣٠٣هـ)، له مجموعة من الأحكام مخطوطة، وشهادته مكتوبة على وقف سعد بنت محمد باسنبل سنة (١٢٩٢هـ). (٤) كذا.

(٥) يعني راقعة، أبدلت الياء من الهمزة.

(٦) يقصد باللائدين: الأصحاب والمحبين.

(٧) لعل صوابه: أعواماً.

(٨) الشيخ عبد الله بن محمد الفوارسي الصحاري المعروف بـ (المسكتي) نسبة إلى (مسكت)، وهي مدينة (مسقط) العمانية، ولي القضاء في المكلا في عهد الإمارة الكسادية، وكان قاضياً بها سنة (١٢٩٥هـ)، واشتغل بالتدريس في وادي دوعن التابع للإمارة الكسادية حينذاك، وانتفع به جماعة، منهم محمد بن طاهر الحداد.

(٩) الاستخلاف: إقامة القاضي غيره مقامه ليقوم بعمله نيابة عنه.

(١٠) يعني الشيخ سالم بن حسن بركات بافضل.

(١١) كلمة غير واضحة.

(١٢) البحرة: يقصد بها العامة جمع بخار؛ وهو بمعنى صياد البحر.

(١٣) الحرثة: يقصد بها العامة جمع حراث، وهو من يشتغل في حراثة الأرض.

(١٤) البداوة: خلاف الحضارة، والبدو سكان البادية.

(١٥) المعبدية: طائفة العبيد.

الميل إلى الحظ والهووي، وآثروا الإنصاف، واجتهدوا في فصلها على الوجه الشرعي فكذاك؛ وإلاً وقّعوا في الضرر العظيم ديناً ودنياً؛ لأنه يترتب على عدم ذلك جمع رجل وامرأة على الفاحشة في بلاد الإسلام وبين أظهر المسلمين بطل وطاسة (٢٩)، ورضى القاضي والوالي على الدوام فتكون هذه القضية من غرائب العجائب، ما سبق لها نظير، ولا يقع أبداً.

وهذا جعلناه لكم بقصد المذاكرة، وطلب إيصاله المسكتي (٣٠) ما عنده من الجواب، فإن قال: إنه خطأ فاسد... (٣١) بيان وجه ذلك، وإن قال: إنه صواب، فالمطلوب الرجوع إليه، وإن أعرض عنه بالكلية فما على الرسول إلا الوصول، واحفظوا كتابنا فإن مرادنا عرض على أهل العلم في الحرمين، وغيرهما؛ لأن المقصود الأعظم إنما هو ظهور الحق، واتضح وجه الصواب.

هذا والله لنا في الدعاء، كما هو لكم منّا في كل حال، والسلام.

وسلموا لنا على النقيب عمر (٣٢)، وعلى كافة الأصحاب والمحبين خصوصاً: مبارك عويض، وأحمد بن فرج، وسعيد مقيدحان، والشيخ محمد، وسالم بايمين، وعوض بامسعود (٣٣)، وخصوا أنفسكم، وكافة اللأيديين بكم منّا ومن الأولاد بجزيل السلام.

وهذه السنة البرد عندنا زائد على العادة.

ومرادنا ثوب ... يا عوض سعيد، وقيد، وقيمه فوق الحساب الذي لكم علينا، وبادروا بإرساله إن كان ما عليكم مشقة في ذلك.

٢٦ / صفر / ١٢٩٥هـ (٣٤).

الهوامش:

(١) الشيخ القاضي عمر بن عثمان بن محمد باعثمان الهدوني الدوعني، ولد سنة (١٢٢٥هـ)، ومن شيوخه: مسند زبيد عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، وعمر عبدالرسول العطار، وعبدالرحمن الكزبري،



حضر موت في وثائق الإرشيف العثماني



د. خالد حسن الجوهي

تمهيد

تشكل وثائق الإرشيف العثماني، وإرشيف قصر (طوب قابي) في مدينة إسطنبول التركية، مصادر مهمة في دراسة تاريخ الجزيرة العربية. حيث يمكن تقسيم تصنيفات الإرشيف العثماني المتعلقة بالعالم العربي إلى قسمين: الأول: تصنيف الدفاتر، والثاني: تصنيف الوثائق.

تصنيف الدفاتر التي منها:

• دفاتر المهمات: وهي مجموعة الدفاتر التي تسجل فيها أهم القرارات السياسية والعسكرية والاجتماعية، المتعلقة بالمسائل الداخلية والخارجية، التي يتم تدارسها في اجتماعات ديوان (الهمايون)، الذي يشبه اليوم (مجلس الوزراء)، ويوجد في الإرشيف حالياً نحو (٤١٩ دفترًا) للمدة بين ٩٦١ - ١٣٣٣ هـ / ١٥٥٣ - ١٩١٥ م.

• دفاتر الطابو والتحرير: الطابو هو ما يكتبه المسؤولون العثمانيون عن

المناطق التابعة لنفوذهم، وتحتوي على معلومات إحصائية عن السكان، أما التحرير فهي إحصاءات مفصلة عن الوضع الاجتماعي والديمقراطي والاقتصادي للمناطق التابعة لنفوذهم.

• دفاتر الشكايات.

• دفاتر نامه همايون: وهي المراسلات الجارية بين السلاطين العثمانيين، وحكام المناطق التابعة لهم.

• دفاتر الأحكام: وهي المختصة بتقييد الأحكام الصادرة عن الديوان الهمايوني.

• دفاتر مهمات مصر.

• دفاتر الرؤوس: وهي كل ما يتعلق بموظفي الدولة وتعيينهم ومرتباتهم باستثناء من له رتبة وزير.

• دفاتر التحويل.

• دفاتر العينيات: وهي التي تحتوي على نسخة طبق الأصل من المذكرات والتحريرات الموجهة من الصدارة العظمى إلى مختلف مؤسسات الدولة.

• دفاتر غرفة أوراق الباب العالي.

• الدفاتر الواردة والصادرة من الولايات.

• دفاتر محاسبة الحرمين: وهو القسم الخاص بتقييد أوقاف الحرمين الشريفين وما يتبعهما في بقية المناطق.

• دفاتر الصرة: (الصرة كلمة عربية تعني ما يُصر على الشيء، واصطلاحاً كيس النقود)، وهي المعاملات المالية بالدولة العثمانية، التي كان يرسلها السلاطين العثمانيون سنوياً لأعيان

الحرمين الشريفين من الأشراف، والعلماء، والقضاة، والمدرسين، والفقراء من المجاورين في الحرمين، وتشمل أيضاً الهدايا المختلفة.

• دفاتر قلم السانامة: وكلمة سالنامة فارسية الأصل وتعني الرسالة أو الكتاب، ويسمى بـ (الكتاب السنوي)، ويحتوي على معلومات لخصت فيها أهم حوادث الدولة العثمانية العلمية والإدارية والعسكرية والجغرافية وغيرها.

• دفاتر قلم باب آصفي باش محاسبة.

وغيرها من الدفاتر.

تصنيف الوثائق:

وتشكل الوثائق الجزء الأكبر لـ ٦٠٠ سنة من عمر الإمبراطورية العثمانية، ومنها:

• وثائق ولاية مصر: ويرمز إليها بـ (A.DVN.MSR).

• تصنيفات الإدارة: بمعنى الأمر، أو الفرمان، أو الطلب الصادر عن السلطان.

• وثائق غرفة أوراق الباب العالي.

• الوثائق المتعلقة بأقلام الصدارة.

• وثائق شوري الدولة.

• أوراق يلدز: وهي الموجودة في قصر يلدز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م)، وغيرها من الوثائق.

وسوف نستعرض عدداً من الوثائق العثمانية المتعلقة بالشأن الحضري، ومعظمها ذات طابع سياسي.

ففي خطاب وجهه السيد فضل بن علوي مولى الدولة إلى السلطان عبد المجيد، ذكر فيه أحوال بلاده



قصر (طوب قابي)
في مدينة إستانبول التركية

مولي الدولة، والسيد عبدالرحمن بن حسين بن سهل العلوي.

ففي وثيقة تحمل تصنيف رقم ٤ / ٦ Y.PRK.TKM أرسل السيد عبدالرحمن بن حسين بن سهل جمل الليل خطاباً إلى السلطان عبدالحميد الثاني، مؤرخ بتاريخ ١٧ شوال ١٢٩٧هـ/ الموافق ٢٢ سبتمبر ١٨٨٠م، ومضمون الخطاب هو الطلب من السلطان العثماني ضم حضرموت للنفوذ العثماني حتى تستقر أحوال البلاد السياسية والاقتصادية.

وفي ما يلي نستعرض مضمون الخطاب: بدأ الخطاب بالبسملة والدعاء للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني بقوله: «نقبل أقدام سلطان البرين، وخاقان البحرين، أمير المؤمنين، حامي بيضة الإسلام، مولانا الغازي عبدالحميد بن عبدالحميد خان خلد الله ملكه ونصره على أعداء الدين والظالمين آمين...». بعدها أشار الخطاب إلى أنه قد تم التواصل منذ خمسة عشر عاماً مع السلطان عبدالعزيز في أثناء حياته عن طريق وسطاء منهم القنصل الفرنسي في العاصمة العثمانية الأستانة، والثاني عن طريق شريف مكة المكرمة السيد عبدال مطلب أمير مكة، ليتواصل مع الباب العالي، والثالث عن طريق الإنجليز في عدن، مشتكين مما نحن فيه وطالبين نجدة، ولم نقف على جواب من الجميع.

إليه رسائل من رؤساء قبائل حضرموت يطلبون فيها وضع بلادهم تحت النفوذ العثماني.

رابعاً: في حالة خضوع البندرين وضبطهما عسكرياً لصالح العثمانيين يستطيعون حينها تسخير حضرموت للدولة العلية، وتعيين الأمير غالب بن محسن الكثيري والياً على هذه البنادر؛ لكي يتمكن حينها من تطويع القبائل وينفذ فيها أوامر الدولة العثمانية، حيث إن العرب إذا فهموا وعرفوا محاسن الدولة، وحسن تدبير أمور الرعية انصاعوا لها، كما إن الحكمة تقتضي استخدام أسلوب الترغيب والترهيب. انتهى.

إن السيد فضل وفي ظل احتدام الصراع بين يافع وآل كثير من أجل السيطرة والنفوذ على حضرموت، قد حدد موقفه من هذا الصراع شأنه شأن بقية العلويين إلى جانب آل كثير، ولهذا أراد الاستعانة بالعثمانيين ضد الدويلات اليافعية القائمة آنذاك.

في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، بدأت الدعاية العلوية تقوم بنشاط واسع ونشط لمؤازرة آل كثير ضد قبائل يافع، مستغلين نفوذهم لدى السلطنة العثمانية وأشرف الحجاز، وكان من بين هؤلاء العلويين الذين كان لهم دور في هذه الحملة الدعائية ضد قبائل يافع السيد علي بن عمر بن محضار العيدروس، والسيد إسحاق بن عقيل العلوي نقيب السادة العلويين في الحجاز، والسيد فضل بن علوي

حضرموت، وما يسودها من صراعات وتناحر، وقدم السيد فضل في رسالته عدة مطالب واقتراحات من شأنها أن تنهي الحالة المزرية التي تعيشها بلاده حضرموت، وذلك من خلال دعم السلطان الكثيري غالب بن محسن ضد خصومه، ومن ثم وضع حضرموت تحت السيادة العثمانية.

تحمل الوثيقة تصنيف رقم ١٦٢٤ / ٣٩ IMMS، وفيها طلب السيد فضل من السلطان العثماني أربعة مطالب رئيسية، تندرج تحتها مطالب فرعية، وهذه المطالب الرئيسية كالآتي:

أولاً: أن تعمل الدولة العثمانية على الاستعداد للسيطرة على مينائي الشحر والمكلا، وأن تكون البداية بالرسو في ميناء قصير الذي يقع تحت سيطرة آل كثير، ومن ثم محاصرة البندرين الشحر والمكلا، حيث أورد في هذا الخطاب تفاصيل هذه العملية العسكرية.

ثانياً: إن السيطرة على هذين الميناءين سوف يبث الرعب في قلوب السكان إذا تعطلت أعمالهم ونشاطهم البحري، وتصبح كل القبائل تحت طوع النفوذ العثماني، وعندها تستطيع الدولة العثمانية ترتيب وضعها السياسي في هذه المنطقة.

ثالثاً: شرح فيها أن حضرموت بلاد غنية، ولكن مع كثرة الاختلافات فيما بين القبائل خربت البلاد، وأن أدنى عمارة لها سوف ترجع البلاد إلى سابق عهدها، وبين للعثمانيين أنه وصلت



مخطوطات بمكتبة
متحف قصر (طوب قابي)
في مدينة إسطنبول

بعدها شرح الخطاب الحالة التي تعيشها حضرموت وأهلها من الظلم الذي لحق بهم من قبل ولايتها القعيطي والكثيري، كما أشار إلى موضوع تعيين السيد فضل بن علوي على ظفار من قبل الدولة العلية.

(حيث استغل السيد فضل علاقته الطيبة بالسلطان عبد الحميد، وحصل على فرمان بتوليته على إقليم ظفار، بعد أن أعطته رتبة وزير، وذلك تطبيقاً للقوانين المرعية حتى يتمكن من حكم ظفار تحت السيادة العثمانية، وقد صدر هذا فرمان سنة ١٢٩٢ هـ/ ١٨٧٤ م، وبعد حصوله على هذا فرمان توجه باتجاه ظفار، وهناك بايعه أهلها على السمع والطاعة، واستمر يحكمها حتى سنة ١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩ م).

نرجع إلى موضوع الخطاب فقد أبدى السيد عبد الرحمن بن سهل سروره بهذا التعيين، وأنه كان يأمل في هذا التعيين وما سوف يرد إلى خزينة الدولة من مكاسب، وبين فيه أن الدولة العثمانية سوف يدخل خزيتها بعد خمس سنين ما يقارب خمسة مليون سنوياً بعد أن يتم استقطاع مجمل نفقات الجيش، وأنه متأكد من هذه النتائج؛ لأن حضرموت أرضها مثل الذهب.

وفي نهاية الخطاب أشار السيد عبد الرحمن بن سهل أنه قد خاب أمله بعد أن سمع بقرار الدولة العثمانية عزل السيد فضل عن ظفار، وشرح تأسفه عن تجاسره لمخاطبة السلطان بهذا الشأن.. انتهى.

ويبدو من هذا الجواب أنه كان يأمل من السلطان العثماني أن يتراجع عن قراره بشأن العزل، وأن تعمل الدولة العثمانية على مد نفوذها مرة أخرى على ساحل حضرموت الممتد آنذاك من ظفار شرقاً إلى عين بامعبد غرباً. كما توجد العديد من المراسلات بين عدد من الشخصيات الحضرمية وبين

الحضرمي من خلال تدخله في الحياة السياسية، وسعيه إلى الوقوف مع أحد الأطراف المتصارعة في حضرموت، وهم آل كثير ضد يافع؛ إذ نجحت مساعيه في تشكيل قوة عسكرية بدعم من العثمانيين وأشـراف مكة المكرمة (محمد بن عون)، ووصلت هذه القوات إلى ميناء بروم والمكلا والشحر وذلك سنة ١٢٦٦ هـ/ ١٨٤٩ م.

كما قام السيد عبدالله بن عمر بن يحيى العلوي بجمع عدة توقيعات من قبل رؤساء حضرموت ووجهائها مرفوعة إلى والي الحجاز العثماني آنذاك حسيب باشا، والشريف محمد بن عون شريف مكة المكرمة آنذاك، وبتنسيق من قبل السيد إسحاق بن عقيل العلوي، داعين السلطنة العثمانية وأشـراف الحجاز الوقوف إلى جانبهم ومساعدتهم في حربهم ضد القوى اليافعية، وقد استطاع العلويون من إقناع العثمانيين وأشـراف مكة المكرمة على إرسال حملة عسكرية إلى حضرموت.

كما يحتفظ الأرشيف العثماني بالعديد من الوثائق التي تخص حضرموت، وهي عبارة عن تقارير تفصيلية بعث بها مسؤولوها الموجودون في اليمن في أثناء سيطرتهم عليها ووجودهم الأول والثاني فيها، يشرحون فيها الحالة السياسية والاقتصادية في البلاد، وذلك في إطار المنافسة على السلطة والنفوذ في اليمن بينهم وبين البريطانيين.

السلطات العثمانية موجودة لدى الإرشيف العثماني، ومعظمها كان يتناول فيه الوضع السياسي في حضرموت، وسعيهم الحثيث لكي تدخل حضرموت تحت النفوذ العثماني؛ حيث كانوا يأملون أن تستقر البلاد، ويتحسن وضعها الاقتصادي والاجتماعي. ولكن الواقع أن سعي هؤلاء لمثل هذا التدخل كان يقع ضمن التنافس السياسي على السلطة؛ حيث عملت بعض الأطراف على إيجاد توازن في العلاقات الخارجية بين حضرموت والدول الكبرى، وبما أن يافع ترتبط بعلاقات مع بريطانيا، اتجه الطرف الآخر إلى الدولة العثمانية كونها منافساً لها في المنطقة.

وقد تبنى العلويون هذا السعي من خلال تحالفهم مع آل كثير خصوم القعيطي سياسياً، مستغلين علاقاتهم الطيبة التي تربطهم بالعثمانيين. ومن بين هؤلاء العلويين الذين لعبوا دوراً في هذا الصراع، السيد إسحاق بن عقيل العلوي نقيب السادة العلويين بمكة المكرمة.

ولد السيد إسحاق بمكة المكرمة، وتلقى العلم عن أفاضل علمائها، له الشعر الفائق، والنظم الرائع، أخذ عن والده، وعن الشيخ عمر بن عبد (رب) الرسول الحنفي المكي، تولى السيد إسحاق مشيخة السادة العلوية عام ١٢٤٣ هـ/ ١٨٢٧ م بأمر من الشريف محمد بن عون أمير مكة المكرمة. وقد اعتنى السيد إسحاق بالشأن



تحري رؤية الهلال في وادي دوعن

إن البحث عن هذا الجانب التراثي هو الأمر الذي يشدني بقوة لمعرفة كيفية إثبات أول أيام شهر رمضان، وكذا أول أيام العيد من شهر شوال، وكذلك إثبات شهر ذي الحجة.

والمعروف قدسية هذه الأشهر، وما أوجب الله على المسلم من القيام بالواجبات المكلف بها، قال تعالى في حكم كتابه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة البقرة ١٨٥. كما قال تعالى أيضًا: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى وَأَتَى الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ سورة البقرة ١٨٩.

كما ورد ذكر تحري رؤية الهلال في السنة النبوية لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (صوموا الرؤيته وأفطروا الرؤيته فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين أو فإن أغمي عليكم الشهر فعدوا ثلاثين) رواه البخاري ومسلم.

تسميتها بـ (أم الهجر)، والتي كانت توجد بها سلطة إبان الدولة القيعطية يمثلها مسؤول يسمى القائم، وهو حاكم ذو صلاحيات عسكرية ومدنية مطلقة، ونجد الطبيعة الجغرافية لمدينة الهجرين قد ساعدت المتحررين للهلال وذلك بسبب ارتفاعها عن البحر؛ حيث يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر أكثر من ثمان مائة متر، وفي مدينة الهجرين أماكن عديدة يمكن منها تحري رؤية الهلال؛ حيث اشتهرت كمواقع لرؤية الهلال، ومنها موقع بجانب بئر يسمى بئر السوير، وسقيفة آل حمد بامحمد، ومسجد الشيخ طاهر، وجامع الهجرين وأماكن أخرى يمكن تحري رؤية الهلال منها، وأما عن الأشخاص المتحررين لرؤية الهلال فهم من العامة، وبعضهم مشايخ من المنطقة؛ حيث يتصفون بأنهم أهل ثقة ومصداقية، تساعد خبراتهم

وتوكل إلى ناس مشهود لهم بالعدل والاستقامة إلى جانب قوة النظر وحِدَّتِهِ، كل هذه المميزات جعلت منهم أهلًا لهذه المهمة التي تجعل على عاتقهم مسؤولية كبيرة لأداء تلك الفرائض، فكان لا بد أن تكون هناك لجان مكونة من عدة أشخاص، يكلفون بهذه المهمة، ولهذا فقد اندفعت وبقوة لطرح أسئلتي على من عاش في تلك الفترة الزمنية لملء ما تحويه أسئلتي وأوراقني الفارغة بأجوبتهم الخصب والغنية عن تحري رؤية الهلال، فبحثت هنا وهناك حتى أتعرف وأعرف ذلك الموروث الديني.

مناطق دوعن وتحري الهلال

الهجرين وتحري رؤية الهلال:

ومن مناطق دوعن التي كانت بمثابة القلعة التي تصدر فرائض الأشهر، مدينة الهجرين، أو كما يحلو للبعض



صالح باحيدرة

وفي وادي العباد وادي دوعن كما يقال له سالفًا نجد أن الإنسان حريص كل الحرص على الامتثال لأداء تلك الواجبات الدينية لكسب الأجر من الله سبحانه وتعالى، وفي تلك الفترة الزمنية القديمة كان الإنسان في دوعن بسيطًا لا يمتلك الوسائل المتطورة لرؤية الهلال بوضوح ويسر بل كان جُلُّ اعتماده على العين المجردة لرؤية الهلال، وهي مهمة صعبة تختص



عبر السنين في التقلبات الجوية للمناخ، وكل ما يرتبط بالزراعة، فمجلهم يعملون بحرفة الزراعة ومرتبطون بالأرض وعلاقة القمر والنجوم بزراعتهم ومواسم الزراعة والحصاد، وبعضها عادات وتقاليد وبعضها الآخر له ارتباط ديني لمعرفة أوقات الصلاة كالمؤذنين في المساجد وتتبع القمر لشهر رمضان يبدأ مع بداية شهر شعبان، وهم يحرسون كل الحرص على متابعة غروب القمر كل ليلة. والعجيب أنه يقام في ليلة النصف من شعبان احتفال في جامع الهجرين، وفي باقبي جوامع مناطق وادي دوعن، وتعرف بالشعبانية إلى يومنا حتى يسهل عليهم متابعة رؤية الهلال في ليلة التاسع والعشرين من شهر شعبان. ومن المتحريين لرؤية هلال في مدينة الهجرين أحمد بامحمد بادحمان ومحمد بن مغيث، ومحمد سالم بافلج، وغيرهم لا يسعنا ذكرهم.

أما بالنسبة لتغطية الخبر في المناطق الوادي فيختلف إخبار القرى من قرية لأخرى بحسب قربها وبعدها من الهجرين، فنجد إخبار مناطق أعالي الوادي كان يتم على حسان يتم الاستفادة منه في نقل الخبر، فيتم إرسال مخبر به، وهناك في مناطق أعالي دوعن يوجد أشخاص موكلون بهذا الأمر وبالتنسيق مع ممثلي السلطة بتناقله من قرية إلى أخرى، وأما بالنسبة للمناطق المجاورة لمدينة الهجرين يتم إخبارهم بإثبات رؤية الهلال من خلال إطلاق النار من منطقة إلى أخرى؛ حيث إنه إذا سمعت منطقة معينة إطلاق النار فمنطقة أخرى يتم إطلاق النار منها وهكذا بالنسبة للمناطق الأخرى ويساعدهم في ذلك أن الناس بالأساس مهينون لتتبع إطلاق النار في أي قرية، ولم يكن على الهجرين إبلاغ مناطق دوعن فقط بل يخبر سكان وادي العين وحورة وغيرها، فبالنسبة لوادي العين يكون نقل الخبر عبر عقبة في ضواحي

وعبود بن أبي بكر باعلي، و عوض محمد بن جويهر، يتحرون الهلال من أعالي عقبة الخريبة القبلية، وفي حالة رؤية الهلال يتجهون مباشرة صوب القاضي الشيخ عمر أبو بكر باحويرث حتى يتم استجوابهم وبعد إثبات رؤية هلال يرسل القاضي الشيخ عمر أبو بكر باحويرث مرسولاً إلى القائم بأعمال السلطة القيعطية باصرة في المصنعة بعورة، وبعد ذلك يقوم القائم بالسلطة بأمر إطلاق النار بالمدفع الموجود آنذاك في منطقة باجساس مقابل منطقة الخريبة من جهة الشرق.

وهو نفس الحال في منطقة قويرة المحضر، فقاضياها الحبيب مصطفى المحضر، يقوم بتكليف عدة أشخاص منهم سعيد بن محمد باخضر، وعبيد بن سالم بادحيدوح، ويتجهون إلى أعالي شعب صغير يسمى الهرامة لتحري رؤية الهلال. وكذا مناطق عديدة في وادي دوعن لها نفس الحال في تكوين لجان لتحري رؤية الهلال، لا يسعنا ذكرها.

وأما بالنسبة للأجر لمن يتحرون رؤية الهلال فلا يذكر أن أجراً يدفع لمن يقوم بذلك، أو حتى لمن يقوم بالإبلاغ عن إثبات رؤية الهلال، لأنه يتم بدافع الحصول على الأجر من الله تعالى، وإن وجد هناك أجر فربما ليس بشكل أساسي أو لم يأخذ الطابع الرسمي.

مدينة الهجرين تعرف بعقبة عروم، أو عقبة القو لينطلق شخص أو شخصان إلى وادي العين مجتازين الهضاب ما بين الواديين في مسافة مختصرة لا تتجاوز ساعتين أو أقل.

مناطق أعالي الوادي وتحري الهلال

أما في مناطق أعالي وادي دوعن وأقصد بها مناطق وادي دوعن ليمن مثل رباط باعشن والخريبة وقويرة المحضر وما جاورها فنجد لكل منطقة متحريين، ومنها قرية رباط باعشن فكان على رأس اللجنة عبود بن سالم بامحيمود؛ حيث كان يتحري رؤية الهلال ومن معه من مناطق عالية من عقبة الصدع أعالي منطقة سييدة، وهناك موقع آخر لتحري الهلال في شعب باجسير في وادي منوة، وبعد رؤيتهم الهلال ينطلقون مباشرة إلى منطقة الخريبة، التي يوجد بها القاضي الشيخ عمر أبو بكر باحويرث، ومقره في أحد مساجدها يدعى مسجد باقيطمة، ثم يسألهم القاضي عدة أسئلة عن الهلال، ومن هذه الأسئلة كيفية رؤية الهلال هل نجدي أو بحري، ثم يلزمهم بالقسم (اليمين) ونجد نفس الشيء في منطقة الخريبة فهناك توجد بها لجنة تحري رؤية الهلال مكونة من ثلاثة أشخاص، هم الشيخ محمد بن سهل العمودي،



الصلات التجارية بين حضرموت والهند

تاريخها - وأثرها في رند الهمرة المتبارلة

منذ العصور التاريخية القديمة حتى عصر السيادة الإسلامية

(دراسة حضارية في ضوء المعطيات الأثرية والنقشية والمدونات التاريخية)

(٢ - ٣)



أ.د. محمد بن هاوي باوزير*

حضرموت والهند في العصرين

الإسلامي والحديث

(التأثير والتأثر)

لا شك أن النشاط التجاري الملاحي لعرب الجزيرة العربية عامة والحضارة خاصة في العصور الوسطى أدى إلى استقرار الكثير منهم في المراكز التجارية والسياسية الكبرى المطلة على بلدان شرق آسيا، والقرن الأفريقي، وساحل أفريقيا الشرقي (١).

وقد استمر هذا النشاط التجاري الملاحي، والتواصل الحضاري بين الهند وعرب حضرموت وعمان طيلة عصر السيادة الإسلامية، بل امتد حتى مطلع العصر الحديث، وفيه كانوا حاملين لواء التجارة والملاحة في الهند وشرق آسيا وشرقي أفريقيا، وقد انبثق عن ذلك تفاعل حضاري نشط (تأثيراً وتأثراً) (٢)، فعلى الصعيد العربي (بلاد

تجاري بحري كبير مع موانئ الهند المختلفة، فكان للتعامل اليومي المستمر بين ربابنة السفن الحضرية وبحارتها ورجال الموانئ الهندية وتجارها ومواطنيها كبير الأثر في نقل الكثير من المفردات الهندية إلى اللهجة الحضرية العامة، وما زال الكثير منها يتردّد في لهجة الحضارم إلى اليوم (٣)، ومن هذه المفردات التي ما زالت حاضرة في المجتمع الحضرمي ما يأتي:

- **آنه أو عانه:** جزء من قطعة نقدية هندية تساوي بيزات، وهي جزء من ١٦ جزءاً من الروبية. وهذه اللفظة كانت تطلق على قطعة نقد معدنية في حضرموت، ظلّت متداولة حتى عام ١٩٩٠م.

- **برياني:** طبخة أرز مع اللحم والبهارات، وما زالت متداولة في حضرموت، وعدن، وكذا في العربية السعودية، ودول الخليج العربي.

- **براطو:** نوع من الخبز أو الفطائر المعمول بالدقيق والزيت أو السمن، وما زالت هذه اللفظة متداولة في حضرموت، بل هذا النوع من الفطائر (البراطو) يُعد من أهم وجبات الفطور، وفي الهند ينطقونها (برأتا).

- **بندل:** لفظة تطلق على الرُبطة أو الحزمة، التي تضم عدداً محدداً من الأشياء أو البضائع.

العرب) نجد أن ذلك التواصل الحضاري قد ألقى بظلاله عليهم، فانتقل الكثير من عناصر الثقافة العربية وانتشر على شواطئ المحيط الهندي والعكس؛ حيث نجد كثيراً من المصطلحات الملاحية كانت واحدة، وكذا تشابه أسلوب صناعة السفن، كما تبودل كثير من الكلمات في لغات بلدان المحيط، وإن كان أكثرها شبيهاً هي الكلمات العربية، وذلك بحكم التأثير الغالب للثقافة الإسلامية (٤).

كذلك نجد عشرات من الكلمات الهندية في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والتجارية، قد أخذت طريقها إلى اللغة العربية وانضمت إليها، وعُربت فيها، مثل: الموز وأصله في السنسكريتية (موجا - Mocha)، والكافور وأصله (كاربورا)، والصندل وأصله (جنند - Chandan)، والمسكة: أصلها (مشكا - MUSHKA)، والليمون: وأصله (ليمو) والقائمة طويلة (٥). وعلى الصعيد الإقليمي - الجزيرة العربية والخليج العربي عامة وحضرموت خاصة نجد عشرات الكلمات أو المفردات الهندية قد أخذت طريقها إلى لهجاتهم العامة.

لقد دخلت الكثير من الكلمات الهندية إلى اللهجة الحضرمية منذ القدم، وذلك لارتباط حضرموت في عصورها القديمة والوسيطة والحديثة بنشاط



– **بنقله**: اللفظة هندية، وتعني قصرًا أو حصنًا.

– **بنكة**: بنكها، أي مروحة السقف الكهربائية.

– **بيزة أردي**: البيزة في الهند هي جزء من قطعة نقد هندية، وفي حضرموت تنطق ببيسه، وهي جزء من قطعة نقد، ظلت مستعملة للفترات ما قبل الستينيات من القرن الماضي. أما الأردني فهو أيضًا قطعة نقد هندية استخدمت في حضرموت لمدة من الزمن.

– **بيذان أو بيدان**: ثمار موسمية أشجارها منتشرة بكثرة في حضرموت.

– **تيكه أو أنتيكة**: وهي من اللفظة الهندية (تكانه)، وتعني الشخص الثقة، أو بمعنى الجيد، أو الممتاز.

– **توله**: عيار صغير لوزن الأشياء الثمينة كالذهب، وما زالت تستخدم حتى اليوم في محلات صاغة الذهب والفضة حتى يوم الناس هذا.

– **جودري**: أو (يودري)، هكذا ينطقها العامة في حضرموت، أي باستبدال حرف الجيم بحرف الياء، وهو بساط أو فراش من القطن، أو الليف الخشن.

– **جباتي**: وتنطق في حضرموت شباتي، وهي نوع من الفطائر المعمولة بالسمن والسكر، اللفظة متداولة في وادي حضرموت.

– **دوبي**: كواء الملابس، ما زالت اللفظة مستعملة في حضرموت وعدن وغيرها من مناطق جنوب اليمن، ويعنون به مغسل الملابس وكاويها.

– **رسته**: تنطق (رصده)، وتطلق على الشارع، أو الطريق المرصوف.

– **رمان**: أو رمان، وهو رداء يوضع على الأكتاف، أو على الرأس (ملون)، وغالبًا ما يستخدم في أثناء الذهاب للمشاركة في الألعاب الشعبية، كلعبة تي العدة والشواني. ويبدو أن العمائم الهندية أو البنجابية وشكلها انتقل تأثيرها إلى حضرموت، بدليل استخدامها من قبل

عسكر الدولة القيعطية، والأهالي لاحقًا.

– **روتتي**: لفظة قديمة تطلق على قرص الخبز الطويل أو المستطيل.

– **سركال**: لفظة هندية وتعني الحكومة، فيقال: عبيد السركال، أي (عبيد الدولة)، كما يطلق هذا الاسم على أحد معايين الحكومة (قنوات المياه) في منطقة القارة بغيل باوزير، ويعرف بـ (معيان السركال)، وهو ثاني أكبر المعايين في المنطقة، وقد تم شقّه من الحومة المعروفة اليوم بحومة السركال في عهد السلطان غالب بن عوض بن عمر القيعطي (١٩٠٨ - ١٩٢١ م). (الحوم ومفردها حومة وهي نوع من البحيرات الكارستية تحت السطح).

– **سمبوسك**: أو سمبوسة، وهي رقائق من العجين مثلثة الشكل، تحشى باللحم والبصل والبهارات. (ما زالت الكثير من المفردات الهندية لأنواع من المأكولات الحضرمية، بل المطبخ الحضرمي يغلب عليه الطابع الهندي.. مع بعض التحوير لتلك المفردات الهندية، ومنها: سامان، راشن). وكذا عادة مضغ التنبل أو التانبول وغير ذلك.

– **شال**: رداء يوضع على الأكتاف، اللفظة فارسية من أصل هندي معربة.

– **صالونه**: أو صانونة أو صائه - هكذا ينطقها العامة في حضرموت، وهي مرق اللحم والسّمك مع الخضار.

– **صرك**: لفظة قديمة تطلق على الشارع المستخدم للسيارات والعربات، قلّ استعمالها الآن.

– **طاكة**: طاقة، وهي لفظة من القماش مطوية على قطعة مستطيلة أو مدورة.

– **كنكري**: أو كُري كما ينطقها العامة، وهي الحجارة أو الحصى الصغيرة، وتستخدم في البناء بعد خلطه بالإسمنت.

– **كاري**: وتعني في الهند الدراجة الهوائية، وتطلق على العربة والمركبة. وينطقها الحضارم (قاري) وتعني العربة التي تُجر أو تساق دفعًا باليد.

– **لك**: لفظة قديمة، عبارة عن رقم حسابي (انتهى استعمالها).

– **مُرتبان**: جرة أو جرار صغيرة أو كبيرة من الفخار، تستخدم لحفظ الخل وأشياء أخرى.

– **ململ**: قماش رقيق، لعله من ملابس الصيف.

– **من**: وحدة وزن تعادل (١٤٠ رطلًا) في الهند، وفي حضرموت المن يعادل (٢٨ رطلًا).

– **هَمب**: أو (مُبا) هكذا ينطقها الحضارم وهي ثمر المنجة.

أيضًا من أبرز مظاهر التأثير والتأثر في المجتمع الحضرمي، لعبة العدة (لعبة شعبية)، التي ما زالت حاضرة في ثقافة الحضارم الشعبية، ويبدو أنها عرفت في ساحل حضرموت عن طريق الهجرات المتتالية إلى الهند، حتى الأدوات المستخدمة في هذه اللعبة أصولها هندية كالهاجر والمراويس، والدرك (التروس)، والراماميل (راممين)، وما زالت هذه اللعبة قائمة في الهند في أفراسهم وزواجاتهم، وبذلك يبدو أن اللعبة من الهند (منيبار)، وانتقلت إلى حضرموت، وربما دخلت عليها بعض التأثيرات الأفريقية^(٦).

كذلك سنستعرض بعض المعلومات التاريخية عن الأواصر الموسيقية بين الهند وحضرموت، ويبدو أن ذلك يعود أو يخضع لنظرية الموجات الثقافية نظرًا لما ربطه البلدين منذ القدم من علاقات من خلال الأنشطة الملاحية والتجارية... إلخ، ولعلنا بذلك سنكشف أمام بعض النماذج للتثقيف الموسيقي بين بلاد الهند وحضرموت في السياق الآتي:

ذكر المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف (ت ١٩٨٨ م) أنه في عام ١٥٢٢ م كانت الشحر المدينة الميناء مركزًا تجاريًا مهمًا، تقد إليه السفن من الهند وشرق أفريقيا وجنوبها وجنوب شرق آسيا والصين، وفي الشحر آنذاك عدد من



أن التواصل الحضاري بين بلاد العرب والهند قد ألقى بظلاله على الجانبين، فانتقل كثير من عناصر الثقافة العربية وانتشرت على شواطئ المحيط الهندي والعكس؛ حيث كانت كثير من المصطلحات الملاحية واحدة، وكذا تشابه أسلوب صناعة السفن وغير ذلك.

العربي، إما لأغراض تجارية، أو هرباً من اضطرابات داخلية، أو بحثاً عن لقمة العيش، واستقرت في الحجاز وعدن وحضرموت والبحرين وعمان والعراق. على أن الطفرة الكبرى والواضحة في مثل تلك الهجرات حدثت مع دخول الهند ومنطقة الجزيرة والخليج العربي تحت الهيمنة البريطانية، ومنهم طبقة التجار وغيرهم من رعايا الحكومة البريطانية.. وكذلك الحال بالنسبة للعرب ومنهم الحضارمة استقروا في مناطق عديدة من شبه القارة الهندية، وامتزج العنصران العربي والهندي، وتزاوجوا وتناسلوا، وما زالت الكثير من الأسر (هي الآن أسر حضرمية) ذات الأصل الهندي موجودة في حضرموت وغيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، وكذلك الأسر الهندية ذات الأصل الحضرمي أو العربي موجودة في مناطق عدة من الهند وبخاصة حيدر أباد^(٩). إذاً من البديهي أن يتمخض عن ذلك التواصل التاريخي بأشكاله الاجتماعية والثقافية، والاقتصادية بين حضرموت والهند عن وجود الكثير من التأثيرات، من عادات وتقاليدها، التي لا يمكن أن تولد من فراغ، بل تأسست في الغالب الأعم من رصيد تراكمي من الإرث الحضاري، الذي أفرزه واقع الصلات التاريخية بينهما. والكثير من هذا الإرث ما يزال ماثلاً للعيان إلى هذا اليوم، ومنها تلك النماذج والأمثلة التي

رحلات فنية إلى الخليج العربي، وكان يرافقه الفنان الحضرمي سعيد علي بامعبيد (ت ١٩٢١م). وفي أجواء عام ١٩٢٠م استخلص العازف الهندي (باري) من إرث غناء الجمّ الهندي أغنية نالت شهرة وهي (ما مع المحبة سلام يا خليل السلام)، وقد غناها الكثير من فناني عدن، كذلك نظم الشاعر الغنائي حسين أبوبكر المحضار على منوالها قصيدة غناها الفنان علي الخنبشي وغيره، ويعد الفنان محمد جمعة خان من أشهر الفنانين الحضارم الذين تأثروا بالإيقاع الهندي والمقامات الهندية.. والحديث طويل في مسألة التأثيرات المتبادلة في الموسيقى والغناء بين الهند وحضرموت^(٨).

أما على الصعيد الاجتماعي فقد شهدت كل من حضرموت والهند اتصالات متبادلة -كما سبقت الإشارة- واستقر الوافدون الحضارم في الهند، والعكس بالنسبة للوافدين الهنود، وذلك بهدف العمل والاستزراق، وإن هذه الظاهرة قديمة قدم العلاقات ما بين البلدين، ومما ورد في المصادر التاريخية القديمة، أنه على هامش تنامي الاتصالات التجارية ما بين الهنود والحضارم بوجه خاص، وشعوب الجزيرة والخليج العربي بوجه عام في الحقبة السابقة لظهور الإسلام والحقبة اللاحقة، هاجرت أقوام عدة من الهنود إلى منطقة الجزيرة العربية والخليج

حانات الشراب الذي يعصر محلياً، وفي المدينة أيضاً مرقص يديره أحد الهنود، وتجلب إليه راقصات ومغنيات من الهند ليقدمن عروضاً فنية لسته أشهر، ثم ينتقلن إلى مدينة عدن وبعض مدن الحجاز، أو يعدن لوطنهن، ويحلّ محلّهن راقصات من جزيرة (الامو) الأفريقية، وذلك بحسب وصف الرّبان سالم عوض بإسباع (ت ١٥٤٣م)^(٧).

أما العلامة الحضرمي محمد بن عمر بحرقي (٨٦٩هـ - ٩٣٠هـ/ ١٥٢٥م) فقد كان يتمتع برعاية مظفر شاه الثاني سلطان كجرات، ولهذا العالم رسالة في تحليل السماع الموسيقي، وللشيخ أو الشاعر الغنائي المتصوف عمر بن عبد الله بامخرمة السيباني (ت ١٥٤٥م) أغنية تدعو الناس إلى مقاومة إغراء الهجرة إلى الهند وترك الوطن كقوله:

ما نبا الهند لو تخطر علينا بفضّة

وما نبا إلا الوطن لو عضنا الجوع عضّة

وظهرت صورة في كتاب لجند حضارمة وعمانيين كلّ بعمامته المميزة يعملون كقوات غير نظامية في إمارة حيدر أباد الإسلامية وهم يرقصون رقصة حضرمية (الشرح)، التي تتطلب أن يرقص الناس أزواجاً ويصفقون (عام ١٨٨٩م)، ويومها كان رئيس الوزراء للإمارة هو نواب وقار العمارة الثاني (ت ١٩٠١م) نقلًا عن: [Claude A Campell, Glimpses of the Nizam's Dominions, London, ١٨٨٩].

وفي مقالة للأستاذ عبد الرحمن الملاحي، يقول: إن المطرب الحضرمي سلطان بن صالح بن الشيخ علي بن هريرة مات مسموماً على يد عشيقته الهندية الغيورة في مدينة مومبي، التي قضى فيها قسطاً من عمره القصير، إذ توفي عن عمر ٣٥ عاماً (ت ١٩٥٤م). عُرِفَ عن ابن هريرة المولود في الشحر أنه كان يعزف على القنبوس ويردّد الألحان الهندية بطلاقة، وله



سبقت الإشارة لها. ولا شك فإن الشواهد كثيرة حول آثار ذلك التواصل التجاري والحضاري والهجرات المتبادلة بين الهنود والعرب ومنهم الحضارة، وكذا الهجرات المتبادلة بين حضرموت وجنوب شرقي آسيا. غير أنها اليوم دون المستوى المطلوب، أي تعيش حالة من الركود والجمود. لذا كان لا بد من إحياء الصلات بين حضرموت والمهجر الآسيوي القديم.. ولعل من أبرز المحفزات لإحياء تلك الصلات بالمهجر الآسيوي العديد

المهاجرين الحضارة الذين ساهموا في بناء ماليزيا، وقبل ذلك في نشر تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. كذلك زار الوفد الماليزي مناطق وادي حضرموت برئاسة السيد علي العطاس رئيس غرفة تجارة وصناعة ماليزيا، وقال زيارتنا لأرض الآباء والأجداد حلم تحقق تمثيلاً منذ سنين، موضحاً أن هذه الزيارة تعد الأولى لحضرموت، وأنه كان يحلم بزيارة بلده منذ سنين كون جذوره من هذه الأرض المباركة -

التي تحمل في مكنوناتها كنوز التراث الحضرمي العلمي من مخطوطات ومؤلفات، واستطلع الكتب التي تحدثت عن علاقة حضرموت بالهند.

وبعد ذلك توجه السفير ومرافقوه إلى (دار المصطفى) بترميم للدراسات الإسلامية، حيث التقى ببعض الأساتذة والدعاة، بل التقى بعدد من الطلاب الهنود الدارسين بالدار وعددهم تسعة. وقد أبدى استعدادهم للتعاون المتبادل، وتذليل كل المصاعب، التي تواجه الطلاب الدارسين في (دار المصطفى) بحضرموت، ومن جميل ما ذكره السفير في أثناء هذه الزيارة هو الصلات التاريخية بين حضرموت والهند، مؤكداً عمق العلاقات التاريخية الحميمة بينهما، كما تحدث عن رحلات الحضارم التجارية إلى الهند، وإسهامهم الحضاري، ونشرهم للإسلام هناك حتى بلغ عدد المسلمين اليوم في الهند (١٨٠ مليون) مسلم. ومن أهم ما ذكره السفير أيضاً أنه وبحسب الإحصاءات الأخيرة في حيدر أباد يوجد مائتا قبيلة حضرمية فيها (١٠١). لذا كان لا بد على الحضارم، وبخاصة النخبة منهم، الاستفادة من مثل هذه الزيارات لإحياء العلاقات الحضرمية الهندية وتطويرها بما يخدم الشعبين الحضرمي والهندي معاً.

الخلاصة:

إن الصلات والعلاقات التي كانت تربط شبه الجزيرة العربية عامة وبلاد العرب الجنوبية خاصة بالهند وبغيرها من المناطق الآسيوية والأفريقية (شرقي آسيا وشرقي أفريقيا)، في عصورها التاريخية القديمة والوسيطة والحديثة، قد تمخض عنها اتصال وتفاعل حضاري وثقافي فاعل ونشط، ولعل أبرزها العلاقات التاريخية القديمة التي تربط الهند بحضرموت، والتي كان لها تأثير قوي على كلا الجانبين،

لا بد من بذل الجهود لإحياء الاعتبار لتلك العلاقات بين حضرموت والشرق الآسيوي بعامة، والهند بخاصة؛ وذلك بهدف الحفاظ على بقايا مفرداتها الحضارية، والتي ما يزال يشع بريقها.

حضرموت - وكثير من رجال الأعمال الاقتصاديين في شرقي آسيا ترجع أصولهم من حضرموت (١٠١). لذا كان لا بد من إحياء العلاقات مع المهجر الآسيوي، والاستفادة من الشخصيات السياسية والاقتصادية وبخاصة من ذوي الأصول الحضرمية وتطويرها بما يخدم مصالحهما.

أيضاً زيارة السفير الهندي لدى اليمن السيد أوصاف سعيد وزوجته، وقد قاما بزيارة مدينة تريم بحضرموت - عاصمة الثقافة الإسلامية، وكان يرافقهما المترجم بالسفارة الهندية الأستاذ نافع المساعدي، وعن قسم المراسيم الأستاذ عبد الرحمن حسان. وقد صرح سعادة السفير بأنه كان يتمنى زيارة تريم، وها هي الأمنية قد تحققت بزيارتها ورؤية مآثرها العلمية والتاريخية، وزار أيضاً (مكتبة الأحقاف)

من الزيارات التي شهدتها حضرموت حديثاً، ومنها: زيارة الوفد الماليزي برئاسة الدكتور مهاتير أو محاضير محمد رئيس وزراء مملكة ماليزيا الأسبق، في شهر ديسمبر ٢٠٠٨م، وذلك على هامش مؤتمر (الصناعة مستقبل اليمن)، الذي عقد في مدينة المكلا خلال المدة من ٢٢ - ٢٣ ديسمبر.

وقد قام الوفد الماليزي بجولة استطلاعية لمدينة المكلا، اطلعوا خلالها على المعالم السياحية والأثرية، ومن المعروف أنه عبر مينائها القديم انطلقت الهجرات الحضرمية إلى دول جنوب شرق آسيا. وقد أكد مهاتير محمد استعداد بلاده لتقديم خبراتها في المجالين الصناعي والتنمية البشرية وغيرها من المجالات لخدمة اليمن، وعلى وجه الخصوص حضرموت أرض الآباء والأجداد، مشيراً إلى الدور البارز للرواد



21

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
م 2018

(٤) محمد الندوي: تاريخ الصلات بين الهند وبلاد العرب، مرجع سابق، ص ٣٢-٣٣.
(٥) وهذا الأثر نجده أيضاً حاضراً في هجرات دول الخليج العربي للأسباب السابقة الذكر، ولوجود جالية هندية فيها - حتى اليوم - لها اتصال يومي مباشر مع مختلف أفراد المجتمع الخليجي. وقد ورد مثل ذلك التأثير اللفظي واللهجي في بعض أعداد مجلة الكويت لخالـد محمد خالـد (عدة حلقات) عن كلمات هندية وفارسية وسواحلية وغيرها، ومنها: العدد (١١٤) من مجلة الكويت، ديسمبر ١٩٩٢ م، ص ٤٨-٤٩؛ والعدد (١٠٩) من مجلة الكويت، سبتمبر ١٩٩٣ م، ص ٤٠-٤١.
(٦) بن هاوي باوزير وبن دحمان: مدينة العرفان.. غيل باوزير، ط ١، دار جامعة عدن، ٢٠١٠ م، ص ٦٩.
(٧) بامطرف: الشهداء السبعة، مرجع سابق، ص ٤٢؛ نزار غانم: التأثيرات المتبادلة في الموسيقى والغناء بين العرب وآسيا (اليمن والهند نموذجاً)، ص ٣٨.
(٨) للإفادة الوافية حول تلك التأثيرات المتبادلة في الموسيقى والغناء، انظر: نزار غانم: التأثيرات المتبادلة، ص ٣٢-٥٣؛ وعن أشهر الفنانين المتأثرين بالطابع الهندي انظر: باوزير: الفكر والثقافة في التاريخ الحضري، ص ٢٩١-٣٠٢؛ عبدالرحمن الملاحي: الريان بامعبيد ورزنامة الطريق، ص ٨.
(٩) للإفادة الوافية عن تنامي الاتصالات والهجرات المتبادلة انظر: عبدالله المدني: ثقافة الجاليات الآسيوية في الخليج العربي - بين التأثير والتأثر، من كتاب العرب يتجهون شرقاً، ط ١، ج ٢، سلسلة كتاب العرب، الكويت ٢٠١١ م، ص ١٦٦-٢٠٥؛ وللإفادة حول امتزاج العنصرين العربي والهندي انظر: محمد الندوي: تاريخ الصلات، مرجع سابق، ص ٤٣ وما بعدها.
(١٠) مجلة (شعاع الأمل)، العدد (٨٨)، مؤتمر مستقبل الصناعة في اليمن، المنعقد في مدينة المكلا... العدد (٨٨)، المكلا، يناير ٢٠٠٩ م، ص ١٢-١٩.
(١١) مراد صبيح: السفير الهندي في حضرموت، صحيفة (القضية)، العدد (٢٣٠)، السنة الرابعة، ٤ عدن، مايو ٢٠١٣ م، عدن، ص ١-٢.

لإحياء الاعتبار لتلك العلاقات بين حضرموت والشرق الآسيوي بعامة، والهند بخاصة؛ وذلك بهدف الحفاظ على بقايا مفرداتها الحضارية، التي ما يزال يشع بريقها الشاهد على ضرورة هذه العلاقات المتداخلة، والمحفز لتطورها. وهكذا كان لا بد من إعادة النظر في تلك العلاقات القديمة الحديثة، وتنشيطها، وعلى وجه الخصوص الاهتمام بالعلاقات الثقافية والاقتصادية مع المهجر الآسيوي القديم (الصين، إندونيسيا، وسنغافورا، وماليزيا...) وخصوصاً مع الهند - أقدم المهاجر الحضرمية - بل يجب أن يأتي ذلك على رأس الأولويات بالنسبة للحضارم، فدول مثل الهند والصين وغيرها من دول شرق آسيا تتقدم إلى صدارة الأمم في سرعة كبيرة، لذلك وجب على الحضارم الاستفادة من ذلك من خلال عودة العلاقات وتطويرها مع ما يواكب العصر - تكوين علاقات معاصرة.

الهوامش والمراجع:

- (١) شوقي عبدالقوي: تجارة المحيط الهندي، مرجع سابق، ص ٧-٨.
- (٢) يحيى محمد غالب: الهجرات اليمينية الحضرمية إلى إندونيسيا (١٨٣٩-١٩١٤ م)، مرجع سابق، ص ٣٥.
- (٣) للإفادة الوافية حول ذلك وكذا عن سيرة أشهر الملاحين في جزيرة العرب (عمان وحضرموت) وهم: الملاح أحمد بن ماجد، وسليمان المهري الشحري (المولود في الشحر)، انظر: حسن شهاب: فن الملاحة عند العرب، ط ١، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢ م، ص ٥٩-٧٨؛ وأنور عبدالعظيم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، مرجع سابق، ص ١٣٩-١٤٧؛ وعن ملاحي الشحر والحامي بحضرموت، انظر: أحمد بن محمد باعبد: الرحلات البحرية لملاحي حضرموت، مرجع سابق، ص ٥-٢١؛ ورزق الجابري: الحضارم في شرق أفريقيا، ط ١، دار حضرموت، المكلا، ٢٠١١ م، ص ٣٨-٤٢.

على المستوى الثقافي والاجتماعي، وخصوصاً على المستوى التجاري الذي كان أحد دوافع تلك العلاقات عبر الحركات التجارية بين الهند وعرب الجزيرة العربية وخصوصاً حضرموت وعمان، واستتبع ذلك تأثير قوي من خلال الاحتكاك بين الثقافتين، تمثل في انتشار الدين الإسلامي، وما ترتب على ذلك من احتكاك بالفكر العربي الإسلامي، وما أسفر عن ذلك كله من تلاقح وتفاعل حضاري وثقافي بين الجانبين، إضافة إلى هجرات العديد من الطرفين في العصور القديمة والإسلامية، بل استمرت تلك الهجرات في العصر الحديث.

لقد ظلت هجرات العديد من الهنود والآسيويين عموماً مستمرة حتى اليوم للعمل في بعض مناطق شبه الجزيرة العربية وبخاصة منطقة الخليج، وما تسبب في ذلك تأثير متبادل أيضاً بين الجانبين (العلاقات المعاصرة).

وصفوة القول إن العلاقات بين الهند والبلاد العربية (الوطن العربي) ومنها حضرموت - اليوم - نجدها دون المستوى المطلوب، وعلى وجه الخصوص، العلاقات الاقتصادية والثقافية، على الرغم من أهمية الهند وسرعة نموها الاقتصادي، وتقدمها التقني وخصوصاً في مجال البرمجيات، بل تقدمها النووي، واعتمادها على ثلثي حاجتها من النفط على النفط العربي، وحاجة العرب وبخاصة عرب الجزيرة العربية والخليج العربي، ومنهم الحضارمة للخبرات الفنية والعلمية، وللعمالة الهندية في دول الخليج. كذلك حال العلاقات الثقافية، فهي - اليوم - أيضاً دون المستوى المطلوب؛ لأن العرب ارتبطوا في مجال العلم والثقافة بالغرب بشكل أكبر لأسباب تاريخية أهمها الاستعمار الغربي وسيطرة اللغة الإنجليزية كلفة ثانية في معظم الوطن العربي.. إذ لا بد من بذل الجهود



لهجة حضرموت

(الحلقة الرابعة)



ضمن حضرموت خلال العصور الوسيطة، حتى استعان آل عفرار المهرة بالبرتغاليين لمواجهة الدولة الكثيرة الأولى في القرن السادس عشر الميلادي^(٢)، وبقيت ظفار هي الأخرى ضمن حضرموت اسمياً عندما عمّت الفوضى القبلية كل أنحاء حضرموت بضعف الدولة الكثيرة الأولى، ثم سقوطها في عام ١٨٣٨ م، وهو الأمر الذي أدى في الأخير إلى دخول عسكر السلطان تركي بن سعيد بن سلطان آل سعيد إلى ظفار في عام ١٨٧٩ م، ويعني ذلك أن حضرموت والمهرة وظفار وجزيرة سقطرى شكلت خلال العصور القديمة والوسيطة وحدة سياسية متكاملة. وبالإضافة إلى وحدتها السياسية شكلت حضرموت مع المهرة وظفار وجزيرة سقطرى منطقة اقتصادية واحدة، اشتهرت طيلة تاريخها القديم بإنتاج وتصدير أهم وأغلى المنتجات الزراعية في ذلك الزمان، حيث تحدث علي سعيد باكرت عن «المهرة باعتبارها أحد أجزاء هذه المملكة، مثلت مع ظفار منطقة الثروة الاقتصادية لحضرموت، ففي أرض المهرة وظفار وجدت أشجار اللبان التي كانت أهم سلعة تجارية في ذلك الزمان»^(٣). كما تحدث صاحب كتاب (الطواف حول البحر الإرتيري) عن وجود أشجار اللبان في جزيرة سقطرى، وعن نقل اللبان إلى ميناء قنا من داخل حضرموت وسواحلها^(٤).

لقد كان المهرة والشحري والسقطريون شركاء مع الحضارم في البناء الحضاري القديم الذي شهدته حضرموت في العصور القديمة، الأمر الذي يؤكد أن المهرة قدماء في أرضهم، ولا يوجد من ينازعهم عليها، أو يدعي ملكيتها، ولا يوجد من يطالبهم باستعادة الأرض التي قدموا



محمد عوض محروس

المشترك بين لهجة حضرموت والمتبقي من اللغات العربية الجنوبية القديمة

المهرية والشحرية والسقطرية:

يتحدث الناس في محافظتي المهرة وجزيرة سقطرى اليمينيتين ومحافظة ظفار العمانية بما بقي من اللغات العربية الجنوبية القديمة، التي اصطلح على تسميتها باللهجات المهرية والسقطرية والشحرية أو الجبالية كما يطلق عليها أيضاً نسبة إلى سكان جبال ظفار، وهذه المناطق التي مازال أهلها يتخاطبون ويصوغون إبداعاتهم بها إلى جانب اللغة العربية الفصحى كانت في الماضي ضمن أراضي مملكة حضرموت القديمة، حيث يقول علي سعيد باكرت: «كانت المهرة في تاريخها القديم جزءاً من مملكة حضرموت التي امتدت نفوذها إلى مساحة واسعة من بير علي غرباً وحتى ظفار شرقاً.. وجزيرة سقطرى خضعت أيضاً لملك بلاد اللبان كما جاء في الكتابات التاريخية القديمة»^(١)، وظلت تلك المناطق



يتوقف منذ القدم، إلا أن الهجرات الأكبر والأوسع من المهرة إلى جزيرة سقطرى تمت في القرن السادس عشر الميلادي في أثناء مقاومة الغزو البرتغالي للجزيرة^(١١)، وهذا يعني أنها تمت بعد تكون اللغة السقطرية بوقت طويل.

وظلت لغة حضرموت حية على ألسن الناطقين بها لمدة طويلة من الزمن، وقد وجدت آلاف النقوش التي كتبت بها داخل حضرموت وخارجها، إلى أن أصبحت اللغة السبئية هي اللغة الرسمية في حضرموت ابتداءً من القرن الرابع الميلادي، وذلك بعد احتلال جيش أعراب مملكة حمير^(١٢)، وبدأت اللغة العربية الفصحى تأخذ مكانها على ألسن الحضارم، خاصة في المناطق الغربية، فيما بين مدينة شبوة عاصمة حضرموت القديمة في الشمال وميناء قنا على بحر العرب في الجنوب، وفي منطقة الكسر والمناطق المجاورة لها في غرب وادي حضرموت، حيث فرضت القبائل الناطقة بالسبئية لغتها كلفة رسمية، وتعاملت قبائل كندة ومذحج وغيرها من القبائل التي قدمت من نواحي عسير ووسط الجزيرة العربية باللغة العربية الفصحى في كل معاملاتها وعلاقاتها في حضرموت، واحتفظ الناس في بقية مناطق المملكة (المنكوبة) حضرموت، بلغتهم القديمة التي اندمجت مع مرور الأيام والسنين مع اللغة العربية الفصحى، وكان من نتيجة ذلك الاندماج اللهجة المحلية التي يتحدث بها اليوم أهل حضرموت، بينما ظل الآخرون في بعض مناطق المملكة، المهرة والشحرى وغيرهم من سكان ظفار والسقطريون محتفظين بلغاتهم القديمة إلى يومنا هذا، وإلى ما شاء الله في قادم الأيام.

واللهجة الدارجة في حضرموت اليوم ليست بعيدة عن اللغات المهرية والسقطرية والشحرية (الجبالية)، فهناك كثير من المشترك الذي يجمع بينها، وقد تحدث علي بن محسن آل حفيظ عن التأثير المتبادل بين اللغتين المهرية والشحرية ولهجة حضرموت بقوله: «من المنطق السليم ربط المنطقة الساحلية الممتدة من المكلا إلى منطقة (الجازر) ورأس الحد) و(جزيرة مصيرة) باسم بلاد مهرة في فترة من الفترات التاريخية.. ولا يقلل من هذا الاستنتاج عدم تداول اللهجة المهرية أو الشحرية في بعض هذه المناطق، علماً بأن الآثار اللفظية لهذه اللهجات موجودة اليوم على ألسنة الناس»^(١٣)، كما تحدث عن لغة المهرة في المناطق الواقعة بين جبل فرتك وقرية العيص في غرب محافظة المهرة بقوله: «المهرة

إليها كما يقول بعض كُتّابهم بأنهم نزحوا إليها من مأرب بعد تدهم السد في أواخر القرن السادس الميلادي»^(١٤)، ويعد عالم اللغات اليهودي إسراييل ولفنستون في كتابه (تاريخ اللغات السامية) والعالم الألماني نولدكه في كتاب (اللغات السامية) أن اللغة المهرية يرجع عهدها إلى ألف سنة قبل الميلاد، بينما يرى علي بن محسن آل حفيظ: «أن عمر المهرية أطول وأكبر من فترة الألف سنة قبل الميلاد»^(١٥).

وتحدث علي بن محسن آل حفيظ عن الصلات الوثيقة بين اللغات المهرية والشحرية والعربية الفصحى، ولكنه لم يكن موافقاً في قوله: «إن اللهجة الشحرية هي الامتداد الطبيعي للهجة المهرية الحديثة إن لم يكن كلامهما مشتقاً من مصدر واحد هو اللهجة الحميرية القديمة»^(١٦)؛ حيث ابتعد كثيراً عن حقائق الجغرافيا والتاريخ الفعلي وليس الوهمي؛ نظراً لتباعد ديار حمير عن المهرة وظفار، ونظراً لتأخر ظهور حمير زمنياً عن تكون لغتي المهرة والشحرى، حيث تكون التحالف الحميري الذي يزعم البعض انتساب المهرة إليه في مدة قريبة من ميلاد المسيح، وحمير ليست قبيلة واحدة، فقد وردت في النقوش كتتحالف قبلي ((أشعب حمير)) (Ja ٥٧٦) أي شعوب حمير^(١٧)، وظهرت دولة حمير للوجود سنة ١١٥ قبل الميلاد، بينما اللغتان المهرية والشحرية قديمتان قدم وجود المهرة والشحرى في أرضهم، ولا يوجد أي أثر للغة المهرية بين تحالف حمير.

وبالنسبة للغة السقطرية هناك استنتاج لعضو البعثة اليمنية السوفييتية العالم الكسندر سيدوف يقول فيه إنه: «من المحتمل أن هذه القبائل الناطقة بالسقطرية قد وجدت في الجزيرة في الألف الثاني - الأول قبل الميلاد نازحة من المناطق الساحلية لجنوب الجزيرة العربية، التي كانت تتبع بصورة مباشرة لمنطقة حضرموت»^(١٨)، ويرى المستشرق الإنجليزي بنت Thoder Bent «أن الأحوال اللغوية في جزيرة سقطرى تدل على وجود صلات وثيقة باللغة المهرية» منذ «الزمن الذي وضع فيه كتاب الرحلة، وهو الزمن الذي كانت فيه تبعية جزيرة سقطرى لمملكة حضرموت»^(١٩). وكما هو معروف فإن كتاب (الرحلة) أي (الطواف حول البحر الإثري) وضع بعد زيارة مؤلفه المجهول لسواحل بلاد العرب الجنوبية في القرن الأول للميلاد كما يرجح أغلب الباحثين، والتواصل بين سكان الجزيرة وسكان سواحل حضرموت والمهرة وظفار لم



يعتبرون لغة هذه المناطق أصوب وأثبت من مهرية بقية المناطق، غير أننا نظن خلاف ذلك، حيث إن لغة هذه المناطق أكثر عرضة للاحتكاك بلغات أخرى.. وذلك لقرب الأقسام الجنوبية والغربية من محافظة المهرة من ساحل حضرموت ومنطقة المشقاص بالذات، إن لهجة المهرة في هذه المناطق على صلة قوية بلغة سكان منطقة المشقاص -تمتد من مدينة الدير شرق مدينة الشحر إلى قرية حساي الواقعة غرب بلدة العيس- ولهجة سكان هذه المناطق لهجة عربية ظنية، والبعض يسميها كثيرية، وعلى العموم هي لهجة حضرمية» (١٤).

كما تحدث آل حفيظ عن تأثير اللغتين المهرية والشحرية ولهجة حضرموت في اللغة السقطرية بقوله: «إن اللهجة السقطرية مكونة في غالب مفرداتها اللفظية من اللهجة الشحرية، تليها اللهجة المهرية في المرتبة الثانية، ثم اللهجة الحضرمية (عربية) ولا سيما لهجة المكلا والشحر. وإذا ما حاولنا قياس اللهجة السقطرية إلى أي من اللهجات الأخرى تعود قرابتها، قلنا إنها إلى الشحرية أقرب من المهرية والحضرمية» (١٥).

ويرى علي بن محسن آل حفيظ أن مقولة أبي عمرو بن العلاء الشهيرة «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا» لا تخرج عن كونها إشارة إثبات ودلالة وضوح على الإقرار بتعدد الألسن واللهجات بين العرب، ليس هذا فحسب بل إن التعدد في اللهجات والتباين في اللهجة الواحدة لحادث اليوم كما نلمسه من واقع الحال في البلاد العربية مثلاً من الاختلاف والتمايز في لهجات المناطق والمدن في الإقليم الواحد»، وهناك من قال بخلاف ذلك، «ولعل الهمداني من الذين يفترض فيهم المعرفة الكاملة -من كُتاب عصره- بلغة مهرة وخصائصها ومنحدرها.. إلا أن الأمر بخلاف هذا لدى الهمداني، حيث الذي دونه عن (لغات) مهرة لا يتعدى الجاهل بالشيء، قال في (صفة جزيرة العرب): وأهل الشحر والأسعاء ليسوا بفصحاء مهرة غتم يشاكلون العجم.. وهذا يدل على جهل الهمداني بلسان مهرة.. ويبدو جهل الهمداني بأرض مهرة واضحاً وجلياً.. فيبدو من حديثه العابر أنه لم ير هذه المنطقة ولم يعاشر أهلها، وإنما أخذ معلوماته عن (مهرة) من الرواة، وهذا أحد المآخذ على الهمداني، ومن الجلي جداً أن رواة الهمداني عن مهرة ولهجاتهم من ذلك الصنف الجاهل الأمي أو المتعمد الإساءة للمهرة» (١٦)، وهنا يبرز التناقض واضحاً

بين ما رواه الهمداني عن أنساب المهرة، وما كتبه عنهم وعن لغتهم.

وحديث علي بن محسن آل حفيظ عن جهل الهمداني ببلاد العرب ولغاتهم ليس جديداً، فقد سبقه الشيخ حمد الجاسر في ترجمته للهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) بالحديث عن جهل الهمداني ببلاد نجد ومنازل القبائل في الجزيرة العربية (١٧)، وقال عنه إنه: «كان مشهوراً بالكذب في الأنساب مع معرفته بها» (١٨)، كما تحدث محمد عبدالقادر بامطرف في ملاحظاته على ما كتبه الهمداني عن جغرافية حضرموت عن جهل الهمداني بحضرموت وأهلها (١٩).

على الرغم من ذلك فإن اللغات الحضرمية والمهرية والشحرية (الجبالية) والسقطرية هي لغات عربية جنوبية قديمة، وهي إذن عربية في أصلها ومنشأها، والناطقون بها عرب، وهناك كثير من المشترك بينها وبين اللغة العربية الفصحى، وكلها ما عدا اللغة الحضرمية ما زالت حية على ألسن الناطقين بها، وهي تنفي عن نفسها كل التهم والأوصاف السيئة التي وصفها الجاهلون بها، ليس هذا فحسب، بل إن اللغات المهرية والشحرية والسقطرية أصبحت اليوم موضوعاً للبحث والدراسة والتعلم في بعض البلدان العربية والأوروبية؛ حيث اهتمت بها مراكز الأبحاث، وفتحت مراكز خاصة لدراساتها وتعلمها.

وعن الامتداد الجغرافي للغة المهرية يقول علي بن محسن آل حفيظ: «مما يلفت النظر كبر المساحة الجغرافية للهجة المهرية أكثر من غيرها.. فهي موجودة في كافة بلاد المهرة المعروفة اليوم -مدناً وبادية-.. وهي لغة الأغلبية، والكل يتكلمها ويتفاعل معها، فضلاً عن كونها أكثر اتساعاً من حيث الامتداد الجغرافي لمتكلميها، فقد تعدت منطقة المهرة إلى بعض جبال ظفار وبعض بواديها، حيث توجد بعض الامتدادات القبلية المتحدثة بالمهرية أصلاً، ليس هذا فحسب بل إن لهجتي الحراسيس والبطاحرة هي امتداد للهجة المهرية مع اختلاف لفظي طفيف» (٢٠)، وهذا ما دعاه للقول: «ولعل هذه إحدى الظواهر التي جعلتنا نعتقد بأن اللهجة الشحرية ما هي إلا امتداد للهجة المهرية أيضاً» (٢١).

وهناك كثير من المشترك اللفظي بين اللغة المهرية واللهجة الداريجة في حضرموت اليوم، وبينها وبين اللغتين الشحرية (الجبالية) والسقطرية، وقد تحدث علي بن محسن آل حفيظ عن ذلك بإسهاب في كتابه (من



هو يكتوب، هي تكتب، نحن نكتب.

هو يضحك، هي تضحك، نحن نضحك.

هو يزوفن، هي تزوفن، نحن نزوفن.

وهناك صيغة مبالغة أخرى للفعلين الماضي والمضارع عند أهل المشقاص في شرق حضرموت، وفي مناطق أخرى من حضرموت كواحي دوعن، وهي مثل:

الفعل الماضي	صيغة المبالغة للفعل الماضي	صيغة المبالغة للفعل المضارع
فَعَلَ	فَعُولٌ	يفْعول
كَتَبَ	كَتُوبٌ	يكتوب
ضَحَكَ	ضَحُوكٌ	يضحك
بَكَى	بَكُوى	يبكي
شَرَبَ	شَرُوبٌ	يشرب
زَفَنَ	زَفُونٌ	يزفون
دَهَرَ	دَهُورٌ	يدهور

واللغة الشحرية (الجبالية) هي لغة أهل «المنطقة الجنوبية من سلطنة عمان، وتمتد جغرافية هذه اللهجة من بلدة ضلكوت الساحلية غرباً إلى منطقة حاسك وجزر الحلانيات (كوريا موريا) شرقاً، أما شمالاً فإلى أطراف مقشن والشصر وحبروت على حواف بادية الإقليم، وبصورة عامة فإن مجال اللهجة الشحرية يشمل كل رقعة ظفار مدناً وسهولاً وجبالاً وبادية» (٢٤).

وتغلب الفصحى على لسان سكان المدن خاصة صلالة عاصمة إقليم ظفار، وقد نسبت الشحرية إلى قبائل الشحرى سكان ظفار القدماء، ويقول علي بن محسن آل حفيظ أن: «جبال ظفار هي مرتع الشحرية، لقد عرفت هذه الجبال لدى بعض الكتاب القدماء بجبال (شحير) وربما نسبت إلى اللهجة أو نسبت اللهجة إليها.. وقال بعضهم إنها لغة (الحكلي) أو لغة (أحكلي) التسمية الحقيقية والمحلية لقبائل القرا» (٢٥). ويطلق عليها الآن الجبالية نسبة إلى متحدثيها سكان جبال ظفار الذين لا يتحدثون إلا هذه اللغة وسط تلك الجبال.

وتتشرك اللغة الشحرية (الجبالية) في كثير من المفردات والمصطلحات مع لهجة حضرموت منها:

لهجات مهرة وأدبها)، ويتأكد ذلك من خلال ما يتردد يومياً على ألسن الناس في حضرموت والمهرة وظفار وجزيرة سقطرى من الألفاظ العربية الجنوبية المشتركة. ومن المشترك بين لهجة حضرموت واللغة المهرية الألفاظ الآتية:

اللفظ في لهجة حضرموت	اللفظ في اللغة المهرية ^(٢٦)	اللفظ أو معناه في الفصحى
بَعِير	بَعِير	جمل
بَخْت	بَخْت	حظ
بَخَص	بَخَص	وجع
خَس	خَس	رديء، عدد فردي
زَفَن	زَفَن	رقص
سَعِيف	سَعِيف	مرافق، صديق
شُخْب	شُخُوف	القليل من اللبن
فَشِل	فَشِل	عمل، شغل
فَقَح	فَقَح	نصف
كَلَان	كَلُون	عريس
لَخَم	لَخِيم	سمك القرش
مَطْرَاق	مَطْرَاق	زقاق، شارع ضيق
هَدَف	هَدَف	قصد للضيف القادم، والهادف هو الضيف وهو المولود الجديد
نَتَخ، نَتَخ	نَتَخ	للقارب أو السفينة القادمة من أعماق البحر
هَرَج	هَرَج	تكلم

وفي المهرية يُمثل حرفا (التاء والدال) أحرف المضارعة، وهي تسبق الفعل كقولهم:

د كوتب: أنا أكتب.

تكتوب: أنت تكتب.

د كوتب: هو يكتب للغائب.

سه تكتوب: هي تكتب.

د نكتوب: نحن نكتب.

وهي على صيغة (د فوعل / تفوعل / د نفوعل) بالإضافة أحرف المضارعة المهرية (الدال والتاء) التي تسبق الفعل (٢٦). وصيغة الفعل المضارع في المهرية هذه ترد أيضاً في لهجة حضرموت، عند أهل المعارب في غرب حضرموت كصيغة مبالغة للفعل المضارع، ولكنها ترد دون أحرف المضارعة المهرية (الدال والتاء)، وهي كقولهم:



اللفظ في لهجة حضرموت	اللفظ في اللهجة السقطرية	اللفظ أو معناه في الفصحى
حُصَحَص	حصحص	أحجار صغيرة جداً تحملها الرياح تحفي عين الإنسان، وتعييب التمر الذي تعرض للرياح
خط	خط	رسالة
زمل	زمال	وهو الشوار الذي يوضع على ظهر الحمار أو البعير كالبردة والحقيبة وغيرها
شُخِب	شخف / شخاف	القليل من اللبن
صُفِر	صُفِر	نحاس
غُبَة	غُبَة	أعماق البحر، وهي أيضاً عقدة في حبل
غدف	غدف	اصطاد اسماء العيد (السايردين) أو غيرها من الأسماك الصغيرة بشبك المغوير
قرح	قرح	انفجر
كبس	كبس	ردم
كراء	كراء	أجرة البيت أو المحل أو النقل
لح	لوح	تعبير عن صلة القرابة أي النسب الأكثر قرباً، كان تقول هذا ابن عمي لح.
مجر	مجمارة	مقطرة أي مبخرة كبيرة
نُخْرَة	نخرر	أنف

ووفقاً لما قاله عالم الآثار والنقوش الكسندر سيدوف وعلي بن محسن آل حفيظ، فإن اللغة السقطرية قديمة، وهي لغة القبائل والجماعات التي انتقلت إلى الجزيرة قادمة من سواحل حضرموت في حدود الألف الثاني - الأول قبل الميلاد، كما إن المشترك اللفظي للغات العربية الجنوبية القديمة، الحضرمية، والمهرية، والشعرية، والسقطرية واللهجة السائدة اليوم على ألسن الناس في حضرموت يؤكد الأصل والجذر الواحد لكل اللغات واللهجات القديمة في مساحة مملكة حضرموت القديمة. وهناك ثلاث لهجات أخرى مازالت سائدة على ألسن الناس في شرق محافظة المهرة في الجمهورية اليمنية، وفي شرق محافظة ظفار في سلطنة عمان هي:

١- لهجة ال (حكيلوت) وهي لهجة مهريّة كانت تُنسب لقبائل القرا، وقد انقرضت هذه اللهجة من ألسن القرا، وبقيت سائرة على ألسن أهل حوف في شرق محافظة المهرة، وهي تعرف اليوم بال (هيبوت) (٢٨).

اللفظ في لهجة حضرموت	اللفظ في اللهجة الشعرية (الجبالية) (٣١)	اللفظ أو معناه في اللغة الفصحى
جلز	جلزت	الأرض الخالية من البلل التي يستطيع الناس السير عليها عند نزول المطر
خيصة	خيصت	خليج صغير
زهد	زهاد	خمن، عرف
سلب	سلاب	سلاح
شُحِف	شحف	جزء صغير مسنن من الخشب أو من لحاء الشجر
طُلق	طلق	حرّ طليق
طُهم	طهم	اختفى ولم يعد له أثر
عُري	عري	قط
غُلب	غلب	رفض
فر	فر	طار (للطائر أو ما شابه)
قليد / اقليد	قلد	مفتاح خشبي
مُي	مج	ملأ الفم من الماء
موفر	مفر	الطبقة الواحدة من البناء بارتفاع خمس مدرات من اللبن النيء أو فصلين من الحجر

وبيئة اللغة السقطرية هي أرخبيل سقطرى، ومن المشترك اللفظي بين لهجة حضرموت واللغة السقطرية التالي:

اللفظ في لهجة حضرموت	اللفظ في اللهجة السقطرية (٣٢)	اللفظ أو معناه في الفصحى
بغير	بيعر وتجمع على أبعر	جمل
جَحي	جَحي / جيحي	الحجّي في حضرموت هو الأرض المسطحة المرتفعة عن مجاري المياه، وهي المقد والجول والسوط، أما في السقطرية فالجَحي أو الجيحي هي الأرض التي مر بها السيل



- ١٩) ملاحظات على ما كتبه الهمداني عن جغرافية حضرموت، ص ١٠-٢٥.
- ٢٠) من لهجات مهرة وأدائها، ص ٥٦.
- ٢١) المصدر السابق، ص ٥٧.
- ٢٢) ينظر: سالم لحيمر محمد القميري، المهرة القبيلة واللغة.
- ٢٣) علي بن محسن آل حفيظ، مصدر سابق، ص ٥٨.
- ٢٤) المصدر السابق، ص ٥٥.
- ٢٥) المصدر السابق، ص ٥٥.
- ٢٦) ينظر: الشيخ محمد بن مسلم بن طفل المسهلي، مفردات من اللهجة الشحرية.
- ٢٧) ينظر: أحمد بن سعيد بن خميس الأنبالي، تاريخ جزيرة سقطرى، أبو عمر عبد العزيز سليمان الدهري بن قطن، اللهجة السقطرية وما ورد منها في اللغة العربية.
- ٢٨) علي بن محسن آل حفيظ، مصدر سابق، ص ١٣، سالم لحيمر محمد القميري، القبيلة واللغة، ص ٢٠٢.
- ٢٩) علي بن محسن آل حفيظ، المصدر السابق، ص ٢٢.
- ٣٠) المصدر السابق، ص ٢٢.

المراجع:

- ١- الأنبالي أحمد بن سعيد بن خميس، تاريخ جزيرة سقطرى، مطبعة الصحابة العين - الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٧م.
- ٢- آل حفيظ علي بن محسن، من لهجات مهرة وأدائها، مطابع النهضة، مسقط - عمان.
- ٣- باكرت علي سعيد، المهرة الأرض والإنسان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٩م.
- ٤- بامطرف محمد عبدالقادر، ملاحظات على ما أورده الهمداني عن جغرافية حضرموت في كتبه (صفة جزيرة العرب) والجزأين الأول والثاني من كتاب الإكليل، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٤م.
- ٥- بن قطن أبو عمر عبد العزيز سليمان الدهري، اللهجة السقطرية وما ورد منها في اللغة العربية، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الأمانة العامة صنعاء - مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء - دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، ٢٠٠٤م.
- ٦- الجرو أسمهان سعيد (د)، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن القديم)، ١٩٩٦م.
- ٧- سيدوف الكسندر، التنقيبات الأثرية في جزيرة سقطرى حضرموت القديمة والمعاصرة، الأبحاث الميدانية للبعثة اليمنية السوفيتية لعام ١٩٨٧م، ج ٢، المركز اليمني للأثار والأبحاث الثقافية، سينون، حضرموت.
- ٨- شهاب حسن صالح، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، ١٩٨١م.
- ٩- فرانتسوزوف سرجيس (د)، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، تقديم وتعريب د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للأثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، ٢٠٠٤م.
- ١٠- القميري سالم لحيمر محمد، المهرة القبيلة واللغة، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٣م.
- ١١- المسهلي محمد بن مسلم بن طفل، مفردات من اللهجة الشحرية، ١٩٩٧م.
- ١٢- الهمداني الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار الآداب، بيروت - لبنان، ١٩٨٣م.

- ٢- لهجة قبيلة البطاحرة التي تعيش في المنطقة الممتدة ما بين جبل سمحان في الغرب وجزيرة مصيرة في الشرق في سلطنة عمان، وهذه اللهجة خليط من الشحرية والمهرية، وربما هي إلى الشحرية أقرب من المهرية نظراً لقربها من ساحل منطقة الجازر وجبال ظفار مرتع الشحرية (٢٩).
- ٣- لهجة قبيلة الحراسيس في شرق ظفار، وهذه القبيلة تسكن نفس المنطقة التي تسكنها قبائل البطاحرة، ولهجاتها «مهرية» في معظم مفرداتها يداخلها شيء من التأثير من ألفاظ الشحرية والفصحى معاً، مما جعلها تكتسب بعض الخصائص البيئية، إلا أنها تبقى في الجوهر مهريّة صرفة (٣٠).
- لقد تحدث كثير من الكتاب الذين كتبوا عن اللغات العربية الجنوبية القديمة المتبقية في البلاد العربية الجنوبية - المهرية والشحرية والسقطرية - كلهجات بما فيهم بعض الناطقين بها، أما في هذا البحث فقد تم الحديث عنها كلغات قائمة بذاتها نظراً لبقائها حية على ألسن المتحدثين بها بعد اندثار اللغات العربية الجنوبية القديمة الأخرى في المنطقة، كما إن الحديث عن اللهجات التي تفرعت عنها يؤكد وجهة النظر هذه بأنها لغات قديمة أصيلة، وليست لهجات متفرعة عن لغات أخرى.

الهوامش:

- ١) المهرة الأرض والإنسان، ص ١٥.
- ٢) المصدر السابق، ص ٢٠.
- ٣) المصدر السابق، ص ١٥.
- ٤) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، ص ١٣٢، محمد عبدالقادر بافقيه، تاريخ اليمن القديم، ص ١٨٣.
- ٥) سالم لحيمر محمد القميري، المهرة القبيلة واللغة، ص ٩.
- ٦) من لهجات مهرة وأدائها، ص ٥٥.
- ٧) المصدر السابق، ص ٢٠.
- ٨) د. أسمهان سعيد الجرو، موجز التاريخ السياسي القديم لجنوب شبه الجزيرة العربية، ص ٢٠٧.
- ٩) التنقيبات الأثرية في جزيرة سقطرى الأبحاث الميدانية للبعثة اليمنية السوفيتية لعام ١٩٨٧م، ج ٢، ص ٢٠٤.
- ١٠) علي بن محسن آل حفيظ، مصدر سابق، ص ٩٧.
- ١١) المصدر السابق، ص ٨٨.
- ١٢) د. سرجيس فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده، ص ١٢٤، هامش رقم ١٥.
- ١٣) مصدر سابق، ص ٢٢.
- ١٤) المصدر السابق، ص ١٢١.
- ١٥) المصدر السابق، ص ١٢٣.
- ١٦) المصدر السابق، ص ١٠٠.
- ١٧) الحسن بن أحمد الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ١٤.
- ١٨) المصدر السابق، ص ١٦.



من ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الحضري

المقدمة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وبعد: فالشعر يُعدُّ ديوان العرب، وبه حُفِظَت الأنساب، وعُرِفَت المآثر، ومنه تُعَلِمَت اللغة، وهو حجة فيما أشكل من غريب كتاب الله، وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآثار صحابته والتابعين، وكان الشعر في الجاهلية ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم، به يأخذون، وإليه يصيرون. وفي حضر موت يقسم الشعر إلى قسمين: حكمي، وحميني (الشعبي). وهذا موضوع يبحث عن معرفة ملامح من توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الحضري بكافة أنواعه.

انتهجت في هذا البحث المنهج الجمعي الوصفي التحليلي إلى حدٍّ ما، محاولاً استقصاء فيه جميع مناطق حضر موت، وذكر أكبر عدد ممكن من الشعراء، ولو أن ذلك يحتاج إلى دراسة تفصيلية متأنية، أو أن يؤخذ أحد أنواع التاريخ كجانب موضوعي، أو إحدى مناطق حضر موت كجانب مكاني، وتحديد مدة زمنية ما.

اعتمد هذا البحث على عدد من المصادر والمراجع، كانت بمثابة العمود الفقري له، وقد انتظم في مقدمة هذه، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، وقائمة بالمصادر والمراجع، ومباحث البحث الأربعة، هي:

- المبحث الأول: ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ السياسي.
 - المبحث الثاني: ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الاقتصادي.
 - المبحث الثالث: ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الاجتماعي.
 - المبحث الرابع: ملامح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ العلمي.
- هذا ونسأل الله التوفيق والسداد والصواب فيما نقول.

المبحث الأول

ملمح توثيق الشعر الشعبي للتاريخ السياسي

لم تعرف حضر موت استقراراً سياسياً وبخاصة في القرن الثالث عشر الهجري ومجيء قبائل يافع واستقرارها بحضرموت وإنشاء لها كيانات سياسية، فدخلت حيناً في فراغ في بعض مناطقها، فكثرت الفتن بها، كما حدث في تريم سنة ١٢٤٣ هـ، مما حدا بالشاعر عبدالرحمن بن محمد بن شهاب (٥) أن يجسد ذلك في قصيدة مطلعها:

يا مكرب النفس بالأشعار سليلها

ومن بديع غريب اللفظ غذيها

وشم من مزهر الآداب غاليها

وقل إلهي بحق المصطفى فيها

يا رب أجرنا من الفتنة وأهلها (٦)

ولذا فقد حل الخوف بالناس وهجروا

أوطانهم ورحلوا عنها، فقال أيضاً:

ثم قال من بات طول الليل يتفكر

فيها مضى وسط وادينا وما قد مر

الكلام الذي يفهمه عامة الناس.

الشعر الحكمي: الذي يحافظ على الروي والقافية والقواعد والأسلوب الشعري ويعالج موضوعات مألوفة شائعة (٧).

لقي الشعر الحميني إقبالاً لدى العامة والخاصة، في ظل الصراعات السياسية والقبلية المتكررة والانشغال بأمور الدنيا، مما هيا له قاعدة شعبية عريضة حفظت له ازدهاره وتفوقه، وبخاصة أن شعراءه قد توافر لهم الخيال الخصب، والتصوير الفني الجميل، الذي يرتقي، بل يتفوق أحياناً على خيال وشعراء العربية وتصوّرهم (٨).

تبدأ الكثير من القصائد الشعبية بعبارة ابدى ربّي: أي أبدأ بذكر ربّي، أو ابدى بالله، أو يا الله ابدى بك، أو ذا فصل، وتنتهي بالختم وبالثناء والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (٩).

والشعر الشعبي (الحميني) فيه ذخيرة تاريخية وتراثية، وفيه من النصائح والحكم، التي يوجه بها الداني والقاصي، والحاكم والمحكوم، والراعي والرعية، يستحق أن يكون موضوع دراسة بحثية.



د. محمد يسلم عبدالله النور

التمهيد:

يعد الشعر في حضر موت كما هو الحال في جميع البلدان العربية فناً من الفنون الرئيسية، أو بالأحرى هو الفن السائد الذي تمارسه وتتذوقه كل الطبقات، ولهذا فهو مظهر من مظاهر الحياة، وربما يكون أكثر المظاهر بروزاً في مختلف الأنشطة والاحتفالات الشعبية - وإلى اليوم - ولذا أصبح من الممكن الحصول على معلومات عن جميع مظاهر الحياة السياسية والحضارية بأنواعها: الاقتصادية، والاجتماعية، والعلمية، وغيرها (١٠).

والشعر نوعان:

الشعر الحميني (الشعر العامي): وهو



جسد ذلك الشعراء في قصائدهم
ومنهم محمد بن أحمد باوزير
(بوسراجين) (١٣) يقول:

طلبناك يا من عند الرزق والأجل

ومزق جميع الوحش لي في سهولها
ومشي سحاب القطر والرعد والسيل

ومقدارها عندك وبامرك نزولها (١٤)

وعندما شنت بريطانيا الحرب على
قبائل حضرموت ومنهم البادية
بمنطقة راسب وقصفها بالطائرات سنة
١٣٥٥ هـ قال الشاعر عبيد باعدي (١٥):

اللولة قالوا تنقي للمساكين الغريب
والثانية ظهرت نارة في تفزع كل ذيب
ذا غيث متنوي وبرقه في القزح يلهب لهيب
خلفه على المعدي وطرحه في راسب صبه صبيب
وين الذي غراك حل الموت ما جاب الطبيب
استحرم الجمعة في الجامع وما شاف الخطيب (١٦)
كما عبر الشاعر سعيد سالم باعدي (١٧)

عن هذا الحدث بقصيدة مطلعها:

أبدت بالواحد المعبود عز وجل

سبحان من لا له كفؤ ولا له مثل (١٨)

عندما تدخل المستر إنجرامس بأمر
من حكومته في شؤون حضرموت
الداخلية، وأبعد سلاطينها وأساطينها
عن إدارة بلادهم، وتولى هو وحلفاؤه
إدارة الأمور، قال الشيخ صلاح أحمد
الأحمدي قصيدته (هم حضروا البيعة) (١٩)
التي أرسلها من مهجرة بحيدر أباد
الدكن سنة ١٣٥٨ هـ يقول:

أبدت بك وادعوك يا جيد وغيرك ما يجود
يا حي يا قيوم يا مطلق من الساق القيود
أسألك غفرانك إذا بيتت وحدي في اللحد
قال القعيطي طول ليلي ما تهنت الرقود
ويقول:

أين الدول أين آل عبد الله وهمدان الأسود
وين ابن مطلق وين ربه وين بن سالم عبود
أين القعيطي أين يافع لي تطرح في الربود
ذي يرغضون السيل محري يطلعونه في سنود

قايستهم بعد الزرالي فيهم

تمسي جميع اشوارهم مزموه (٢٠)

والمعروف في هذه المدة أن تريم مع
يافع والدكين شرقي دمون أيضاً مع
يافع ودمون مع آل سلمة التميميين،
وقصد آل يافع الاستيلاء على دمون،
وقد طال الحصار بحيث استنجد المعلم
عبد الحق من دمون بال تميم (٢١).
ولما حطوا يافع على دمون سنة
١٢٥٤ هـ وبينهم وبين قبائلها حلف
فنقضوه وعابوا قال:

قال الذي له زمن في الشعب عامد وحال
حالت من فيه عامد حلف ما هو محال
حلفي على نفسي أيضاً وإن أتونا عيال
حلفي على الدم والفرث اسمعوا ذي المقال (٢٢)
وعندما أخذ يافع مدينة شبام، قال
الشيخ عبد الله بن صالح بن نقيب
اليافعي (٢٣) وأرسلها إلى المعلم سعيد
عبد الحق:

يا رب نسألك بالأسماء كلها تشرح

من الخطايا عسى بالعفو يوم النور
اغفر ذنوبي إلهي رب لا تفضح
راجيك تكرم بجودك عندي التقصور
لأعمال ما هي برية فوقها نطرح
عسى الجمالة ونفرح يوم نفخ الصور
رد عليه المعلم بقصيدة طويلة بدأها:

لاحت بروق الظفر في الليل لي جوح

وحن رعد الجميلة فوق روس القور
وبعد قيام الدولة الكثيرة الثانية في
عهد السلطان غالب بن محسن
الكثيري وأخذه بندر الشحر واستولى
عليها وملكها سنة ١٢٨٣ هـ هنا
المعلم بقوله:

أسألك يا معبود يا ملجأ ومنجا من سأل
يا من لك التصريف في لولا وفي قوله لعل
والنصر بيدك لا بيد الغير لي يضرب مثل
يقول ما يفعل ولا يربحه فعله لي فعل
وعندما دخل الإنجليز إلى حضرموت

من الفتن والمحن والخوف والمنكر

والناس ساروا من الغناء إلى الوديان

قصورها العالية خربت من الباطل

تظل تبكي على من حلها هاتل

وكم من ترى بعدهم من مسجد عاطل

أهل الهدى والندى والعلم والقرآن (٢٤)

وفي سنة ١٢٥٤ هـ حاصر يافع مدينة
دمون وامتد ذلك الحصار أكثر من تسعة
أشهر، وبعد حصار دمون مع عدم اتفاق
رأي قبيلة آل سلمة استنجد المعلم
سعيد عبد الحق (٢٥) بال تميم، وعلى
رأسهم الأبوا (المقدم) بقصيدة مطلعها:

يا الله يا رباه يا جزل العطا

يا ذي بعفوك زلتي مرحومة

وفيها يقول:

ثم قال عبد الحق طرفي ساهر

وبات ليلي ما تهنا نومه

حيران غيبه الرقيب الزاهر

والسبع والميزان غبن انجومه

لا هم من دنيا ولا من فتنه

أيضاً ولا نفسي بحد مهمومه

إلى أن يقول:

والعطب فوق الشور بين الجملة

من ضاع شوره ديرته مهدومه

لي كثروا العقال ظعن اشوارهم

عيني بناس اشوارهم مزموه

ويقول فيها مستنجداً:

وبعد يا العاني على احمر طامح

لي تنطوي ذرعانه المصمومه

أقصد إلى القوز المعذر باهله

وباعطير اعبر واعبر تومه

واقصد قسم وانشد على أهل العاليه

شجعان ما حد شو كته مكدومه

فيها الأبوا لا زال عامد راسه

لي يعرف الأحكام ما هو زومه

وقله إن شور الجماعة مايل

ومن تميل منهم ما لومه



واستمر في تعداد قبائل حضرموت من: التميمي والمناهيل وعبدالودود والشنافر ونهد وكندة والعبوثاني وسيبان، فكلهم حضروا البيعة -أي بيعة حضرموت لبريطانيا-، وللأسف فقد كانوا على البيعة شهوداً، ثم استمر فيما سيفعله هؤلاء الأجانب في حضرموت (٢٠).
قال الشاعر عبيد الإنقریز في قصيدة متهمكاً بعد توقيع اتفاقية الحماية البريطانية مع السلطنتين الكثيرة والقيعطية مبيناً الحال الذي وصل إليه أمر الناس قال:

أبدیت بك یا الله یا لی رافع السبع الشداد
أنت الصمد من فوق عرشك وأنت رزاق العباد (٢١)
كما له عدة قصائد في هذا الأمر، وما آلت إليه أوضاع الناس بعد الحماية (٢٢).
وفي مدة الوفاق بين السلطنتين الكثيرة والقيعطية وصل السيد حسين المحضار (٢٣) وزير السلطنة القيعطية في زيارة إلى تريم، وكانت هناك إشاعة تداولها العامة والخاصة أن الدولة القيعطية تنوي ضم تريم إليها، وقد استقبل سلاطين آل كثير ومشايخهم السيد المحضار بالزامل، وعند وصوله دخل بين الصفوف وقال:

جيت من البندر ولي آمال
في خطبة البنت الأصيله
عندي الحسب والدين والمال
واليد ما زالت طويلة
فرد عليه الزعيم سالم بن جعفر
الكثيري (٢٤):

حذرك تطري باسمها بالبال
عرف طرقها والوسيله
مطروود من حبان جانازال
با يخطب البنت الجميله
وعاد السيد المحضار وقال:
وسط الكبد حته على شربون

يا ريتها تصبح ضماري
با عزاها مثل أختها دمون
بصبر على كل الطواري (٢٥)

وعندما خرج السيد الوزير المحضار إلى وادي حضرموت (تريم) ليقيم العدل، وقد مكث بها عدة أشهر، قال قصيدة الشهيرة، ورمز لها بقوله:

البنت ليه من الشباك تتكلم
استحسنوها وكلن با يهاويها
لكنها ريشه في عقد ولد العم

وإن بت دارهم معه جاوه يمينها (٢٦)
عندما قام الحضارم بالحركة الوطنية ضد السلطة القيعطية سنة ١٣٦٥ هـ/ ١٩٤٦ م، قال حسين المحضار قصيدة مطلعها:

قال الفتى يهيب هاجسي والليل جن
بيت ليلى في خواطر منها القلب اشتطن
وايش بالقى إذا الهاجس تعبض واشتحن
وامسى شبيه الهيج محرى بالسلاسل ما ارتصن (٢٧)
وفي دوعن كان الانقسام بين القبائل والعشائر، فقال أحمد المحضار (٢٨):
يصف الانقسام:

انظر إلى الوادي فقد حلت به السبع الشداد
الخامعي والمرشدي هم والقثم بئس المهاد
والديني والمشجري هو والعبيدي لا يعاد
وبن مطهر سابغ الغل مة وهو رأس الفساد
الله يهديهم ويهد ينال طرق الرشاد
ولا ينظفهم من الوادي ويجمعهم بعاد (٢٩)

وبعد استقلال جنوب اليمن من الاحتلال البريطاني سنة ١٣٨٧ هـ/ ١٩٦٧ م، وتولّى الجبهة القومية الحكم في البلاد واعتناقها أفكار الاشتراكية وتطبيق قوانينها، ومنها قوانين التأمين والانتفاضات سنة ١٩٧٢ م، وما رافق ذلك من أعمال تعسفية بحق المواطنين وبالأخص العلماء، قال الشاعر سعيد سالم باعديل قصيدته التي اشتهرت بتخميسها: عدوة الدين والدنيا الشيوعية، يقول في مطلعها:

أبدي بمولى الديانات السباوية
المطلع عا السرائر والعلاية

نسأله اصراف كل موذي وموذية
عدوة الدين والدنيا الشيوعية (٣٠)
وفي أواخر الحكم التشطيري وبداية الوحدة سنة ١٤١٠ هـ، استبشر الشعراء بذلك الوضع رغم وجود أهل المكر والخديعة، فنظموا قصائد في ذلك، ومنهم الشاعر سعيد سالم باعديل بقصيدة أسماها (الثعالة) (الثعلب)، يقول في مطلعها:

يا ساري الليل حذرك لا تقع مهذاه
شل بيتري زين والسكين لا تنساه
وانظر يمينك مع يسارك والتقفاه
ظهرت ثعالة وتنهش كلما تلفاه (٣١)

المبحث الثاني

ملحج توثيق الشعر الشعبي للتاريخ الاقتصادي

تعرضت حضرموت لعدد من الكوارث الطبيعية، ومنها الآفات الزراعية، ومن أهمها الجراد؛ حيث واجهت حضرموت هجمات شديدة لأسراب الجراد؛ حيث انعكست آثارها على المحاصيل الزراعية، وقد سجل الشعراء هذه الحوادث في قصائدهم، ومنهم المعلم عبدالحق؛ حيث قال قصيدة فيه سنة ١٢٨٤ هـ أولها:

أبدیت بك یارب یا غافر خطایا المذنبین
ثم يقول:
ثم قال بو سالم على هذا الجراد الله يعين
جراد ما يحصي عدده إلا الله الحق المبين (٣٢)
ويشاركه أيضاً الشاعر سعيد سالم بن عبيدالله الملقب (نونه)، في قصيدة أخرى يقول:

جاء التهامي رعى للمحشره
ما حد قدر للعمل هم ينشرون
عبر على الارض ايمن وايسره

ما خاف لي بالطيالة بفقعون (٣٣)
أما الشاعر عبداللّه بن علي بن شهاب (٣٤) فيصور الجراد وما فعله في



سبعين صنفاً من أصناف التمر، وبين نوعية كل صنف وأين يوجد؟ ومزايا كل صنف، وتعد القصيدة مدونة النخل بحضرموت، وهي مربعة وبعد كل أربعة أشطار يأتي التخميس (ما شي كما التمر في الدار)، يقول في أولها: يارب تسالك يا بار تحفظ لنا الربيع والدار وانزل الغيث مدرار واسق الحماري مع الزار ما شي كما التمر في الدار (٤١)

وكذلك قصيدة الشاعر سعيد سالم باعديल الخمسة هي الآخر (النخلة عمّة ولا نقدر نجازيها)، والتي تضاهي قصيدة ابن شهاب، مقتدياً بالحديث القائل: "أكرموا عمّتكم النخلة" (٤٢)، ومما يقول فيها:

ما شي كم النخل بخريفه تفر العين
في القلب والشول لي قد قرعها نصفين
تستاهل المدح لي تلقيه كله زين

شجرة رحيمة كريمة دوب نجنيها
النخلة عمّة ولا نقدر نجازيها (٤٣)

ولزراعة النخل وجنيه قـوانينها
المعروفة بالشراحة، وعندما سن هذا القانون أحدث جدلاً واسعاً بين العلماء، بين مستنكر وهم الأكثرية ومؤيد لها؛ حيث تنص على إلزام مالك النخل بدفع جزء من ثمار النخل لشارح النخل أو حارسه، فقال الشاعر سعيد سالم باعديل قصيدة في ذلك مطلعها:

ابدي بمن هو خالق الدنيا وآدم والمسيح
هو ينزل الماطر وهو لي يلقح الشاره بريح
سأله يسأحنا إذا بيتت وحدي في الضريح
ببركة الهادي شفيع الخلق لي ذكره ربيع (٤٤)
كما لابن شهاب المذكور قصيدة طويلة ضمنها أسماء الأسماك الموجودة بحضرموت (٤٥).

وفي عهد السلطنة الكثيرة أقيمت بعض مشاريع البنية التحتية، ومن أهمها طريق الكاف؛ وهي الطريق التي شقت إلى الشحر من تريم عبر عقبة

وتعد موجات القحط والجفاف والمجاعة التي اجتاحت حضرموت من أشد الكوارث الطبيعية خطورة على المجتمع الحضرمي إذ كانت تؤدي إلى زعزعة الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ومن ذلك المجاعة سنة ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م مع بداية الحرب العالمية الثانية، فانغلقت البحار وغلت الأسعار، فقال الشاعر سعيد بن سالم باعديل قصيدته التي مطلعها:

ابدي بمن لا له مثل يوصف ولا عينا تراه
الواحد المعبود لي كل الخلائق في حواه (٢٨)

واشتهرت حضرموت بالمحاصيل الزراعية من فواكه وخضروات مما حدا ببعض الشعراء الشعبيين أن يوثق ذلك في قصائد أشبه بالمقامات الأدبية بل هي كذلك، ومن هؤلاء الشاعر علي باغريب (٣٩) وقصيدته الطويلة في ذلك ومما قال:

في حضرموت الفواكه جم
أشجار وأنهار ما تنتم
وانهار لأربابها مغنم

شهرة في الكون بحرا وبر
فيه الفواكه كثير أجناس
ما قط تحصى لكل الناس
أشياء غريبة عدد لنفاس

شي منه مبهم وشي يذكر
ثم سرد ما اشتهرت به حضرموت من هذه الفواكه والخضروات وغيرها من المنتوجات الزراعية (٤٠).

ومن هذه المحاصيل يأتي التمر وهو المنتج الأول والمعول عليه؛ حيث كان يعتمد عليه وجبتين رئيسيتين، فلقد تغنى الشعر الشعبي في وصف التمر ووصف خصائص كل نوع وجنس منه، ولزأماً علينا هنا أن نشير إلى قصيدة الشاعر عبدالرحمن بن محمد بن شهاب في (٥٥) بيتاً، التي تعد مقامة أدبية رائعة، وعدد ووصف أكثر من

قصيدة ثالثة بقوله:

اهنا أدرك سريع من ذا الجراد الفضيع
دبا علينا يريع في زرعنا والحوير
جراد جاه الغرام شدد علينا الخصام
أفنى علينا الطعام أيضاً وجنده كثير
جراد فيه الوحش ذيله شبيه الحنش
أرقش منقش جش فخذ كفتخد البعير
وجهه كوجه الفرس والناس له كالحرس
يدخل بضرب الطوس في كل شرح وير
يغير وسط النهار ولا يخاف العزار
يأخذه ظلماً جهار له وسط نار السعير
كليت طعم الأنام ولا خشيت الملام
يا لص ظالم غرير (٣٥)

ومن الكوارث الطبيعية أيضاً كوارث المناخ ومنها السيول؛ حيث تعرضت حضرموت لسيول كثيرة بسبب غزارة الأمطار الشديدة، وقد سجل الشعراء حوادثها وأرخواها من أمثال الشاعر نونه، ففي الإكليل من سنة ١٣٥٦هـ / ١٩٣٦م جاء سيل وأحدث أضراراً فُسجل ذلك بقوله:

ذا غيث لكليل لي خلا الخرب تهوى
التي مسابيل ظلمه نخر الوديان
من يوم شاهدت ذا عقلي علي حيران
خرب مصانع وكمن شاخته معلي
وخلط الطين هو والغيد والعيان
والناس كم من مهل قال يا ربي

ذا سيل طوفان شو ما هو على العدان (٣٦)
وفي نجم العوا في ٧ رمضان سنة ١٣٧٦هـ / ٦ أبريل ١٩٥٧م، داهم سيئون سيل عارم، وأحدث أضراراً كثيرة، فقال فيها:

البرق والرعاد منه فوق الجبل خص بالمطار
من بن يمان لان جثمه سيلها راع الصبار
مثل المزاحي والقدم عقر بها ساس الديار
خلا المنازل جوشت فوق الجواني والزيار
حتى الغنم ماهن سلم في الطين من تحت الجدار
عبر على الاسوام والادوار خلاها وصار (٣٧)



باعشميل سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م،
بتمويل السيد الثري أبوبكر بن شيخ
الكاف، وهندسة الشاعر عبيد بن
عوض باعدي الإنقریز، حيث قال:

بو بكر يخسر على الكلمة تنعشر كر
ما هو كما من معه خزنه وهو قساس
وإن كانها إلا وكالة سعد يا عنبر

ما با تخارج طبيبك يا سعيد الماس
ونوه بخبرته وكفاءته بقوله:

أما المعلم كما السلطان والعسكر
عنده قوانين بقعه كل شي بقياس
أبو عوض كذا لقي خطبه على المنبر
خطبه طويلة وسمعوها جميع الناس (٤٦)

المبحث الثالث

ملمح توثيق الشعر الشعبي

للتاريخ الاجتماعي

ساد في المجتمع الحضرمي نظام
الطبقات؛ حيث قسم الناس إلى عدة
طبقات، فهذا العلوي، وذاك القبيلي،
والثالث الضعيف، والرابع العبد، وكان
التمايز الطبقي بينهم حتى في
الصفات فهذا الخادم، وذاك السيد،
وهذا الوضع، وذاك الشريف، وبرز هذا
الوضع في قصائد الشعراء، فهذا عبيد
باشامخة (٤٧) الشاعر التريمي، وهو من
طبقة العمال من سكان حي الخليف
بتريم، وهو عامل بناء وطين ونوره قد
أرهقه جور الدولة والسادة فأنشأ
قصيدته التي يقول فيها:

بني مغراه قال الذي من ناس محنون
ومن دوله وساده على الضعفاء يجورون
وجابوا لي تحارج قالوا لا تخدمون
ونا مسكين مثل الغنم في الدرع مرصون
ومن لاله معلّس قتله الجوع والهون
والوقية ربع ثمنها شطر مفنون
إلى إن يقول:

ومن ذي الحكم جملة من البلدة يفرون

على التغليظ ضعفاء البلد ما با يصبرون
نلقيا السويري وإلا الأرض دمون
تقع عشرين خطوة في الجامع يصلون
ولا هذا الجزاء يومهم بالليل يبنون
نشو جملة محال وجمع أكوات وحصون
وقيل إن هذه القصيدة أنشأها لأنهم
أرادوا تخفيض أجره العامل (٤٨).

وحتى في الساحل لم ينح من المعاناة
المساكين، ففي الشحر مثلاً عانى
قطّاع من المصنّفين من أبناء الفئات
الدنيا؛ كونهم عبيداً في نظر القانمين
على شؤون البلاد حينها، وقد تحدث
الشاعر عمر كرامة بارمادة، (٤٩) يصف
حالته وحالة من هو في طبقته:

نا عبد بني عبد وبني ذي مكانه بطن أمه
وابني الذي في عالم الذر مثل أخواله وعمه
عبيد في الخدمة ويا صاحب سحب لا وسط كمه
في العيد يذبحنا وجدي قد سحق لحمه وعظمه
وخوي قد خلى العرائس خضبن من سيل دمه (٥٠).

وقسم المجتمع إلى عدة طبقات:
العليا والسفلى، ومن الأخيرة الطبقة
العامة، وقد لاقت في مجتمعها من
التهميش والحرمان، مما حدا بالشعراء
أن يصوروا لنا ذلك في عدة قصائد،
ومنهم خميس كندي (٥١) الذي أعطى
لنا صورة حية لما تعانيه هذه الطبقة
دفعنا أن نسردها برمتها قال:

قال الفتى الشاعر نظمت أبيات من وحي الحياة
كلام شعبي بحث ما له أي علاقة بالنعاة
لا رفع للفاعل ولا مفعول به مخفوض لاه
كلام للعقال والحقاق من كندي بناه
لحميد وميرك ولسويلم ومن يخذو حذاه
والعامل العادي وللبحره ولخوان السناه
والحيك والحراث لي يسرح ويضوي في خلاه
لي راس ماله جبل والتاجر معه بقره وشاه
الراسماليون حر موهم وخلوهم صلاة
ما علموهم شئ خلاف الوضوء واركاب الصلاة
من شان ما حد منهم يعرف حقوقه في الحياة

يخاطب الشاعر في هذه القصيدة
الطبقة العاملة، ويخص بالذكر منهم
الفئات الأكثر كدحاً واضطهاداً، ويمثل
بهذه الفئات "حميد" و"ميرك"
و"سويلم" وغيرهم، الذين كان من
المحظور عليهم أن يسّموا أنفسهم
بأحمد ومبارك وسالم، فهم يصغرون
للتدليل على احتقار الطبقات العليا
لهم، فإذا تمرد أحدهم وسمّى نفسه
بغير أسماء التصغير عدّ ذلك خارجاً عن
العادات والتقاليد، وربما عدّ خارجاً عن
الدين، ويتهّم الشاعر الطبقات الغنيّة
بأنها هي التي حرمت تلك الطبقات من
حقوقها المشروعة في الحرية والتعليم؛
حتى لا تتور ضد مستغليها الطبقيين،
من ذوي الامتيازات المادية والروحية.
يسرح بمزحاته ولكده تمر في قفّة غداه
والي ضوى الليل حصل قرص والروبة عشا
وإذا رفع راسه شويه كلهم شطوا قداه
قالوا تغير ما لخويدم او تكبر ايش جاه
وتدخلوا في اسمه وفي قوته وحتى في كساه
عبيد لا يمكن يسمى عندهم عبدالاله
والقوت خوريه يطحنها ويلقيها غداه
واللبس خمسة ياردة كاره يذبلها رداه
والعيد معوز موشحي يلبسه للزينة كفاه
الحاصل ان الظلم عامل وصل لا منتهاه
ما حد تنكف له ولا حد قال ليه الظلم لاه
صبروا على التمييز لكن صبرهم غلق مداه
يصف الشاعر هنا الواقع الاجتماعي
الذي كان سائداً في حضرموت قبل
الاستقلال، فالعامل هو الذي يحمل آلة
حرثه وعمله (المزحاة)، ومعه وجبة
غداه المؤلفة من تمرات معدودات،
أما إذا عاد إلى بيته ليلاً فإن وجبة عشائه
لا تتعدّى قرص الخبز مصحوباً بالروبة،
وعليه بعد ذلك أن يتمسكن، وأن
يعيش عيشة خاملة وادعة، وإلاً ووجه
بالاستنكار الشديد كأنما اقتترف إثماً
كبيراً، ولباسه هو الكارة: قطعة قماش



بقصيدة يمدح حضرموت ويذم جأوة
في (٢٢) بيتاً (٥٧)،
وظهرت في المجتمع ظاهرة التناوب
بالقالب القرى والبلدان، وقيلت في ذلك
القصائد منها قصيدة عبود من الغراف (٥٨)
في (٦١) بيتاً (٥٩)، وقصيدة عبدالله بن
حسين بافضل (٦٠) في (٦١) بيتاً (٦١).

المبحث الرابع

ملمح توثيق الشعر الشعبي

للتاريخ العلمي

ازدهرت وتطورت الحياة العلمية في
حضرموت في عصورها المختلفة،
وتعددت مؤسساتها التعليمية
والعلمية، ومنها المساجد، التي كانت
بالكثرة من أية منطقة أخرى، وفي
تريم كانت بالكثرة من أية منطقة في
حضرموت، وقد عانت في وقت ما من
هجران المصلين لها، وأصبحت خراباً
يسكنها البوم والغراب، فأوقافها تلفت
مع الزمن، فاجتمعت هذه المساجد في
يوم الخميس وذهبت إلى المسجد
الجامع، وبُنيت شكوها، فإريد عليهم
الجامع بأن حاله نفس حالهم، وقد
جسد هذه الصورة الشاعر عبدالرحمن
بن محمد بن شهاب في قصيدته التي
يقول في أولها:

سمعت من بعد العشاء حمامة

تنوح بالغريد من تهامه

جاوبتها أنهاكم السلامة

من اين ذي الوصلة واين قاصد

ان المساجد في تريم جمعا

جهن في يوم الخميس جمعا

كل إلى الجامع تراه يسعى

بيت ما لاقاه من شذائد (٦٢)

ومن المؤسسات العلمية كذلك
الجمعيات التي أخذت على عاتقها
النهوض بالعملية التعليمية بإنشاء
المدارس، ومنها جمعية الحق التي

ليس هو من عرقه العامل ومن صفوة دماه
ما تعرفون ان خير كم كله بما كسبت يده
ذالي حصل من حضرمي مارس وذا كله راه
والجوع في رمضان ذكره المساكين العراه
والعاطفة دفعته والأقول هذا ما بغاه
وينتهي الشاعر إلى النتيجة المترتبة
عماً سبق من وقائع، وهي ان الخير كله
الذي يعم الدنيا إنما هو من عمل
الطبقة العاملة وكفاحها الدؤوب، لهذا
فلا معنى لإنكار حقوق العامل واضطهاده
وهذا الذي أورده الشاعر عن أحوال
العمال في بلاده ليس من وضع الخيال،
أو التصور، بل هي الحقيقة كاملة
عاشها الشاعر وتجرب مرارتها، وقد
دفعته الغيرة والوطنية لتصوير آلام
الطبقة العاملة؛ ليستحثها على الثورة
ضد مستغليها وجلاديها، الذين فرضوا
عليهم التخلف والخمول طيلة السنوات
الماضية (٥٢).

ومن قصائده:

حتى العباد في المساجد كل طبقة في مكان
(حميد) يجلس في وراء حتى دخل قبل الأذان
وفي المحاكم حد يدبونه والاخر لا يدان
في كل شيء تمييز حتى في المقابر والكفان (٥٣)
وحظيت المرأة بنصيب من قصائد
الشعراء، ومن ذلك قصيدة عبدالقادر
الشعيرة (٥٤) في النساء وما يناسبهن
في (٣٧) بيتاً يقول:

ويقول بو صالح تذكرت النساء وفعالهن
شفت الرجال اليوم تحت اقدامهن واحكامهن
وتخلعوا ما يفعلون الشور الا شورهن
وختمها بقوله:

الله يجمعنا بخيرات النساء وحسانهن
ما نصلح الا بالنساء والنور في مصباحهن (٥٥)

وعرف الحضارم بالهجرة إلى أصقاع
المعمورة، فعندما هاجروا إلى جأوة
نظموا قصائد يمدحون فيها جأوة،
ويذمون حضرموت، ومنها قصيدة
سالم بايعشوت، (٥٦) فرد عليه الشعيرة

زهيدة الثمن، يلف بها النصف التحتي
من جسمه الأسمر، الذي أحالته الشمس
المحرقة والبرد القارس فحمة سوداء،
وظل أولئك العمال يعيشون ذلك
الواقع المؤلم دون أن يثير ذلك شفقة
أحد عليهم، وصبروا وصبروا ولكن
صبرهم انتهى ونفذ وأخذت الطبقة
العاملة تعي واقعها، وتتمرد عليه ولم
تعد تنظلي عليها اللعبة القديمة:

والمستغل والراسالي ذا الزمن ما حد بغاه
مهما بذل من مال بايسقط ولا واحد قناه
مضى الزمن أيام كل الناس تتمنى رضاه
أيام حد ماسك له الحذية وحد ماسك عصاه
مال يوم يا لعامل تنبه حان وقت الانتباه
قل للحبايب والطبانه حقنا الشرعي نباه
وتتغير الصورة ولم يعد أولئك
المستغلون والرأسماليون يحظون
باحترام أحد، ومضى ذلك الزمن الذي
كان الناس فيه يتقربون إلى المستغل
من أجل الفوز بلقمة العيش، التي كان
يتفضل بها عليهم لقاء استغلال
عرقهم وكدهم، وأصبح العامل اليوم
متسلحاً بالوعي، فهو عند ما يطالب
بحقوقه منهم لا يفعل ذلك من موقف
الاستجداء أو العطف بل هو يطالب حقاً
مشروعاً معترفاً به.

والفاس والمزحاة صاحبها مقدس في الحياة
لو لا المزاحي والقدم ما نبعت اعيون المياه
والبيت والدكان والميناء وغيره من بناءه؟
والتمر لي تاكله نخله في الحفر من لي سباه؟
والمال هذا لي تبخبخ فيه هو من لي نياه؟
ثم يتطرق الشاعر إلى القيمة المادية
للعامل فهو أساس كل تقدم وعمران،
فهو الذي يقوم بحفر عيون المياه،
وينشئ الدور والمباني، ويغرس
النخيل، الذي ينتج الثمرة المحببة لدى
الجميع، ثم إن تلك الأموال المقدسة
التي يخترنها المستغلون كانت ناتج
عرقهم وعملهم:



تأسست سنة ١٣٣٣ هـ في تريم، ومع ذلك لم تكن تحظى بتوافق المجتمع الحضرمي، وبرز من عارضها من أمثال الشاعر عبد القادر الشعيبة؛ حيث يذكرها في أقواله وأبياته الشعرية بأسوأ الذكر، ومنه:

يقول بن شيان جمعية ظهر قانونها
حلق اللحى من لا حلق لحيته يتعادونها
خلو شيا بهتهم حيارى من حجج يكونها
وتولوا احكام الشريعة عا الذي يهدونونها
وان جئت تسألهم مسائل علم ما يفتونها
مثل البهائم والبقر لي برقصت بعيونها
جمعية الباطل على المسكين والناس الزيان
قطعت علينا رحمة الله كأنه الوادي ملان
بان البكم من يوم ظهرت والعور والعجز بان (٦٣).
ولعل الشاعر في نفسه شيء من رجال هذه الجمعية.

وكثر العلماء والدعاة بمختلف تخصصاتهم، ومن سنة الكون أن يغيب البعض منهم بالوفاة، فيسهم الشعراء الشعبيون في رثاء هؤلاء وهم كثر، ومن أمثلة ذلك مرثيات الشاعر سعيد سالم باعدي في السلطان علي بن منصور الكثيري (ت ١٣٥٧ هـ) بقصيدة مطلعها:

يا الله يا ربه يا عالم بحالي يا غفور
يا مالك الاملاك سالك يا منور كل نور (٦٤)
ومرثية الأستاذ التربوي حسن بن زين بلفقيه (ت ١٣٩٩ هـ) بقصيدة مطلعها:

يا راجحاً حول باحليل ودياره
سلم على دار واهله يا لها من دار (٦٥)
ومرثية السيد الداعي محمد بن علوي بن شهاب (ت ١٤٠٠ هـ) بقصيدة مطلعها:

الحمد للواحد الباقي وغيره فان
سبحانه الحاكم القاضي بكل ما كان (٦٦).
ومرثية المؤرخ والنحوي عمر بن علوي الكاف (ت ١٤١٢ هـ) بقصيدة مطلعها:

الحمد لله رب العالمين آلف
على قضائه ونعمائه بدون اخلاف (٦٧)

الخاتمة

بعد أن وصلنا إلى نهاية البحث رغم أنه يحتاج إلى وقت وتفصيل أكثر وأكثر يحسن بنا أن نعطي خلاصة له، فقد كان للشعر الشعبي دور في تصوير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية، فقد استطاع من خلال شحنات الأفكار التي نادى بها أن يسهم في حركة الوعي الوطني، وأن يدفع في طريق التحرر والانعتاق من القديم.

كان الشعر الشعبي في بدايته يؤثر الرمزية والتستر وراء ضرب الأمثلة وصولاً إلى تحديد الهدف الذي يقصده، فإنه في مرحلة متقدمة امتلك الشجاعة، فلم يعد بحاجة إلى التعمية وأصبح متجرّداً في تناول قضاياها.

وجدنا أن من الشعراء قد يشترك في تصوير وتجسيد وقائع وحوادث معينة، بمعنى أن الحادثة الواقعة نجد لها معالجة من أكثر من شاعر، كما هو ملاحظ في البحث.

إن هذا الموضوع لا توفيّه هذه الدراسة المبسّرة، وما ذكرناه ما هو إلا نموذج مصغر للتعرف والتأكيد على دور الشعر الشعبي في توثيق التاريخ الحضرمي على كافة الصعد.

نتمنى من الباحثين والدارسين أن يسלטوا الأضواء على هذا الموضوع، وأن نرى قريباً دراسة وافية شافية عنه، وإن غداً لناظره قريب.
والله موفق للصواب

الهوامش:

- (١) سارجنت، نثر وشعر ص ٣١.
- (٢) سارجنت، نثر وشعر ص ٤١.
- (٣) بارجاء، ابو عامر ص ٦٧.
- (٤) سارجنت، نثر وشعر ص ٤٤.
- (٥) والد الشاعر والأديب الذائع الصيت ابي بكر بن شهاب، أديب ولد بتريم ودرس على علمائها ولع بالهجرة والتطواف، توفي بتريم سنة ١٢٩٠ هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ١٦٢).
- (٦) بكير، رجال وكتب ص ٢١.

- (٧) بكير، رجال وكتب ص ٢٦.
- (٨) سعيد عبد الحق الدموني: عمل معلماً للصبيان، ولد بتريم وتوفي بها سنة ١٢٨٩ هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ١١٦).
- (٩) عبد الحق، الديوان ص ١٣٤.
- (١٠) بامطرف، دمون ص ٣١.
- (١١) عبد الحق، الديوان ص ٢.
- (١٢) ولد بشبام وتوفي بها سنة ١٢٩٠ هـ، من شعراء القصيد (حداد، معجم شعراء العامية ص ١٨٠).
- (١٣) ولد بفيل باوزير، شاعر مجيد في الغناء والقصيد والمساجلات، اشتغل بالزراعة ثم بحارا، ثم سلك سبيل الهجرة، توفي سنة ١٤١٨ هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ٣٠١).
- (١٤) الصبان، الوطنية في الشعر الشعبي ص ١٠.
- (١٥) عبيد عوض باعدي لنقريز: ولد بتريم، كان امياً مهندساً جيداً شق طرقاً ومهد عقاباً، توفي بتريم سنة ١٣٧٤ هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ٢١٠).
- (١٦) قرموص، الإبريز ص ١٠٥، ص ٥٣.
- (١٧) سعيد سالم باعدي لنقريز: ولد بتريم، درس في المعلمة القرآن ومبادئ القراءة والحساب، ثم درس في جمعية الحق، عمل في شق الطرق، قلده ملكة بريطانيا وساماً، توفي بتريم ١٤٢١ هـ (بلدرم، ديوان باعدي ص ٦).
- (١٨) بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٧٥.
- (١٩) ولد بالقطن وهاجر مبكراً إلى الهند، وزار حضرموت ثم عاد إلى الهجرة وتوفي بها سنة ١٣٧٤ هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ٥٣).
- (٢٠) السقاف، بضائع التابوت ج ٢ ص ١٤ - البطاطي، إثبات ما ليس مثبت ص ١٠١، ١٠٢ - باوزير، الشعر الوطني العامي، ص: الصبان، الوطنية في الشعر الشعبي ١٦ - السقاف، حامد المحضار ص ١٤.
- (٢١) قرموص، الإبريز ص ١٢، ص ٤٣.
- (٢٢) قرموص، الإبريز ص ١٨ - ص ٢٠.
- (٢٣) حسين بن حامد المحضار: ولد بالقويرة بدوعن، أصبح وزيراً للسلطان غالب ثم أخوه عمر، شاعر عامي مجيد من شعراء القصيد والزوامل، توفي بالمكلا سنة ١٣٤٥ هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ٦٣).
- (٢٤) من مواليد جفل بشبام، من مشايخ الدولة الكثيرية ومن أعيانها، ومستشار السلطان، توفي بها حوالي سنة ١٩٤٨ م (حداد، معجم شعراء العامية ص ٨٠).
- (٢٥) باحمدان، أشعار المحضار ص ١٧٩.



الحضرمية، في كتاب حضرموت فصول في التاريخ والثقافة والثروة، جمعها د. محمد أبوبكر حميد، جمعية أصدقاء علي أحمد باكثير، ١٤٢٠هـ.

٤. بامطرف، عمر عبدالله، دمون قراءة في ماضيها والحاضر، بحث معد للنشر.

٥. باوزير، أحمد عوض، الشعر الوطني العامي، مؤسسة الطباعة والنشر، عدن، ١٩٨٢م.

٦. الوطنية في الشعر الشعبي، المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا، ١٩٨٠م.

٧. البطاطي، عبد الخالق عبدالله صالح، إثبات ما ليس مثبت من تاريخ يافع في حضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، مطابع البلاد، جدة.

٨. بكير، علي سالم، رجال وكتب، دار حضرموت للدراسات والنشر، ٢٠٠١م، المكلا.

٩. بلدرم، حسن سعيد، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم عوض باعدي لنعريز، جمعه أولاده، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، مكتب إتيقان للطبوعات، تريم، حضرموت.

١٠. حداد، عبدالله صالح، معجم شعراء العامية الحضرمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، مركز الدراسات التاريخية والتوثيق والنشر.

١١. سارجنت، روبرت، نثر وشعر من حضرموت، ترجمة: سعيد محمد دحي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، الإمارات العربية المتحدة.

١٢. السقاف، جعفر محمد، حامد المحضار كما عرفته، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م، تريم للدراسات والنشر، حضرموت.

١٣. السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله (ت) ١٣٧٥هـ، بضائع التابوت في تنف من تاريخ حضرموت، نسخة مخطوطة.

١٤. الصبان، عبد القادر محمد، الشعر الشعبي مع المزارعين، إدارة الثقافة والسياحة، مديرية سينون م/ حضرموت عبدالله الحق، المعلم الحضرمي (ت ١٢٨٩هـ).

١٥. الديوان المسمى: الوقائع فيما جرى بين آل تميم ويافع، جمعه واهتم بطبعه: السيد علي بن أحمد بن شهاب، ١٣١٥هـ، بومبي، الهند.

١٦. قرموص، أحمد علي حيمد (ت) ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، الإبريز في شعر عبيد الانقريز، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، مكتبة تريم الحديثة، حضرموت.

١٧. محروس، محمد عوض، حضرموت والجوار القبلي التحالف والمواجهة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، مطبعة وحدين، المكلا، حضرموت.

عشر (حداد، معجم شعراء العامية ص ٢٥٠).

٥٠. باوزير، الشعر الوطني العامي، ص ٥٧؛ محروس، حضرموت والجوار القبلي ص ٣٣٢، بامطرف، دمون ص ٣١.

٥١. خميس سالم كندي: من الغرفة، امتهن الحياكة، هاجر إلى الهند والصومال والحبشة معلماً للصبيان، توفي بالإمارات سنة ١٩٩٠م (حداد، معجم شعراء العامية ص ٧٤).

٥٢. الصبان، الوطنية في الشعر الشعبي ص ٤٩ - ٥٢.

٥٣. باوزير، الشعر الوطني العامي، ص ٥٧؛ حداد، معجم شعراء العامية ص ٧٥.

٥٤. عبد القادر عمر التميمي الشعيبة: ولد بثبي، شاعر مجيد من شعراء القصيد، له نشاط سياسي واجتماعي توفي بإندونيسيا سنة ١٣٤٣هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ١٦٥).

٥٥. سارجنت، نثر وشعر ص ٢٦٠.

٥٦. من مواليد حورة، من شعراء القصيد، هاجر إلى إندونيسيا وأقام بمدينة شربون، فُعرفَ بشاعر بلد شربون، توفي بها في عشرينيات القرن الرابع عشر (حداد، معجم شعراء العامية ص ١٠٠).

٥٧. سارجنت، نثر وشعر ص ٢٦٦، ص ٢٦٨.

٥٨. من شعراء القصيد المجيدين (حداد، معجم شعراء العامية ص ٢٠٦).

٥٩. سارجنت، نثر وشعر ص ٢٢٤.

٦٠. الشهير برحيم، من شعراء القصيد، توفي بتريم سنة ١٩٨٠م (حداد، معجم شعراء العامية ص ١٧٧).

٦١. سارجنت، نثر وشعر ص ٢٢٨.

٦٢. بكير، رجال وكتب ص ٢٧ - ٣٠.

٦٣. السقاف، بضائع التابوت ج ٣ ص ١٤٨ - ١٤٩.

٦٤. بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ١٨.

٦٥. بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٩٠.

٦٦. بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٩٢.

٦٧. بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٩٤.

قائمة المصادر والمراجع:

١. باحمدان، محمد سالم، من أشعار حسين حامد المحضار، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.
٢. بارجاء، علي أحمد، الشاعر الحكيم الفلاح ابو عامر، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م، مركز عبادي، صنعاء.
٣. باعبود، علي، الأسماك في الشواطئ

(٢٦) قرموص، الإبريز ص ٢٧.

(٢٧) السقاف، حامد المحضار ص ٦٥.

(٢٨) أحمد بن محمد بن علوي المحضار: ولد بالرشيدي بدوعن، درس بالوادي ومكة، توفي بالقويرة سنة ١٣٠٤هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ٤٢).

(٢٩) محروس، حضرموت والجوار القبلي ص ٣٣٢، بامطرف، دمون ص ٣٣.

(٣٠) بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٧٩.

(٣١) بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٥٩.

(٣٢) عبد الحق، الديوان ص ٦٦.

(٣٣) الصبان، الشعر الشعبي مع المزارعين ص ٣٩.

(٣٤) العالم الباحث، ولد بتريم، ودرس بها وبزبيد والحجاز، عاد إلى تريم ليدرس وبها كانت وفاته سنة ١٢٦٥هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ١٨٥).

(٣٥) الصبان، الشعر الشعبي مع المزارعين ص ٤٠.

(٣٦) الصبان، الشعر الشعبي مع المزارعين ص ١٦.

(٣٧) الصبان، الشعر الشعبي مع المزارعين ص ١٥.

(٣٨) بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٣٠.

(٣٩) لعله من مواليد تريم، هاجر إلى أندونيسيا وبها وفاته في الربع الأول من القرن الرابع عشر (حداد، معجم شعراء العامية ص ٢٢٩).

(٤٠) الصبان، الشعر الشعبي مع المزارعين ص ٢٢ - ٢٥.

(٤١) سارجنت، نثر وشعر ص ٢٨٨ - الصبان، الشعر الشعبي مع المزارعين ص ٢٨ - ٣٥.

(٤٢) مسند أبي يعلى ج ١ ص ٣٥٣.

(٤٣) بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ١٠٠.

(٤٤) بلدرم، ديوان الشاعر المعلم سعيد سالم باعدي ص ٢٦.

(٤٥) باعبود، الأسماك في الشواطئ الحضرمية ص ٩٥.

(٤٦) قرموص، الإبريز ص ٢٩.

(٤٧) ولد بتريم، من المشهورين بالمرح والنكتة، توفي سنة ١٣٥٥هـ (حداد، معجم شعراء العامية ص ٢٠٨).

(٤٨) سارجنت، نثر وشعر ص ٢٤١ - باوزير، الشعر الوطني العامي، ص ٥٦؛ بامطرف، دمون ص ٣١.

(٤٩) الشاعر الشعبي الساخر، من الشجر ميلاداً ونشأة وكانت وفاته في أواخر القرن الثالث



رائدا الملاحة العربية في القرن التاسع عتتر

سعيد بن سالم باطايح وعيسى بن عبد الوهاب القطامي



للعرب تاريخ مجيد في مجال الملاحة البحرية والأسفار التجارية عبر البحار والمحيطات منذ زمن بعيد ، فقد ركبوا البحر غزاةً في سبيل الله، ودعاةً إلى دينه، وملاحين أكفاء، وتجاراً أوفياء، وقد استطاعوا العبور في تلك الطرق البحرية، وتحدي مخاطرها، وتجاوز عقباتها بالاسترشاد بالنجوم والاستهداء بها، وقد تناقل الربانة العرب الخبرة والمعرفة الملاحية منذ فجر التاريخ، وعلموها أبناءهم وتلاميذهم من بعدهم ، وهكذا كل جيل يعقبه جيل في تناقل المعارف البحرية حتى وصلت إلى عهد الربانين العظيمين الراشدين: الربان المعلم أحمد بن ماجد، والربان المعلم سليمان المهري في القرنين التاسع والعاشر الهجريين الخامس والسادس عشر الميلاديين، اللذين أسسا لعلم الملاحة البحرية القواعد الأساسية، وألّفا فيه المؤلفات العلمية القيمة نظماً ونثراً، والتي لا يستغني عنها كل من يريد التعرف على هذه الخدمة البحرية القديمة، بل إن الملاحة البحرية بغير الاستعانة والاسترشاد بمؤلفات ابن ماجد والمهري متعذرة جداً على حد قول الملاح التركي سيدي ريس بن حسين في كتابه "المحيط".

تعليمه ومشايخه:

بعد أن شبَّ عن الطوق، أدخله والده في إحدى كتاتيب الحامي؛ لقراءة القرآن الكريم، وتعلُّم القراءة والكتابة، ومبادئ العلوم الشرعية، وفي زاوية العلامة الحبيب محمد بن هارون جمل الليل بدأ الطفل باطايح يفتح صفحة جديدة في حياته العلمية؛ فقد بدأ في قراءة القرآن نظراً وتجويداً، ثم شرع في قراءة المتون الفقهية والعربية، كالرسالة الجامعة، وأبي شجاع في الفقه، والآجرومية في علم النحو، وبعد

الملاح باطايح:

في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي برز في حضرموت، وتحديدًا بميناء الحامي الملاح الفلكي القدير الشيخ سعيد بن سالم بن عبد الشيخ بن عوض باطايح، كان ميلاده عام ١١٨٠ هـ (١٧٦٦ م)، ووفاته عام ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م)، ويُعد من النواخذة الممتازين على المستوى المحلي والعالمي، وقد تتلمذ على يديه جماعة من نواخذة حضرموت وغيرهم.

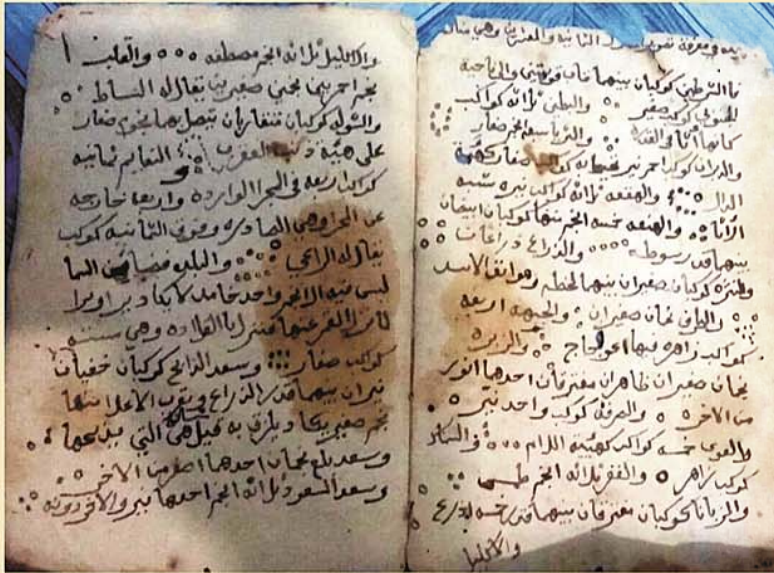


محمد علوي باهارون



37

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م



مخطوط للملاح باطايغ في علم الفلك

وفاة شيوخه المذكور تتلمذ على أبنائه الفقيهيين عبدالرحمن وعمر أبناء الحبيب محمد بن هارون، كما استفاد بإمام جامع الحامي وخطيبه السيد عبدالله بن إبراهيم مكنون، وكذلك الشيخ الفاضل عمر باحميد، الذي هو وغيره من العلماء الذين أشار إليهم في منظومتيه التوسلية. وظل الشيخ باطايغ متردداً على المجالس الدينية والفقهية حتى بعد أن كبر؛ حيث نلاحظه بعد عودته من رحلته البحرية من أوائل الحاضرين في الدرس الفقهي الذي يقيمه العلامة القاضي أحمد بن

محمد باهارون، وربما أشار على الشيخ باطايغ بكتابة بعض العرائض والوثائق الشرعية كما يشهد بذلك خطه وشهادته على العشرات من وثائق البيع والشراء بالحامي، وعلى العموم فقد استفاد من أولئك المشايخ في العديد من العلوم كالفقه والفلك واللغة وغيرها.

حياته العملية والاجتماعية:

بعد أن أخذ حظاً من التعليم اصطحبه والده معه في رحلاته الملاحية كما هو عادة أبناء الحامي إلى وقت قريب، وكان عمره آنذاك قد جاوز التاسعة تقريباً، فسافر مع والده في رتبة صغير درك إلى شرق أفريقيا، وعمان، والبصرة، والهند، وغيرها، وبدأ يتعلم على يد والده العلوم الملاحية والفلكية من معرفة النجوم في الديرة المعروفة في عصره بالحقة، والاسترشاد بالمعالم البرية والبحرية، وكان رحمه الله يتمتع بذكاء وفطنة قوية، كما يذكر عنه، حتى وصل إلى رتبة أن ينه قائد السفينة (السكوني) إذا غفل عن السير في المجرى المعروف.

وهكذا استمر باطايغ يتلقى علومه الملاحية مضيفاً لها فيضاً من التجارب

والخبرة حتى أظهرته الأيام ملأحاً بارزاً من بين أقرانه يُشار إليه بالبنان، ويُعتمد على علومه وخبرته في هذا الشأن، وامتلك بعدها سفينة شراعية، ظل مُبحراً بها بين موانئ المحيط الهندي ملأحاً ومرشداً وتاجراً، فرحل إلى الخليج العربي والهند وموانئ شرق أفريقيا واليمن وغيرها من الموانئ عقوداً من الزمن حتى قعد عن هذه الخدمة بعد عام ١٢٦٤ هـ.

وقد مارس الشيخ باطايغ فن الخط وذلك فيما يبدو بعد تقاعده عن الخدمة البحرية والأسفار، وقد قام بكتابة العديد من المخطوطات الفقهية والفلكية واللغوية، فمما وقفنا عليه في بقايا مكتبة صديقه السيد محمد بن عبدالله باهارون المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ مخطوطتان في علم الفقه، الأولى (زيتونة الألقاح في شرح منظومة ضوء المصباح في أحكام النكاح) للشيخ العلامة عبدالله بن أحمد باسودان المتوفى في الخريبة بدوعن سنة ١٢٦٦ هـ، والثانية (رسالة في علم الفرائض) للعلامة الشيخ عمر بن عبدالرحيم

بارجاء الخطيب من علماء سيئون. والجدير بالذكر أن الملاح باطايغ امتلك مكتبة علمية عظيمة ضمت العديد من المخطوطات الفقهية، واللغوية، والملاحية، والفلكية، كانت موجودة إلى ستينيات القرن العشرين الميلادي ثم ألفت بسعد ذلك أيام الحزب الاشتراكي وصارت أثراً بعد عين.

كان الشيخ باطايغ شخصية اجتماعية مرموقة من بين شخصيات الحامي، عرفت بالعلم، والصلاح، والورع، حتى وكَّله الأهالي على أموالهم، وجعلوه وصياً ونظيراً على أوقافهم، كما وكَّله بعضهم ليحج عنه كما تحدَّثنا عن ذلك إحدى الوثائق المؤرخة عام ١٢٤٩ هـ.

وممن وكَّله على أمواله وجعله وصياً على أوقافه المرأة المحسنة عائشة بنت محمد حبشان، وهي جدته لأبيه؛ فقد جعلته ناظراً على أوقافها المتعددة لمساجد ساحل حضرموت في كل من الحامي، والديس، وثوبان، وغيرها، وكان - رحمه الله - على جانب من الورع والاحتياط في ذلك، حتى أنه قام بإعطاء مسجد ثوبان حوضاً من



38

العدد (10)

أكتوبر

ديسمبر

م 2018

منظوماته الملاحيتان:

ولمّا كانت الطرق الملاحية بين
حضر موت وشرق أفريقيا، وعمان
واليمن من أشهر الطرق العالمية،
ترتادها السفنُ الشرّاعية مُحَمَّلةٌ
بالبضائع للتجارة في موانئ اليمن
وأفريقيا قام الملاح باطايح بوضع
منظومتين علميتين؛ للاسترشاد بهما
في تلك الطرق؛ لأنّ سوء مآظرها
وشعابها المرجانية، التي تغمرها
أمواج البحر والرؤوس البحرية
الخطيرة، وقد نظم المنظومة الأولى
سنة ١٨٠٢م في وصف الطريق
البحري من سيحوت إلى جزيرة زنجبار،
يقول فيها بعد البداية الابتهاالية:

سيحوت منها شمرنا بالعشي

من بعد ما قد قضينا كل شي

والقبض في مطلع العقب وفي

من بعد ليلة نوفي كل زام

نجم الحمارين اقبض فيه يوم

وليلته بايين لك رسوم

أوضح بعد الثلاثة في النجوم

سهيل مطلع قبض به واستقام

ونظم المنظومة الثانية سنة ١٨٠٥م

في وصف الطريق البحري من مسقط

إلى المخا يقول فيها بعد المطلع

الاستهلالي الابتهاالي:

من يوم نُؤمِلْ وكل بحري تنسّم

قل للمقدّم برّح حبال الصرية

من تحت صيرة الفلك قد جد سيره

ربه خبره ينظره بالعين العنية

وقد نظمهما باللهجة الحضرمية

العامية، وبالشعر المعروف في حضرموت

بـ (الحميني)، وفي بعض المناطق

كمصر والعراق يسمى بـ (النبطي)،

وهو على غير أوزان الشعر المعروفة،

وتشتمل المنظومتان على العديد من

الفوائد الملاحية والفلكية والتاريخية



مخطوط في علم الفرائض بخط الملاح باطايح

أصل كُتِبَ عام ١٢٨١هـ.

وقد اشتهرت هاتان المنظومتان بين
الربابنة والنواخذ في حضرموت
والمهرة وعمان والكويت مسترشدين
بها في رحلاتهم التجارية بين عمان
واليمن وشرق أفريقيا، وتداولتها أيدي
الباحثين اليمنيين والغربيين بالشرح
والتحليل، وكان في طليعتهم الأستاذ
المؤرخ محمد عبدالقادر بامطرف
(ت ١٩٨٨م)، ويعود له الفضل بعد الله
تعالى في إظهار الملاح باطايح
ومنظومتيه، وجعلهما في متناول
أيدي الباحثين بإصداره كتابه القيم
(الرفيق النافع على دروب منظومتي
الملاح باطايح).

والسياسية واللغوية والعادات والتقاليد
البحرية لربابنة جنوب الجزيرة العربية،
وقد تحدّثنا عن جميع ذلك في دراسة
خاصة بعنوان (الكشف عن جوانب من
حياة الملاح باطايح) (١).

وقد وقفنا مؤخرًا على عدة مخطوطات
للمرشدة الأولى، كُتِبَتْ في الأعوام
التالية ١٣٠٤هـ بقلم النوخذة أحمد
عوض باعامر، و ١٣٤٠هـ بقلم النوخذة
محمد بن عبدالرحمن باهارون،
و ١٣٦٥هـ بقلم الكرّاني أحمد علوي
مكون، و ١٣٨٣هـ بقلم النوخذة
عوض مبارك بقرف. ومخطوطة واحدة
للمرشدة الثانية كُتِبَتْ عام ١٣٦٤هـ
بقلم السيد أحمد علوي مكون عن



الحضارمة عندما كان يلتقي بهم في الموانئ البحرية، وقد حفظ نتفاً منها، كان يسترشد بها في رحلاته الملاحية والتجارية إلى موانئ شرق أفريقيا وموانئ حضرموت واليمن. ومما يؤكد ما ذكرناه استشهد الملاح ابن قطامي ببعض رباعيات منظومة باطايح من مسقط إلى المخا عند تأليفه كتابه الملاحي القيم (دليل المحتر في علم البحار)، وتلك الرباعية القائلة:

حكّم قياسك واحذر نعاسك

والباطلي تحت رأسك

عن بو الرصاص الغبية

وقد ذكرها في موضعين من كتابه، يستشهد بها على صدق مايقول، عند ذكره آلة الباطلي، التي يعرف من خلالها المسافة التي تقطعها السفينة وهي سائرة في عرض البحر، وللحذر من رأس أبو الرصاص، الذي تنتشر جذوره تحت أمواج البحر، الذي وصفه باطايح بقوله: (أبو الرصاص الغبية)، أي: شعابه المرجانية الغائبة تحت الماء، فعندما تمشي السفينة بقربه ترتطم به وتتكسر^(٢).

علم الفلك، تحدّث فيها عن منازل القمر الثمانية والعشرين، والبروج الاثني عشر، وقد تناول تلك المنازل بالوصف الدقيق، مع التمثيل والرسم والاستشهاد بالأبيات الشعرية، لم نجد في غيرها من كتب الفلك الحضرمية، كـ (نصب الشرك) للعمودي وغيره.

ولمّا كان النواخذة الكويتيون يرتادون تلك الموانئ الشهيرة كمسقط والمخا وسيحوت وزنجبار كطريقين تجاريين شهيرين فقد اطلعوا على تلك المنظومتين، وسمعوهما تتناقلان شفاهاً بين بحارة الحامي والشحر والمكلا والديس، الذين كثيراً ما يسافرون معهم سنجار، ومن أولئك النواخذة الكويتيين المعاصرين لباطايح النوخدة الربان إبراهيم الغانم، والنوخدة أحمد بن ناصر الكويتي، وغيرهما، ثم جاء بعدهما تلميذهما الملاح الشهير النوخدة عيسى بن عبد الوهاب القطامي المتوفى سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٨ م)؛ فقد عرف بوساطة مشايخه المتقدّمين منظومتي باطايح، وسمعهما تتناقلان بين النواخذة

وتلاه الباحث البريطاني الدكتور روبرت سارجنت (ت ١٩٩٢ م)، الذي قام عام ١٩٨٢ م بإعداد دراسة مقارنة في منظومة الملاح باطايح من سيحوت إلى زنجبار بمساعدة الأستاذ بامطرف، والنوخدة عوض مبارك بقرف، الذي زوّده بمخطوطة من تلك المنظومة، وقدمها لجامعة كمبردج بلندن.

وجاء بعده الباحث الفرنسي ميشل نيتوه، الذي أعد رسالة الدراسات المعمّقة، ما فوق الماجستير عام ١٩٩٥ م، في جامعة إكس إن برفانس بفرنسا، بعنوان (منظومتي الشعر الملاحية للربان اليمني سعيد سالم باطايح).

ومنهم أستاذنا المؤرخ الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم الملاحي في قراءته التاريخية (الطريق التجاري البحري بين مسقط والمخا في مرشدة الربان باطايح)، التي قدّمها في الندوة الدولية المسماة بـ (التبادل الحضاري العماني اليمني) بجامعة السلطان قابوس - مسقط في فبراير ٢٠١٠ م.

ومن مؤلفات الملاح باطايح رسالة في



40

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م

النوخذة ابن قطامي:

هو النوخذة المعلم الشيخ عيسى بن عبد الوهاب بن عبد العزيز القطامي، الشهير بـ (ابن قطامي)، من أشهر ربانة الكويت في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، وأغزرهم علماً بالملاحة البحرية وبفنونها، وأكثرهم نبوغاً وصيئناً.

ميلاده وتعليمه:

كان ميلاده بالكويت عام ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م)، وتوفي والده وهو ابن سنة، فربته أمه، وأدخلته الكتاب، فتعلم القراءة والكتابة والحساب وختم القرآن الكريم وعمره تسع سنوات، ثم بعدها التحق بخدمة البحر كغيره من أبناء الكويت، واصطحبه معه خاله النوخذة ثنيان محمد الغانم ليتعلم فنون الملاحة البحرية وفن الخط، وبعد سنتين ركب مع خاله النوخذة إبراهيم محمد الغانم في سفينته لمدة ثلاث سنوات، كان خلالها يتعلم فنون الملاحة من قراءة للخرائط البحرية، وتعلم استخراج قياس العرض والطول للموانئ حتى عرف جميع ذلك وأتقنه.

رحلاته البحرية وقيادته للسفن:

بعد أن أتقن النوخذة ابن قطامي المعارف البحرية المتداولة بين ربانة الكويت في ذلك العهد، طلبه النوخذة الكويتي أحمد بن ناصر؛ ليسانفر معه كمعلم، يحدد له مواقع السفينة في وسط البحار، وكان عمره آنذاك أربع عشرة سنة، ومكث معه سنتين، ثم تولى قيادة العديد من السفن لتجار الكويت، منها سفينة العبد الجليل من نوع البغلة، وسفينة آل صادق، أبحر عليهما ملأحاً وتاجراً إلى موانئ الهند وشرق أفريقيا وجنوب اليمن، جامعاً بين وظيفتي المعلم والربان، وكان يشتغل في أثناء ذلك بمطالعة كتب المتقدمين التي تبحث عن مجاري



إلى الهند واليمن وشرق أفريقيا وكان من أبرزها:

١. دليل المختار في علم البحار، وقد أصبح مرجعاً مهماً ومرشداً للعديد من نواخذة الخليج العربي وعمان وحضرموت، يسترشدون به في رحلاتهم التجارية إلى الهند وشرق أفريقيا واليمن، وصار موجوداً في صناديق العديد منهم.

٢. المختصر الخاص للمسافر والطواش والغواص، وقد ألفه خدمة لحرفة الغوص على اللؤلؤ ورجالها.

٣. كتاب عن أوزان اللؤلؤ.

٤. عمان والجبل الأخضر، وبحث فيه الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لسلطنة عمان.

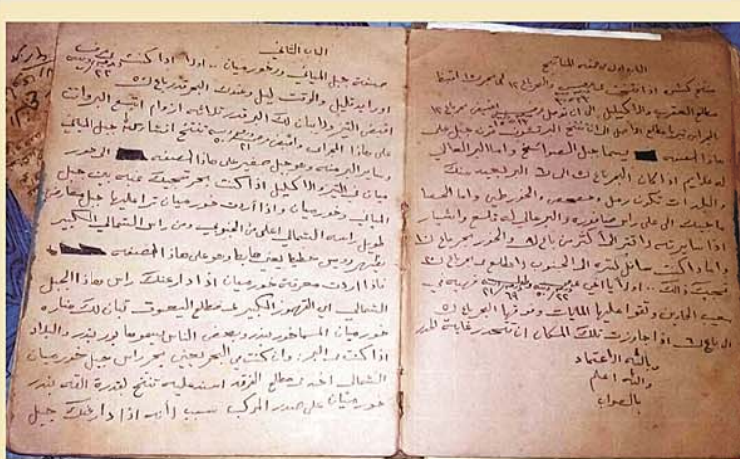
٥. كتاب اللهجات، وقد حاكى فيه جميع لهجات بلدان الخليج العربي واليمن والحجاز، مستشهداً لها بأبيات من شعره.

البحر وأحواله، ولولعه بذلك، واستعداده الفطري، وتطبيق العلم بالعمل، تمكن أن يكون في الدرجة العالية بين الكويتيين في العلوم البحرية والفلكية، حتى كثر الطلب عليه في تأليف كتاب كمرشد بحري لنواخذة السفن.

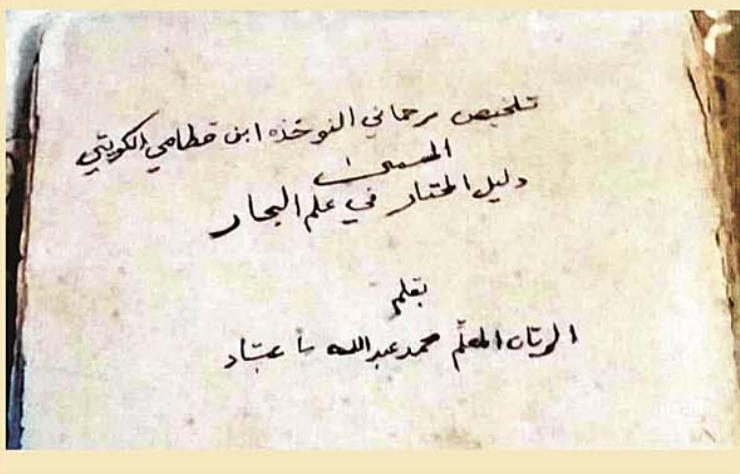
وفي حدود عام ١٩١٢ م امتلك سفينة هندية من نوع الكويتية، تولى قيادتها عام ١٩١٥ م أبنته النوخذة عبد الوهاب، ثم امتلك سفينة أخرى من نوع البوم عرف باسم (الحصان).

مؤلفاته:

نظراً لما عرفه من معارف بحرية وفلكية اكتظت بها ذاكرته ارتأى النوخذة ابن قطامي - بطلب وإلحاح - أن يضع بعض المؤلفات الإرشادية لإخوانه من نواخذة الخليج والجنوب العربي، توضح لهم المجاري الرئيسية



من تلخيص رحمانى بن قطامي



وقباطنة الحامي يصطحبون معهم في صناديقهم الملاحية كتاب ابن قطامي، وكان لسان حالهم قائل: مهما عرفنا من العلوم البحرية وخبرناه من المعرفة الفلكية فإننا بحاجة إلى علوم الآخرين؛ لنستعين بها، وهكذا كل واحد يكمل الثاني، والكمال لله سبحانه وتعالى.

لقد حل رحمانى ابن قطامي عند ربابنة الحامي وغيرهم من ربابنة حضرموت في المكان الأسمى، فقد ارتشفوا من علمه متعلمين على مؤلفه في مجاريه البحرية، ومُعتمدين عليه في رحلاتهم التجارية إلى موانئ الخليج، كمسقط، والبصرة، وموانئ الهند كبومباي وكاليكوت ومنقرور، وموانئ شرق أفريقيا كزنجبار وممباسا، ولكنهم لم يأخذوا بقياس ابن قطامي لخطوط الطول والعرض

أو الرحمانيات إلا وذكر على رأسها رحمانى ابن قطامي، وعلى الرغم من أنه متأخر في التأليف فإنه سارت به الركب، وانتشر في شتى الموانئ والبلدان؛ لسهولة عبارته وبساطة دلالته، حتى قال أحد شعراء الحامي، وهو الشاعر الشعبي عمر عوض بالحسن الشهير بالعوش (ت ١٩٧٤م) مفتخرًا بخبرته وخبرة قومه الملاحية:

دير حاكمة والعرف في الرأس

مانا معول على مجراك يا بن قطامي

ثعشر سنة نصري بها من منيار إلى

منمبي ولا رمي لها بلد عالمتاخ

أي أن عنده دير - جمع ديرة وهي البوصلة البحرية - محكمة والعرف، أي المعرفة البحرية في رأسه دون أن يرجع أو يعتمد على أي رحمانى.

ومع ذلك كله فإننا نرى كبار ملاحى

٦. مجموعة قصائد شعرية شعبية في فن الموال البحرى الكويتي، تسمى (زهريات)، أشار إلى بعضها في كتابه (دليل المختار)، ومنها قوله:

لو علموني هلي في مصر أو بيروت
لا بدع عجائب لكم تذكر بعد ما موت
لكن ويا للأسف كم واحد منعوت
يعرف من العلم أبوابه ولا ينفع
ولا فتح باب لأبناء الوطن ينفع
ولا تصدى بألف له كتب تنفع
هذا وعندي مثل هذا عساه يموت
وكان أيضا يجيد نظم قصائد التاريخ
على الحروف الأبجدية ومن ذلك مؤرخا
بيت ابن خاله الفاضل محمد ثنيان
الغانم:

خير ذكرى يا خليلي حزته هو تشييدك كهف المعوزين
قال أرخ قلت خذ تاريخه فف تجده مفتحا للوافدين
سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٢م

انتقاله إلى عمان ووفاته بها:

في ظروف غامضة لم يشر إليها أحد من الباحثين الكويتيين الذين تحدثوا عنه، رحل النوخذة ابن قطامي عن مسقط رأسه الكويت إلى ميناء مسقط بسلطنة عمان عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، لكنه لم يعيش طويلاً في منفاه - على حد تعبير د. يعقوب الحجى - فقد توفي عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م)، ودفن في مقبرة تحت جبال مسقط رحمه الله تعالى (٣).

رحمانى عيسى القطامي:

الشهير بين ملاحى الحامي بـ (رحمانى ابن قطامي)، الذي ألفه العلامة الشاعر الربان عيسى بن عبد الوهاب بن عبد العزيز القطامي سنة ١٣٣٤هـ، وقد تناقله الملاحون الحضارمة، واصطحبوه معهم في رحلاتهم الملاحية دليلاً ومرشداً لسفنهم الشراعية في أعالي البحار حتى صارت لا تذكر المرشدات البحرية



وإنما يعتمدون فيه على قياساتهم ومدوناتهم الشخصية، فتجد كل ربان منهم له قياساته الخاصة في معرفة ميل الشمس، واستخراج خطوط الطول والعرض لكل ميناء يقصدونه كما تبينه لنا ما وقفنا عليه من مخطوطاتٍ لدليل المحتار عند ربانة الحامي، هذا بالنسبة للربانة الذين لهم الخبرة في ذلك، أما النواخذة فهم يعتمدون على قياسات ابن قطامي رحمه الله تعالى.

وسبب انتشار كتاب ابن قطامي - دليل المحتار - بين ملاحي حضرموت وذلك أن مؤلفه استقر بميناء مسقط عام ١٩٢٦م، وكانت مسقط ملتقى لملاحي حضرموت مع غيرهم من ربانة الخليج، ولا يكاد يخلو مينائها من السفن الحضرمية - الحامية - التي تتردد عليه بين الحين والآخر، وكانت تلك اللقاءات العلمية التي كانت تتم في مكاتب الدلائل والوكلاء هي الوسيط في التعرف على المؤلف والمؤلف، واطلعوا على الكتاب وقاموا بنسخه.

وقد وقفت على نسختين مخطوطين من كتاب (دليل المحتار في علم البحار في ميناء الحامي)، فضلاً عن العشرات من النسخ المطبوعة في طبعتها الأولى ١٩٢٣م، والثانية ١٩٥٠م.

المخطوطة الأولى: كتبها الربان أحمد عوض محمد عبيد (ت ١٩٥٢م)، وذلك عندما ظهر الكتاب في بداية العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري، وهذه النسخة تكاد تكون كاملة لولا أنها غير مرتبة الأبواب.

وقد أضاف إليه أخوه الربان محمد عوض عبيد (ت: ١٩٣٨م) قياس المسافة بالأميال بين موانئ المحيط الهندي من عدن إلى البصرة، وكذلك خطوط الطول والعرض، ولم يعتمد فيها على قياسات ابن قطامي كما

أسلفنا ذكره، وإنما اعتمدا على حسابهم الشخصي وملاحظاتهم اليومية.

وغالباً ما يسترشدون بكتاب ابن قطامي في مجاري موانئ الهند من بمبي إلى منيبار وكاليكوت ومنها إلى سورت وغيرها من الموانئ الهندية، ولهذا جاء الكتاب ناقصاً من بقية فصوله، كما توجد عليه القواعد الحسابية التي يذكرها ابن قطامي مع الإضافة عليها بعض الطرق المعروفة بينهم وذلك لاستخراج ميل الشمس والطول والعرض وغيرها.

المخطوطة الثانية: قام بكتابتها الربان الفلكي محمد بن عبد الله بأبعاد عام ١٩٤٩م، وهي ملخص لكتاب (دليل المحتار) باللهجة الحضرمية، قسمه كالتالي: الباب الأول في صفة المناخ، والباب الثاني في صفة جبل المياني وخور ميان، والباب الثالث في صفة منقرو فتن والسفر إليها، والباب الرابع في صفة سورة ونتوخها والسفر إليها، والباب الخامس في صفة بنادر مليبار والسفر إليها.

وقد لخص فيها المجاري البحرية للموانئ الآتية:

من بروم إلى البصرة، ومن البصرة إلى سيحوت، ومن عدن إلى اليمن، ودخول السواحل وخروجها (سواحل شرق أفريقيا) من قصيعر إلى مازيوه ومن زنجبار إلى ضبة، ومن جزيرة كمران إلى جيزان.

ولخص أيضاً في آخره القواعد الرياضية لاستخراج الطول والعرض، ومعرفة حساب الباطلي، وكيفية معرفة مواقع النجوم وغيرها من القواعد بأسلوب الربان الماهر والفلكي الحاذق، وأضاف لها الأمثلة التطبيقية ليسهل فهمها للربان (٤).

وقد وقفت على نسختين من النسخ المطبوعة لكتاب دليل المحتار، وهي كالتالي:

النسخة الأولى: من الطبعة الأولى التي طبعها مؤلفها سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٣م) في مطبعة دار السلام ببغداد، وهي في حوزة النواخذة محمد بن عبد الرحمن بن محمد باهارون، وهي من أملاك النواخذة الكويتي المعلم عبد الله بن خليفة الحاج صادق، تملكها سنة ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)، وقد كتب اسمه في الصفحة الأولى باللغة الإنجليزية وفي الصفحة الأخيرة بالعربية، وكتب تحته (كويت) وسعرها ٤ ربية، ويظهر أن النواخذة باهارون اشتراها منه، أو لعله أهداها له، والأول أقرب؛ لأنه لم يصرح بالإهداء على النسخة كما هو معروف.

والنسخة الثانية: من الطبعة الثانية التي طبعت في مصر سنة ١٣٦٩م (١٩٥٠م)، وعليها تملك للنواخذة أحمد بن محمد بن عبد الله بأبعاد.

وقد أفردنا الربان القطامي بدراسة خاصة تتحدث عن معارفه الملاحية وشهرته العلمية بين ربانة حضرموت وجنوب الجزيرة العربية بعنوان: (الربان الكويتي عيسى القطامي وأثره المعرفي في الملاحة العربية في المحيط الهندي) يسر الله إكمالها.

الهوامش:

(١) طبعت لأول مرة في مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت ٢٠١٢م.
(٢) دليل المحتار في علم البحار ص ٦٨، ٨٨، الطبعة الأولى، مطبعة دار السلام، بغداد.

(٣) مرجع الترجمة: دليل المحتار في علم البحار ص ٢-٤ مطبعة دار السلام ببغداد ١٣٤٢هـ، ونواخذة السفر الشراعي في الكويت للدكتور يعقوب يوسف الحجي ص ٤٢-٤٦، مركز البحوث والدراسات الكويتية ٢٠٠٥م.

(٤) بأبعاد، تلخيص رحمان النواخذة ابن قطامي (تحت الإعداد والتحقيق).



(٣ - ٢)

قراءة في بناء لغة الشعر في قصائد عقد الثمانينيات ١٩٨٠م - ١٩٨٩م



أ.د. عبدالله حسين البار

استخدام الفعل ودلالته في النص:

مثلما اتخذت اللغة في شعر الشقاع في مرحلة الثمانينيات من ضمير (التكلم) وسيلة (للتعبير) عن مضامين الفكر ومحتويات الرؤية فقد وجدت في استخدام الفعل أداة لجلاء المواقف وتجسيد الرؤى.

وسنحاول جلاء طرائق النص في تشكيل الفعل في بنية الكلام، ووظيفته النحوية، ودلالته من خلال عدد من الأحكام ذات الصبغة النحوية - الدلالية.

والفعل في العربية لا يكون إلا مسنداً. فهو على هذا (عمدة) في الكلام وليس (فضلة).

وقد يكون لازماً فيقتضي وجود فاعل، ومكملات ولا غير. وقد يجيء متعدياً فيقتضي وجود فاعل، ومفعول به، ومكملات.

ولأهل النحو وحديث طويل عن تشكلاته في الجملة وفق منظور (نحو اللسان)، لا يشغلنا هنا ما دام شاغلنا هو طرائق استخدامه في شعر الشقاع. وإن النظر فيه ينبئ عن عدوله بالفعل من دائرة (العمدة) إلى دائرة (الفضلة) والمكملات مما يمنح الفعل في مظان استخدامه من القصيدة وظيفة نحوية، غير التي جرى بها العرف اللغوي عند العرب. فهو يفرغ الفعل من وظيفته الإنسانية ليمنحه وظيفة المكملات في الكلام؛ حيث يجيء حالاً أو نعتاً، قال في قصيدة عنوانها (العائد):

يعود بأقماره الساهدة يهزّ مدينته الراقدة
يرتل مأساته في الظلام ويطلق أشواقه العائدة

في هذين البيتين اللذين تفتتح بهما القصيدة تتوالى أربعة أفعال في صيغة الفعل المضارع (يعود/ يهزّ/ يرتل/ يطلق)، وهي من جهة الصنعة النحوية تبدو متساوية من حيث الإسناد، لكنها من جهة الوظيفة التي تؤديها في النص تبدو متخالفة، فالفعل الأول (يعود) هو العمدة في الكلام، وهو يمثل (النواة) التي تتولد عنها بقية الجمل، أما الأفعال الثلاثة الأخرى فهي أدخل في تبيان حال الفاعل المسند إلى فعل العودة عند حدوث الفعل، فبدت الأفعال الثلاثة في هيئة الحال، الذي

يمكن تقديره بمشتق؛ لتستقيم الدلالة ويصح المعنى، وتتحول الأفعال الثلاثة من صيغة الفعل المضارع إلى صيغة الفعل الدائم، أو قل اسم الفاعل كما يقولون، وتصبح (هازاً/ مرتلاً/ مطلقاً)، وتلك وظيفة نحوية متولدة عن السياق.

يتراسل معه استخدام الفعل للدلالة على النعت؛ بسبب العدول به عن حدّ الإسنادية، التي هي وظيفته في الكلام، قال:

هنا ولد ذاهب في الضياع

سعيد بشقوته الخالدة

تلاشى على عتبات الحجاز

رماداً من اليمن الراقدة

يتصدر الفعل الماضي (تلاشى) البيت الثاني من هذين البيتين، وهو هنا لا يُستخدم للدلالة على الزمنية والحدثية، وإنما يُستخدم لوظيفة نحوية منبثقة من السياق، وأعني بها صفة (التلاشي) في ذاتها، مثلما دلّت الصفتان الأوليان في البيت الأول من هذين البيتين، وهما صفة (الضياع)، كما دل عليها قوله: (ذاهب في الضياع)، وصفة (السعادة بالشقاء)، كما أنبأ بها قوله: (سعيد بشقوته الخالدة).

وليس استخدام الفعل للدلالة على النعت في صيغة الماضي من



ومن ظواهر استخدام الفعل التي خرج فيها النص على مألوف القاعدة اللغوية وتجاوز منطوقها رفع المضارع المنصوب بإحدى أدوات النصب.

والثانية هي التي نحن بصدد تحليلها. وقع الفعل الماضي المنقطع (قد أضنى) تحت تأثير فاعلية الفعل المضارع، فدلّ على استمرارية الحدث من الماضي المنقطع إلى الحاضر المعيش، ولعلّه يمتدّ إلى المستقبل المنتظر، يدلكّ على ذلك تعليل الحال بقوله: (خطاه عنسيّة - قوة لا تعرف ضعفاً/ جذوره غير أمسية - متمدّة في الحاضر ومستمرّة في القادم من عالم الغيب)، وهنا يتخطّى استخدام الزمن منظوره المتعيّن في كتب النحو ومكوّنات اللسان.

يقابله ضدّاً تحويل الزمن الحاضر إلى الزمن الماضي في قوله:

أسلو جحيم الذات أبحت خارجي

فوجدت أنّ الآخرين هم الجحيم مجيء الفعل الماضي (وجد) بعد فعلي المضارع (أسلو/ أبحت)، حول زمن الفعلين من دلالة الحاضر إلى دلالة الماضي، وكأنّ الحدث فيهما تمّ في ذلك الزمن، ومن هنا اتّساق استخدام الفعل الماضي بعدهما في عجز البيت.

ولقد يتنازعان الهيمنة على الزمن،

كما في قوله:

كأطياف حبان كانت معي

كأطياف ميفعة تنفح انتظمت الجملتان في إطار البنية التشبيهية على مستوى التخييل؛ من حيث (هي/ المحبوبة) مشبّه، و(أطياف حبان وأطياف ميفعة) مشبّه به، وقامت الأداة (الكاف) بمحض العلاقة بينهما للتشابه. لكن العلاقة بين زمني كلّ جملة جاءت متغايرة من حيث دلالة الفعل الناسخ (كانت) على الزمن

هنا يتكرّر حدوث الفعل في ظرف زمنيّ بعينه ممّا يفيد معنى الاستمرارية ودلالة الاعتقاد.

وقد يستخدم الفعل المضارع المجزوم بـ(لم) يتلوه الفعل المضارع المرفوع للدلالة على الزمن الماضي المنقطع. على أنّه ينزاح بوظيفة الفعل المضارع المرفوع من الدلالة على الحدثية والزمنية إلى وظيفة تبيان هيئة الفاعلين عند وقوع الفعل، وهو ما يبقى الدلالة الزمنية حاضرة في النص، كما في قوله:

كأن لم تكن ذات يوم هنا

ندندن في نغمة واحدة

كأن لم نسرق في العشايامعاً

تحاصرنا الأعين الحاسدة

واستخدام الفعل الماضي مسبوفاً بـ(قد) يمحّض الفعل للإيغال في الماضي، لكنّه جاء على غير مدلوله في شعر الشقاع؛ حيث دلّ الاستخدام على وقوع الحدث في زمان يتّصل بالحاضر، كما في قوله:

يعود الأمل... جنباً يداعب نهد إنسيّة

لقد أضنى مسافاتي لأن خطاه عنسيّة

لأنّ جذور أمسي - يا حنيني - غير أمسية

هنا (الحاضر) هو جوهر التجربة،

ولذلك هيمن التعبير بالمضارع المرفوع؛

لدلالته على ذلك الحاضر - تكرّر

استخدامه في النصّ ستّ مرّاتٍ في

حين جاء الفعل الماضي مسبوفاً بـ(قد)

مرتين فقط، إحداهما في البيت الثاني؛

للدلالة على الإيغال في الماضي ولا غير

(وقد كانت طيوف الأمل منسيّة)،

الاعتباطيّة في شيء، فهو إلى القصديّة أدنى؛ من حيث إنّ الصفة دالة على ثبوت الحال واستقرار الهيئة، وكذلك هو الناتج الدلاليّ لاستخدام الفعل في صيغة الماضي، فدنا بذلك من الاسميّة؛ من حيث انتفاء الزمنية والحديثيّة عنه في ثنايا الكلام.

وممّا يتّصل بهذا الوادي دلالة الفعل -ماضياً كان أم مضارعاً- على زمن وقوع الحدث، فهو في المضارع مثلاً "يدلّ في أكثر استعمالاته على وقوع الحدث في زمن التكلّم"، كما نصّت على ذلك كتب النحّو. وعدّ هنا عن دلالته على المستقبل فهم شرطوها بعلامات تدلّ على الاستقبال كالسين وسوف، أو بحروفٍ تمحّضه إلى المستقبل، منها (أنّ) وأخوات لها.

ولقد جرى استخدام الفعل المضارع في شعر الشقاع للدلالة على وقوع الحدث في زمن التكلّم، كما في قوله:

يعود الأمل منهمراً كأشعار نواسيّة

يؤرقني.. وقد كانت طيوف الأمل منسيّة

فيطرق كل أبوابي وأحزاني النحاسيّة

وهو استخدام يقف عند حدّ الإخبار، ولا

يكاد يتجاوزه إلى زمن أشدّ انفساحاً؛

أ- لانفتاحه على المطلق من الزمان

كما في قوله:

قد يكشف المجهول عن أسرار

لكن يظلّ هناك شيء لا يرى

حيث يتجاوز الفعل هنا الدلالة على

الوقوع في زمن التكلّم، فيدخل في

الزمن المطلق غير المحدّد بحاضر أني

أو مستقبل قريب.

ب- أو لإفادته معنى التكرار المستمرّ،

الذي تألفه العادة وتعتاده الألفة، كما

في قوله:

لأنّ خيالها، ليلاً، يوافي

أبيت على فراش من قوافي

كاغنية ترعرع في سمائي

كلؤلؤة لدى أحلى الضفاف



كما في قوله:

ومضة تردّي الردى فكرة تسقط العروش

ويمائله جزم المرفوع دون مسوِّغ

للمرفع، كما في قوله:

أحب المحبة في ذاتها

كذا يكن الحب .. أو لا يكون

ويقتضي التعبير (بالفعل) استخدامه

على أصل صيغته بالبناء للمعلوم،

فيتجلى الفاعل في الجملة كأنها ما كان

الفعل لازماً أو متعدياً، وهو الشائع في

شعر الشقاع. فالفعل في جمل أبيات

قصائده في هذه المرحلة يجري على

النحو الآتي:

إما أن يكون الفعل مسنداً، وفاعله هو

الذات المتكلمة في النص، وهنا يدخل

التركيب في دوائر الاعتراف، كما في

قوله:

أرنب فتصنعني الكوى

أشئي فيمصغني الرصيف

أو في دوائر النجوى، كما في قوله:

أهبي، كدم الليلة المتحدّر

وأجف وحدي - كالصباح الأصفر

قدر علي: بداية ونهاية

أن أعبّر النهر الذي لم تعبري

أمتصّ غربة عالم متوجع

وأذوقُ خيبة عالم متوتر

أو استدرار عطف الآخرين من خلال

إظهار ضعفها، كما في قوله:

ناء على هذا الطريق النائي

أنهد من ألفي الحزين ليائي

أو إظهار حالاتها المعنوية وتناقضاتها

الجوانية، كما في قوله:

أحاور عاصفة في جذوري

وأقرأ زلزلة في يقيني

فأنكش شعري عن مطلع

وأستل قافية من جبيني

أو في دوائر التعاطف الإنساني، كما في

قوله:

الحليب) على أخيار مرفوعة أو مؤولة

بمرفوع، لكن خبرين منها جاء

منصوبين (ألوهية/ غناء وطيب)،

وثالثهما -سيراً على النسق- تأوله

بمنصوب؛ لأن الكلام جرى على أعمال

الناسخ في الجمل الثلاث.

ومثله قوله:

وجهها -كان- مظلة وسحابات مظلة

وبروقاً.. ترعرش الأم -المنصوب/ وحيداً) هنا

فقد أعملها ولا عمل لها في مثل هذا

المقام. ومن هذا الباب قوله:

وحيداً - كما كان بدء الزمان -

بهرول في الطرق الجاحدة

فالأدق إجراء (المنصوب/ وحيداً) هنا

(مرفوعاً/ وحيداً؛ لأنه بالخبرية أليق،

وأما الناسخ فلا عمل له سوى الدلالة

على انقطاع الحدث في زمن سحيق.

ومن ظواهر استخدام الفعل التي خرج

فيها النص على مألوف القاعدة اللغوية

وتجاوز منطوقها:

- رفع المضارع المنصوب بإحدى أدوات

النصب، كما في قوله:

عنز يشعل حرباً كي يلاقي وجه عبلة

فيا وعدّها أن نلتقي ويا شغفى أن لي أن أبوح

دعيني أحاول أن أنتهي لبدأ هذا التشيد المعيني

- رفع المجزوم، كما في قوله:

هاتف بالباب يستعجلني

فدعيني أعزف اللحن الأخير

دعيني أحاول أن أنتهي

ليبدأ هذا التشيد المعيني

ومنه إجراء اسم الشرط الجازم (من)

في معنى الاسم الموصول غير الجازم

(من)، مما يقتضي رفع المضارع في

موضع الجزم، كما في قوله:

من يريد الموت: هذا وقته

فعلى كل فتى أن يستعد

من يشب الحلم لن يبلغه

من يريد الحب -حتماً- لن يجد

- نصب الفعل المرفوع دون مسوِّغ،

الماضي، ودلالة الفعل المضارع (تنفج)

على الحال المستمر غير المنقطع.

أفضى استخدام الفعلين في صيغتين

متخالفتين إلى شيء من اللبس، على

الرغم من اقتضاء عملية التشابه بين

المرئيات في صورة المحبوبة الانتظام

في بنية زمنية واحدة، وعليه فهو إما

استخدم الفعل المضارع (تنفج) في

معنى الماضي، وإما استخدم الفعل

الماضي (كانت) في معنى المضارع،

وهو الأدق؛ لانساقه مع استخدام

الأفعال في سياق النص، فهو

المحبوبة (يجرح)، وهي (تمرح)، وهو

(يحبس بأنها البلاد كما يقول لها)،

وأنها في دمه (تسبح)، وهي (تقول) له

ما تقول (وحين يجد الهوى تمزح)،

وهو (سيترك عزان) لعله يربح

بخسرانها ما دام لا يزيد على كونه

ذبيحاً (يقبل يد من يذبح)، ومن خارجه

(ترأر الحادثات)، ومن داخله (شجن

ينبح)... إلى آخر ما هنالك.

سياق تتوالى فيه الأفعال في صيغة

المضارع، أفلا يتساق معاً تحول

استخدام الفعل في صيغة الماضي إلى

صيغة المضارع ولو جاً إلى معنى

الديمومة والاستمرار، ونأياً بها عن

معنى القدم والانقطاع؟

ومما يتصل بهذا إعماله الفعل الناسخ

الذي لا عمل له، كما في قوله:

طلعتُها -كانت- ألوهية

خطوتها -كانت- غناء وطيب

في ضحكها أمومة واشتهاء

لصوتها -كان- مذاق الحليب

فالأصل -كما يقتضي قانون اللسان

ذلك- في (كان) إذا جاء بين متلازمين،

وبصيغة الماضي، أن يكون زائداً لا

عمل له من جهة الصنعة النحوية، أما

من جهة الدلالة فهو يفيد معنى

المضي والقدم. وعليه فقد كان من

المتوجب أن يشتمل المبتدآت تقدّمت

أو تأخرت (طلعتُها/ خطوتها/ مذاق



جاء الشقاع بصور من الإنشاء في متون قصائده أحدث نوعاً من النغم المغاير للنغم الذي تولده مكوّنات الأسلوب الخبري في الكلام.

ناره يمتشق الموج بها

صمته أنشودة السيّف المضرج
فإنّ الفعل المضارع في البيت الأول
(يُطْفَأُ) يقوم بدور المولّد الدلالي في
الجملة، وقد جاء مغيّرة صيغته بالبناء
للمجهول ممّا أسهم في إضمار الفاعل،
واندغام المفعول به في مقام الفاعلية
تعظيماً للشأن. فإذا عدنا بالجملة إلى
بنيتها العميقة، التي لم تتجلّ على
سطح لغويّ ظهر لنا أنّ (العاشق)
شمس، رام الآخرون أن يطفئوها، فهي
إذاً واقعة في مقام المفعولية، وتلك
دونيةً يأبأها (الإبداع) ولا يقبل بها،
فاستعاض عنها بإضمار الفاعلين،
الذين أبوا إلا نفيه وإلغاء وجوده، فغيّر
في صيغة الفعل المضارع؛ ليتمكّن
المفعول به من الصعود إلى مقام
الفاعلية، وهو ما يسرّ من بعد تجلّي
فعل جواب الشرط، (يتوهج) في صيغة
البناء للمعلوم؛ لتتسق الفاعليتان في
مقام واحد.

أما في قوله: (ناره يمتشق الموج بها)
فقد أمكن تغيير صيغة الفعل من
الارتقاء بحال الأشياء من منظورها
الطبيعي؛ لتكتسب منظوراً أسطورياً،
أو ما هو أدخل في عوالمه.
وثمة موضع ثالث جاءت صيغة الفعل
فيه مغيّرة بالبناء للمجهول، وهو قوله:

استبدت هندياً قلباً أتدّ

بدلّ العجز بعجز مُسَبَّد
(بدلّ العجز بعجز...)، الأصل في الفعل
(بدل) -بالبناء للمعلوم أو بالبناء
للمجهول سيان- أن يتصل حرف الجرّ
(الباء) فيه بالمتروك من الأسماء، ولكن

البهجة ممّا أفضى إلى سير الذات خلفه
أماً في الظفر بها، وتنظراً لها، يوحى
تنكّر وسيلة الظفر بالمشتى (الباب
والطريق) -بالجفوة والصد- وهو ما
يفضي إلى فعلين تتكامل بهما
الدلالة، وهما (تفرق الأمل شرانم،
وتجمهر العذاب)، وهنا تتكامل الدلالة
من خلال التضاد بين ما هو كائن وما
ينبغي أن يكون، بين الموجود
المشهود، والمأمول المنشود.

بيد أنّ (اللسان) قد أذن باستخدام
الفعل مغيّرة صيغته بالبناء للمجهول،
فعمد (النص) إلى توظيفه في مظانّ
منه وإن قلّت في قصائد الشقاع في
هذه المرحلة من تاريخ تجربته
الإبداعية. فقد دلّ الإحصاء على أنّها لا
تزيد عن الثلاثة المواضع عدداً، لكنّ
لها بعدها الدلالي، ففي قوله:

ناقة الله التي ما عقرت

يتولّى حلبها (سام) و(بول)
يستخدم الفعل في صيغة البناء
للمجهول؛ للدلالة على تعظيم
المفعول به وإجلاله، ولذلك تعدّر
العثور على فاعل ينهض بالفعل، ولو
كان كاشقسيّ ثمود، هذا في الزمن
الماضي، أما في الزمن الحاضر فالفاعل
ظاهر ومحدّد ومدرّك بكلّ وسائل
الإدراك، فبدت الناقة ممتنهّة (تحضر
في الشطر الثاني بضميرها/ها،
ويتجسّد الفاعل الذي يستبدّ بها (سام
وبول)؛ للدلالة على تحقير الشأن،
أما في قوله:

عاشق من أول الحزن أتى

عندما يُطفأ -شوقاً- يتوهج

وأحسّ أنّي في الجسوم ممزقٌ

فكأننا كل الوري أشلائي

أو التعالي بصنيعها، كما في قوله:

فأبث في قلب الجميع محبةً

خضراء للأحباب والأعداء

أو في دوائر التحديّ، كما في قوله:

سأتيك من لغة حرة

تمرّ على صخري ورفاتي

سأدخل كهفي لأقرأ حتفي

وأنقضّ: عاصفة في دواة

وإما أن يكون الفعل مسنداً وفاعله
الآخر، والذات تعرفه وتحقّق فيه وفي
فعله، فينفّث التركيب على دلالات
متنوعة:

كالإدانة في قوله:

قتل الزمان بقلب كلّ خله

فحببتي ثكلي وشاعرها يتيم

تسرّب اللحظات بين أصابعي

فكأن عمري كائن من ماء

أو إبراز قوّة (الفاعل/ الآخر) على اجترار
الأفعال، التي تصيب سهامها الذات،
كما في قوله:

يعود الأمس منهمراً كأشعار نواسية

يؤرقني.. وقد كانت طيوف الأمس منسية

فيطرق كل أبوابي وأحزاني النحاسية

ويزرني هوى حقات أو نجوى قلنسية^(١)

ولقد يعمد إلى توالي الأفعال، وتنوع
الفاعلين؛ لبيان أثر ذلك على وجدان
المتكلّم، كما في قوله:

نادى العبير

فسرت خلف ندائه

لكنّ بآبك والطريق تنكّر

فتفرّق الأمل الجميل شراً ذمّاً عبر الشوارع

والعذاب تجمّهر

هنا خمسة أفعال، لكلّ فعل منها فاعله
الذي يمتاز من الآخر في دلالته، ففي
حين يوحى نداء العبير باستجلاب



- كانت تناديني وكنت المجيب
- كم أناديك ولكن لم تجب
- أناديك أنت فيأتي سواك.
وفي هذا ما ينبئ عن أن المساحات والمسافات بين الذات المرسومة في النص، والآخرين رحيبة تتطلب مد الصوت، ورفع النداء؛ ليبلغ الآخر، فيلتفت إلى مصدره، فيقبل عليه. ولعل هذا الناتج الدلالي كان وراء استخدام الإبداع صيغة النداء في القصيدة على صور من التشكيل متنوعة. ولقد نادى الشقاع أعلا ما ولو في إطار الرمز ودائرة الاستخدام المجازي، مثل قوله:
- أي شيء لديك غير الأمان
يا حنان أذهبي دعيني أعاني
- وهنا السماء تحجرت
وَقَرَّ نداءك يا بلال
مثلا نادى صفات في شخص:
- عيناك عندي فرصة للرحيل
يا حلوة نجيء عند المقليل
- هل أشب الغرام كي تفهميني
أنت يا ربة الجبال الحزين؟
- أيا حضرمية همي بعيد بعيد
وخطوي قصير قصير
ولقد يجيء المنادي في بنية (المستعار) منزاحا به عن بنية المنادي (المشبه)، الذي جرى استخدامه في نحو اللسان، قال:
لم أعد يا حماتي وصباحي
ذلك الشاعر الذي تعرفينه
فالمحبوبة -وهي في الأصل المنادي- خفيت في المقولة اللغوية، وهي هنا في مقام المستعار له، وحل محلها المستعار (حماتي وصباحي) في إطار بنية الاستعارة التصريحية. ومن بابه قوله:
يا وجه من أحببت يا قمرًا يطل على التلال
حيث الوجه مستعار له والقمر في مقام المستعار، وقد ناداه بعد مناداته

ساعديني على النوى يا أمينة
قلق اليوم فوق ما تعهدينه
وهو أمر. ومثل قوله:
ماذا تريد؟ ومن تراود أنت المطارد والمطارِد
وهو استفهام. وكقوله:
أيها النائم في حضن الجبل
أعط للنائي عناوين الأمل
وهو نداء مشفوع بأمر. وكقوله:
لا تقابلني بقلب منفتح
أيها الوقت أرحني واسترح
وهو نهي مشفوع بندا وأمر.
لكنه لم يقتصر على استخدام تلك الأساليب في مطالع قصائده، بل جاء بصور من الإنشاء في متونها أحدثت نوعاً من النغم المغاير للنغم الذي تولده مكونات الأسلوب الخبري في الكلام. وهذا واحد من العوامل التي تسهم في تشكيل الأساليب الإنشائية، وأعني به العامل الصوتي، وقريب منه العامل النحوي والصرفي؛ من حيث إن هذه الأساليب أدوات تحدد هويتها اللغوية كالنداء، والاستفهام، والنهي، وصيغاً صرفية تختص بها كالأمر، والتعجب، وما أشبه هذا.
وفي كتاب (خصائص الأسلوب في الشوقيات) للدكتور محمد الهادي الطرابلسي تفصيل ما أجمل هنا فلينظره في مظاهره من رام التفصيل. أما نحن فماضون في تقريري طرائق استخدام هذه الأساليب في شعر الشقاع، كما أنبأت قصائده، وسنبداً أول ما سنبداً بـ

النداء:

لا تخطئ عين الناظر في شعر الشقاع شيوع دال (النداء) فعلاً وصيغة، فقد تكرر الفعل في مظهر منه متعددة، ومتنوعة، كما في قوله:
- أناديك لكن بلا فائدة
- أناديك والصمت ما بيننا
- أناديك قبل انسداد الستار

الإبداع أثر استخدامه كما أجازه اللسان العربي في عصره الحديث. أتراهم لهذا أجازوا قول شوقي:
أنا من بدّل بالكتب الصحابا

لم أجدي وإفياً إلا الكتابا
والمتروك هنا هم الصحاب وليس الكتاب؛ وكذلك هو في بيت الشقاع، لكن البعد الدلالي في بيته ظاهر غير ملغي من جهتين.
أولاهما: التقابل الضدي بين (الأهون) و(الأعظم)، فالعجز غير الموصوف أهون عن العجز المستبد.
وثانيهما: من جهة الفاعلية، فليست الأهمية هنا لعملية التبديل، ولكنها للفاعل الناهض بالفعل، والمفعول به الذي حل في مكانه آخر، ومن هنا قيمة الاستخدام ودلالته.

ومن قبل قيل: "وإذا خرج الكلام عن حد الإمكان فإنما يراد به بلوغ الغاية لا غير ذلك". وإن فيما سلف غنية فلنلق نظرة على

الأساليب الإنشائية في قصائده:

وإن الأغلب عليها في هذه المرحلة شيوع (المتكلم)، الذي يفضي بما في النفس، فهيمن الخبر على النص، وبدا التعبير باليقين ناتجاً عن ألفة للمعنى، ومكاشفة للمفهوم، فتماهى المنطوق بالخبر؛ لأن غاية النص الإفضاء، والإخبار. لكن مظهر من مظاهر فيها التعبير عن موجعات النفس، وتسلياتها بالخبر، فتوسل بالإنشاء؛ لإظهار المكنون فيها، ولجلاء الرؤية للحياة. فانتقى الإبداع صوراً من الأساليب الإنشائية، ونوع في طرائق استخدامه إياها، فتنوعت دلالتها في النص.

ومن الصور التي تنقأها (الاستفهام/ الأمر/ النداء/ النهي والتمني وهما قليلا الاستخدام).

أما عن طرائق استخدامه فمنها ما جاء في مطالع قصائده مفتتحاً بها أبياتها، كما في قوله:



ولقد يتقدم الأمر، أو النهي على المنادى في مَظَانٍّ من شعره مخالفة لما جرى به الاستعمال في نحو اللسان

فيا وعدّها أن نلتقي
ويا شغفي أن لي أن أبوح
ويا سحرها كيف في لحظةٍ
منحت القصائد جسماً وروح
ويا آخر الحزن فلتنطفئ
ليشرق هذا الغرام الطمّوح
فيتجلّى المنادى في مقام (البهجة)،
وفي مقام (الحب)، وفي مقام
(التعظيم)، وفي مقام (الترجّي).
وكما وضع المنادى في مفتتح البيت
وضع في مختتمه، فجاء في عجزه، كما
في قوله:
هل أشبّ الغرام كي تفهميني
أنت يا ربّه الجمال الحزين
جددي نكهة الزمان .. تمشي في دماي ..
يا نكهة الياسمينه
ألن تستحري ولو مرةً بنار الأناشيد .. يا باردة؟
وهنا يتراءى النداء صرخةً في فضاءٍ،
تظلّ تتردد فيه علّه يصل إلى سَمْع
المنادى، فيجيب طلباً، ويلبي نداءً.

الأمر:

أسلوب الأمر صورةً من صور التفاعل
بين المرسل والمرسل إليه؛ إذ يقتضي
وجود الأمر وجود مأمور ومأمور به،
وهو الفعل المطلوب إنجازه. والأصل
في شعر الشّقاء أنّه يجلو تجربة ذاتٍ
في مكابدة الوجود، وينت صور معاناتها
لبلوغ المنشود. فلا سبيل فيه لاستخدام
(الأمر)؛ من حيث يقوم على علاقة
استعلاء وإلزام، ومن هنا قلّ في قصائده
وإن لم تخل من مظاهره التي تشكّلت
فيها على طرائق، وسمتها بالخصوصية،

لكنّه أشرب معنى التعجّب من ذاته ومن
صفته؛ حيث الأصل فيه: يا للمعبّد
المنهار! وكأنّما استغاث بالآخرين له
من جهةٍ، وتعجّب من انهياره، وهو
الكيان الضّمخ من جهةٍ أخرى.
ولعلّه لهذا وجد النصّ سبيله إلى
التعجّب منفثاً، فمضى إلى قوله:

يا حيرة الأقمار في الأفق تبحث عن غدٍ
يا نبتة الحسرات في الليل القديم المرعد
... إلى آخر ما هنالك من ذلك.

ولقد ينزل المنادى البعيدة منزلته
من القلب منزلة المنادى القريب حين
يستخدم أداة النداء (يا)، كما في قوله:
ألن تستحري ولو مرةً بنار الأناشيد يا باردة
حيث المرأة الموصوفة بالبرودة قد
لفظها القلب بعد أن تنكرت له،
وهجرت المحيط الجسور الغيور؛ لتتقي
على البركة الراكدة، فهو بعد معنوي،
لا يلائمه استخدام الأداة (يا) وإن نودي
بها البعيد. لكن في قوله:

أيا حضرميةً همي بعيد بعيد وخطوي قصير قصير
إنزالاً للمنادى القريب منزلة من
القلب - تدلّ عليها هذه النجوى،
ويؤكدّها هذا الهمس - منزلة المنادى
البعيد الذي لا يظفر به:

أجوب المكلا بهذا الغناء

كراع يغازل بنت الأمير
وهنا تماهى القرب المعنوي مع البعد
الحسيّ من جهة أن الوصل أمر صعب
إن لم يكن مستحيلاً، فتلاءم شكل
التعبير مع دلالة السياق.
ولقد يتوالى المنادى في إطار التشخيص،
كما في قوله:

(الوجه)؛ للحثّ على الإقبال، والاتفات
إلى صوت المنادي الحائر في أمور الزمان:
أصبحت مألوفاً .. ومكشوفاً .. فما بال الجمال؟
ولقد يستخدم المنادى في شعر الشّقاء
مصحوباً بأمر أو نهى، كما جرى به
الاستعمال في نحو اللسان، كما في قوله:

- يا حنان اذهبي دعيني أعاني

- والحزن يعزفني .. فيا أرجاء روعي رددي

- استبدت هندا قلباً أتدّ

ولقد يتقدم الأمر، أو النهي على المنادى
في مَظَانٍّ من شعره مخالفة لما جرى
به الاستعمال في نحو اللسان، كقوله:

- ساعديني على النوى يا أمينة

- لا تفتحي الأبواب يا رجائي

- لا تقابلني بقلب منفتح

فهذه آخرة الدروب

- أيها الوقت أرحني واسترح

على أنّه يكثر من استخدام المنادى

مصحوباً بالخبر على غير ما جرى به

الاستعمال في نحو اللسان، كما في

قوله:

- طالبتني همي بلا آخر

وأغنيات رحلة في الأصيل

- أيها الحلم الذي ضيعته

كدت ألقاك صباحاً عند إب

وهنا يتحوّل المنادى إلى أذن تصغي

لنجوى المنادي، وهمسه بما في

الوجدان.

أويجيء المنادى النكرة مصحوباً بجملة

خبرية، هي في معنى النعت له، ممّا

يدخل النداء في دائرة التعجّب:

- يا حلوة تجيء عند المقليل

ولقد يستخدم النداء للتعجّب بأسلوب

النّدية، كما في قوله:

نوارضاعت من يدي يا لانهيار المعبد!

فالمتعجّب منه هنا هو المستغاث له،



عمد النص هنا إلى الانزياح بالمكوّن الأسلوبيّ عمّا جرى به العرف اللغويّ في بلاغة اللسان ليصنع بلاغته، ويبين عن جرأته في انتهاك قواعد اللغة وسننها المرسومة. وليس لنا من حقّ في أن نسأل: لماذا؟ فللشعراء أن يقولوا، وعلينا أن نتأوّل، كما قال الفرزدق يوماً. ولهذا ترانا نعيد النظر كرّة أخرى في أفعال (الأمر)، كما اشتملت عليها الأبيات السالف ذكرها؛ لتبيّن طبيعة السياق، الذي وضعت فيه، ودلالة استخداها على ذلك النحو.

والحق أن أفعال الأمر هنا وإن تشكّلت في بنية الأسلوب الإنشائيّ (الأمر) فإنّها انتظمت في سياق البثّ الوجدانيّ، فليس من غايتها طلب الفعل على وجه لاسـتـعلاء والإلزام، ووجوب التنفيذ والتحقّق، ولكنّها تتغيّ الإفضاء بـمّا في النفس من اشتهاؤ ورغبة في البوح. وفي هذا السياق انشطر البثّ إلى وحدتين دلاليتين متراسلتين، قصدت إحداها إلى الحديث عن المستقبل المأمول، الذي قد يكون وقد لا يكون، وهو ما دلّت عليه الأفعال (امـنـحـنيـني طفولتي / احمـلـني إلى حواري المكلا / أرجعيني إلى عشايا دثينة / تمشّي في دماي...)، في حين قصدت ثانيتهما إلى الحديث عن معاناة الذات في واقع حاضر مأزوم، تتلمّس السبيل إلى الخلاص منه من بعد ما أنشـب فيها مـخـالـبه، وهو ما تشير إليه الأفعال (ساعديني على تجاوز وضعي، وإنّما تُطلب المساعدة لتجاوز الوضع القائم بالفعل حين يسوء ظاهره، ويقبح مخبره / برّدي هذه الهموم السخينة، وإنّما يُنشد تبريد الحرارة حين يرتفع مؤشّرها إلى حدّ لا يطاق، ذلك في الحرارة الحسيّة، فما بالك والحرارة معنويّة تكوي الجوف نيرانها المحرقة / جدّدي نكهة الزمان، وإنّما يُلح طلب تجديد الرائحة حين تزداد العفونة انتشاراً، وتستحيل

ولقد يجيء المسند إليه في مقام التجريد، ويستوي فيه أن يكون السياق للذات المتكلّمة، كما في قوله: فارجع لمن صانت هواك لدى الخطوب لعلّها أو في سياق الذات المخاطبة؛ حيث يشـتـقّ من المؤنث -وهو المأمور الواقعيّ، والمختصّ بالخطاب- مخاطباً مذكّراً، فيجعله مأموراً نصياً، يتجلّى في الخطاب الشعريّ، فيناديه ويأمره. قال: أيّها النائم في حضن الجبل

أعط للنائي عناوين الأمل ولقد توزّع الأمر في قصائده بين المطالع والمتون، لكنّه جاء في الأغلب جزئياً ومتفرّقاً في مظانّ متنوّعة ما خلا قصيدة (الياسمينّة)؛ حيث توالّت أفعال الأمر في سياق لغويّ متّصل:

ساعديني على تجاوز وضعي
وتخطّي كلّ الظروف المهينة
امنحيني طفولتي من جديد
برّدي هذه الهموم السخينة
احمليني على حواري المكلا

أرجعيني إلى عشايا دثينة
جدّدي نكهة الزمان تمشّي
في دماي يا نكهة الياسمينّة
تتوالّي أفعال (الأمر) هنا مفصولة غير موصولة. ويذكر علماء بلاغة اللسان مواضع ثلاثة يجب فيها الفصل دون الوصل في الكلام، هي: (أ) أن يكون بين الجملتين اتّحاد تامّ، كأن تكون الثانية توكيداً للأولى، أو بدلاً منها، أو بياناً لها. ويجري الحديث هنا عن كمال الاتصال.

(ب) أن يكون بين الجملتين تباين تامّ، كأن تختلفا خبراً وإنشاءً، أو تتناقرا؛ إذ لا مناسبة بينهما. ويجري الحديث هنا عن كمال الانقطاع أو الانفصال. (ج) أن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال، اشتملت عليه الجملة الأولى. ويجري الحديث هنا عن شبه كمال الاتصال.

التي تميّز نصاً من نصّ حتّى وإن اتّفق مع آخرين في عمليّة اختياره هذا المكوّن الأسلوبيّ وتوظيفه فيها. وبتدبّر طرائقه في استخدام (الأمر) في شعره نجد أنّه يستخدمه مع مسند إليه مفرد ولا غير، على خلاف ما نجده في أشعار سواه من شعراء العربيّة في الأوّلين والآخرين. فامرؤ القيس استخدم الأمر مع مسند إليه مثنّى في قوله: قفانك من ذكرى حبيب ومنزل والشنفرى استخدمه مع مسند إليه جمع في قوله:

أقيموا بني أمّي صدور مطيّكم
فإني إلى قوم سواكم لأميل
وفي تاريخ الشعرية العربية ترسم لخطاهما على حسب اقتضاء السياق، حتّى غدا القول نمطاً مكروراً. أمّا في شعر الشقّاع فالمسند إليه في فعل الأمر مفرد عدداً، لا يكاد يتجاوزه إلى سواه قط. قال:

- أيّها النائم في حضن الجبل
أعط للنائي عناوين الأمل
حطّ عن كاهله يا حلمه

ذلك الحزن الذي لا يحتمل
- احمّل الورد للذي كنت عيده
ودع الحزن للقلوب الوحيدة
الصحافات سلوة؟ فلا جرب
كان لبنان جثّة في جريده
... إلى آخر ما هنالك.

ويتنوّع المسند إليه المفرد من حيث الجنس بين مذكّر ومؤنث، فإذا قال في موضع:

ساعديني على النوى يا أمينه
قال في آخر:
..... وفّر نداءك يا بلال

وقد يتعيّن لديه المسند إليه دلّ عليه المنادى، وقد لا يتعيّن فيبدو عاماً غير محدّد، كما في قوله:

خذّ دمي هجمة الوحوش وانفعالا بلارتوش
أنت يا من أحبه أعطني وجهك البشوش



أن الاستخدام التداولي لبنية الاستفهام لا تصلح في الإبداع الشعري؛ من حيث هي مكوّن أسلوبِيّ، يقوم بوظيفةٍ في ثنايا الكلام.

تمنح البنية الاستفهامية دلالة
التعظيم. لكنّه حين يقول:

أَيكونَ حظُّكَ أن تموتَ وأنتَ ترجو وصلها؟
تمنح البنية الاستفهامية دلالة الدعاء،
في حين أنّها تنتج دلالة التقرير ودلالة
الاستبعاد في قوله:

أولم تكن طفلاً لديها؟ كيف تسلو طفلاًها؟
بيد أن طرافة الاستخدام تأتي من
جهة النظر في طرائق استخدام بعض
أدوات الاستفهام في شعر الشقّاع وما
اتسمت به من صور الانزياح بدلالاتها
عمّا أثّر في بلاغة اللسان وألفه
متلقّوها من زمن بعيد. فالإجماع كائنٌ
على أن أداة الاستفهام (كيف)، إنّما
تُستخدم للسؤال عن الحال، أو الهيئة،
التي حدث بها الفعل المستفهم عنه،
أو ما أشبه هذا وذلك. لكنّها في شعر
الشقّاع تعدل عن هذه الدلالة لتمنح
دلالةً سياقيةً، هي إلى التعجّب أقرب
منها إلى سواها. قال:

- وبأسحرها: كيف في لحظة
منحت القصائد جسماً وروحاً؟
- وكيف يكون قداميّ وممنوعاً من اللمس؟
- كيف انتهى حزني لديها وما زال
على الأفق دخانٌ ثقيل؟

... إلى آخر ما هنالك من نظائره.
وصورة من صوره الخروج بالأداة (هل)،
(والهمزة) عن دلّتيهما في أصل
اللسان. فأهل اللغة يذهبون إلى أن
(الهمزة) يُستفهم بها عن التصوّر
والتصديق، أمّا (هل) فلطلب التصديق
الإيجابي دون التصوّر ودون التصديق
السلبّي. ولقد جرى استخدامهما في

فقلتُ لها قولاً فجاءت بمثلها

لكلّ سؤالٍ يا بئسَ جوابُ
فيكون الجوابُ مطابقاً للمقصود من
السؤال. ولعلّه جرى مثل هذا الاستخدام
التداولي للاستفهام في بعض شعر
الشقّاع في هذه المرحلة. قال في
قصيدة حوارية:

- كيف جئت الآن؟

* من داخله. دائماً يبقى جزيءٌ لا يضارُ

إن أكن اصفرّاً جُذب المنى

من هشيمي سوف يأتي الاخضرار

- والغرام الخلو هل تركه؟

بعدما درت بذياك المدار

* لم أكن في الحب إلا هاوياً

مثلاً يرسم طفلٌ في جدار

بيد أن هذا الاستخدام التداولي لبنية
الاستفهام لا تصلح في الإبداع الشعري؛
من حيث هي مكوّن أسلوبِيّ، يقوم
بوظيفةٍ في ثنايا الكلام. وفي شعر
الشقّاع كما في سواه خروجٌ على ذلك
النسق المحدود، فتتساح البنية اللغوية
بدلالاتها وظيفيةً وتشكلاً ومعانيً متنوعةً.
ومن الحق أن القول بخروج بنية
الاستفهام على معنى الاستخبار إلى
سياقاتٍ دلاليةً متنوعةً هو من البداهة
بمكان، فلا يحوج إلى تبصّر؛ لأنّه أظهر
ما يكون. فالشقّاع حين يقول:

إني أفشّشُ عن معانٍ للغرام.. فما أضيف؟

يشي الاستفهام هنا بدلالة الحيرة. أمّا
حين يقول:

أنت لم تقو على حزن الصبّا

من يقوئك على حزن الكبار؟

الأطياب العطرة إلى روائح مستكرهة).
وهنا تتلاشى دلالة فعل الأمر على
الاستعلاء والإلزام وإن احتفظت
بصيغته اللغوية الدالة على النسيج
الأمر. وهي هنا لا تتجاوز أبرز صيغه،
وهي صيغة (افعل) وما ماثلها من
صوره المتنوّعة صرفياً مثل: (فاعِل)،
(وَفَعِل)، و(أَفْعِلْ...). ولقد جاءت صيغة
المضارع المقرون بلام الأمر في مظهرٍ
محدود، وخلا متناً القصائد من بقايا
صيغ (الأمر) المذكورة في بلاغة اللسان.
والعلة في قلة استخدام هذا المكوّن
الأسلوبِيّ في شعر الشقّاع في هذه
المرحلة من تاريخه الإبداعي هو
انصرافه إلى موجعته، وما أكثرها!
وانشغاله بتسليياته، وما أقلّها! دون
النظر في السياقات الاجتماعية على
اختلاف صورها ففيها تنوّع المعاني،
وتتعدّد الدلالات، ويكون (للأمر) بكلّ
صيغه حضوره البارز في متن النصوص.
وحسبك ما تجده في شعر شوقي
وأضرابه مثلاً على ذلك، وفيه دلالة
على الهوية الإبداعية لشعر الشقّاع،
وهو ما لا يخطئ اللبيب إدراكه.

الاستفهام:

هو عند العرب بمعنى الاستخبار،
والمقصود به «طلب خبر ما ليس عند
المستخبر». لكن ابن فارس في
(الصاحبي) يفرّق بين المصطلحين
بـ«أن أولى الحاليين استخباراً؛ لأنك
تستخبر فتجاب بشيء، فربما فهمته،
وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت
مستفهم».

وهو يذهب إلى أن «جملة باب
الاستخبار أن يكون ظاهره مطابقاً
لباطنه». وهنا يتصل معناه بمفهوم
التداولي في البنية اللغوية؛ حيث تبدأ
العملية الكلامية بسؤال يردّ عليه بجواب،
على نحو ممّا ذكره جميل بن معمر في
حديثه عن أول ما قاد المودة بينه
وبين بثينة بوادي بغيص حين قال:



الذي تتحول به الجملة من الإخبار إلى الإنشاء، قال:

- بطول الطريق؟ ولكنه

أحبُّ المشاوير يا نور عيني

- الصحافات سلوة؟ فلا جرب

كان لبنان جنّة في جريدة

وكان الأصل في الاستفهام هنا هو الإخبار، لكن الجملة تحولت بالتنغيم إلى الاستفهام.

وفي كل المظان التي استخدمت فيها البنية الاستفهامية يجيء المستفهم منه كائناً حياً (إنساناً)، حتى وإن عمّا، فإن في مبتدأ القصيدة ما يشير إليه. وأين هو من صنيع شوقي، أو أين صنيع شوقي منه حين قال في غاب بولون:

يا غاب بولون ولي ذمّ عليك ولي عهد

زمن تقضى للهوى ولنا بظلك هل يعود؟

وكان الشقّاع ينتظر إجابة من المستفهم عنه ما دام يستفهم من قادر على الوعي بالسؤال والإجابة عنه، وهو ما لا نجده في بيتي شوقي السالفين. ومن بابـه أن يكون المستفهم منه هو الذات المتكلمة في بنية التجريد.

أشكو سواي وأشكو الأنأ؟

وعلى ما في وجود الذات المتكلمة من قلق ومكابدة صراع مكتوم، فإن الشاعر لم يعمد إلى (مسرحة) ذلك الصراع، فعمد إلى الإخبار عنه، فقلت فاعلية الاستفهام في شعره ما خلا ما نجده في قصيدة (الغريب).

قوام القصيدة عشرة أبياتٍ ولا غير. استخدمت البنية الاستفهامية فيها إحدى عشرة مرة، وهذا لا يعني أن في كل بيت منها استفهاماً؛ لأن الإبداع وزّعها على نحو يسهم في تكامل بنائه، واستقامة الكيان.

جاء البيتان الأولان إطاراً تمهيدياً للحدث، الذي انتظم كيان القصيدة، وهو حالة الاستغراب، التي أحاطت المتكلم عند رؤيته ذلك الوجه الحبيب

أبدأ هذا النشيد الغريب؟

أفي الوقت متسع كي أطيّر؟

أأشكو سواي وأشكو الأنأ؟

كلانا كُسّرنا كلانا الكسير

أو تعجبين من انكساري في متاهات الغياهب؟

أو تسألين عن الهوى الناري عن عشب الغرائب؟

والاستفهام في شعر الشقّاع مشفوع

دائماً بالخبر المؤكّد، وذلك لأن يقينه

بالماهيات يفوق شكّه فيها، قال:

أتعديين لي المناقب؟ إن الذي تعنين غائب

ولأنّ اليقين غالب في شعره على

الحيرة والشك، تلا الاستفهام إخبار

يقيني مؤكّد، كما في قوله:

أأكف النشيد؟ إنّي مغنّ يذبّح القلب كي

تعيش القصيدة

فأين الغرابة يا حلوتي؟ دروب الهوى دائماً قائمة

وهو يستفهم بـ (لماذا)، وهي في

الأصل سؤال عن العلة، التي حدث بها

ما حدث، لذلك يتلوها جواب مبدوء

بـ (لأن)؛ لتوضيحها والبيان عنها، قال:

- لماذا الهزائم لا تنتهي؟

* لأنّ انطلاقاتنا دائمة

- لماذا أحبّك رغم السنين؟

* لأنّ غرامي قنّى لا يهون

وهنا طريقتان: أولاهما تتعلّق بطبيعة الجملة الاستفهامية، فهي تبدو وكأنّها تريد لمقول الأخرى، واستفهامها عن علة الأمر الكائن بينهما، وهو يكرّره في سياق النص؛ ليتمكّن من الجواب عنه. وثانيتهما أنّ الاستفهام بـ (لماذا) يجيء في البنية العميقة للجملة دون أن يتجلّى على بنيتها السطحية، وذلك في إطار مفهوم (الاحتباك)، فهو حين يقول:

لأنّ خيالها ليلا يوافي أبيت على فراش من قوافي

إنّما يجيب عن سؤال ثاو في الأعماق،

ولم يتجلّ على سطح، يدل على مضمونه

ما جاء في الشطر الثاني من تعليل.

وقد يجيء الاستفهام في شعره دون

استخدام أدق، وذلك عن طريق (التنغيم)،

شعر الشقّاع على تينك الدالتين. قال:
ألن تستحرّي ولو مرة

بنار الأناشيد؟ يا باردة

هل أشبّ الغرام كي تفهميني؟

أنت يا ربة الجلال الحزين

... لكنّه في مظانّ يحلّ (الهمزة) في

موضع يقتضي استخدام الأداة (هل)،

ويحلّ (هل) في موضع يقتضي

استخدام الأداة (الهمزة).

قال:

هل أنت حلم؟ فكرة؟ رغبة؟

ألست شعراً مزهراً بالهيب؟

واستخدام (الهمزة) في هذا الموضع

أولى من (هل). أتراه لهذا جاء في

الكتاب الحكيم: ﴿أنت قلت للناس اتخذوني

وأمي إلهين من دون الله؟﴾ [المائدة: ١١٦].

ومثله: ﴿أمن حقّ عليه كلمة العذاب؟

أفأنت تنفذ من في النار؟﴾ [الزمر: ١٩]...

يقابل هذا الاستخدام استخدام

(الهمزة) في موضع يستوجب استخدام

(هل)، قال:

أتعديين لي المناقب؟ إن الذي تعنين غائب

أأكف النشيد؟ إنّي مغنّ

يذبّح القلب كي تعيش القصيدة.

وإنّما استوجب السياق استخدام (هل)

دون (الهمزة)؛ لأن الغاية من السؤال

طلب التصديق، لا طلب التصوّر، أو

سواه ممّا أشبهه.

واللافت هنا - ونحن بصدد الحديث

عن توظيف أداة الاستفهام في شعر

الشقّاع - أنّه لا يكثر من الاستفهام

بـ (ما)؛ لأنّه لا يستفهم عن الماهية، ولا

من الاستفهام بـ (متى وأين وأيان)؛

لأنّ انشغاله بعالمه الداخلي صرفه عن

الخارج زماناً ومكاناً، ولكنّه يكثر من

استخدام أداتي الاستفهام (الهمزة)

و(هل). وهكّ ما وجدناه من شواهد

على استخدامه (الهمزة) في مظانّ من

شعره:



المألوف، فصفة (الغريب) إذا آتية من الغرابة وليست من الغربة، أو الاغتراب. ومن هنا انبثقت الدهشة، واستحسنت الذات السؤال عن هوية هذا الغريب. فتوالت الأسئلة لتكشف عن حيرة المتكلم من جهة، ويقينه بهوية الغريب وإن تجاهلها تجاهل العارف من جهة أخرى، كما سينبئ تحليل البنية الاستفهامية فيها.

وهو يبدأ استخباره باستيقافه الغريب (قلت: اتئد!)؛ ليسترجع معه ماضياً (غضاً رطيباً) وعاء المتكلم، ويشتهي أن يعيه المخاطب. جاء الأمر، لكن جوابه غير مذكور، بيد أنا ندرك تحققه من خلال انثيال الأسئلة، التي شفت عن قلق كامن في النفس، أخذ يتجلى من لحظة الرؤية حتى انفجار الأسئلة: (هل أنت حلم؟) (رغبة؟) (فكرة؟). هنا سؤال عن هوية المخاطب المستفهم منه وهو الغريب، يسعى للتحقق منها بالتصديق الإيجابي، لكن موجّهات السياق تصل بنا إلى الجحد، الذي ينكر تلك الهوية فلا يقيم لها شأنًا. لكن المتكلم لا يكف عن المحاولة، فيعيد الكرة ثانية: (هل أنت من أبطال فيدور؟) (أم جبران عن سلمى يناجي المغيب؟)، أو (كأنك الجعفي في زهوه...؟). وهنا تتشابه الحال بالحال السالفة، فيستحيل النص إلى وسائل لغوية أخرى، يستفهم بها عن تلك الهوية لتحديدتها بالتصديق الإيجابي:

(ألست شعراً مزهراً باللهيب؟)

(ألم تكن حباً به أصطلي؟)

(ألم تكن شخصاً قريباً قريب؟)

(ألم تكن في حلقة الأصدقا صوتاً يدوي بالكلام العجيب؟)

(ألم تكن يوماً صديقي؟).

والاستفهام بالهمزة عن نسبة الخبر إلى المبتدأ يشي بوعي المتكلم بهوية الغريب، وإلا ما أدراه أنه كان شعراً

مزهراً باللهيب؟ وحباً به يصطلي في الزمان القديم؟ وشخصاً قريباً إلى نفسه؟ وصوتاً يدوي بالكلام العجيب؟ ناهيك بكونه صديقه الذي يؤثره دون سواء. كل هذا يفضي إلى القول إن المتكلم أخرج الاستفهام هنا في بنية (تجاهل العارف) يريد منه تأكيد وعيه بهوية ذلك الغريب، واستخدام الاستفهام منفياً يسهم في الحصول على جواب، يلبي رغبة المتكلم في تأكيد حقيقة المخاطب المستفهم منه عن هويته.

وهو ينوع في استخدام أدوات الاستفهام، فيستخدم (هل) في ثلاثة مواضع: (هل أنت حلم؟)، (هل أنت من أبطال فيدور؟) أم جبران عن سلمى يناجي المغيب؟. ويستخدم (الهمزة) خمس مرات: (ألم تكن شعراً... ألم تكن حباً... ألم تكن شخصاً... ألم تكن... صوتاً... ألم تكن يوماً صديقي؟)

وتحوّلت الجملة من الإخبار إلى الاستفهام بالتنظيم في ثلاثة مواضع: (رغبة؟ فكرة؟ كأنك الجعفي في زهوه...؟).

تناسل الأسئلة وتدافعها لا يمنح الآخر فرصة للجواب، وحين أتاح المتكلم له أن يجيب (ولى.. وما من مجيب)، وهنا يعتمد النص إلى تقنية سينمائية، تتمثل في أسلوب قطع المشهد المرئي، والانتقال إلى سواء. لكنه يبرز هنا الفعل بتشكيل طباعي؛ حيث استخدم ثلاث نقاط فاصلة بين ما تقدم من قول شعري وما تأخر، لتتبار الذات المتكلمة في المشهد في انكسار وخنوع ترجو متوسلة (يا حسرة تسكنني هاجري)، وتتعلل بمستقبل مغاير (اصنعيني قدراً لا يخيب)؛ لتكشف لنا أنها والغريب كائن واحد، وإذا هو هي كما يقولون.

عرفت والحسرة لا تنتهي

أي أنا ذاك الأليف الغريب

ومن هنا جاء القول من قبل بأن استخدام البنية الاستفهامية تم في إطار بنية (تجاهل العارف)، وهو يستخدمها في إطارين غير متمثلين، أولهما استعاري؛ حيث استخدم (الشعر المزهر باللهيب والحب الذي به يصطلي والصوت المدوي...) مستعارات تشي بهوية الغريب الإبداعية والعاطفية وقوته الحجاجية. وثانيهما إطار تداولي، لكنه ينبئ عن ألفة تحيط بذلك الغريب (شخصاً قريباً قريباً)، و(صديقي)، وجميع ذلك لا يعيه غير من عرف (الأخر) معرفة وعي، وأدرك طبيعته ظاهراً وباطناً.

وفي هذا كله ما يدل على إسهام البنية الاستفهامية في بناء النص، وكمال كيانه مما أخرجه من دائرة الغنائية الخبرية المحض إلى دائرة الغنائية الإنشائية أمراً، واستفهاماً، ونداءً.

ومن تتمّة القول في الأساليب الإنشائية في شعر الشقاع الإشارة إلى أنه استخدم من صورها مظاهر أخرى كالتمني في قوله:

أيها الشيء الجميل المشتى

ليت في بحرك تباري يحول

والنهي في قوله:

لا تفتحي الأبواب يا رجائي

فهذه آخرة الدروب

إذا ما أتيك ذات ذهول

فلا تحجبي الشمس عن ذكرياتي

أريدك فعلاً فلا تيأسي

لنا هدف اللحظة الحاسمة

... لكنها صور نزرّة الاستعمال، قليلة الحضور، فلم تتكاثر حتى تغدو خصيصة من خصائص الأسلوب في شعره.

الهوامش:

(١) حقّات وقلنسية اسما منطقتين الأولى في عدن، والثانية في سقطرى.

المقاربات السرديّة لأدب الرحلة في النقد العربي



عند دراسة أدب الرحلات علينا في البدء التمييز بين الرحلة بوصفها فعلاً يتجسّد في الانتقال من مكان (هنا) إلى مكان آخر (هناك) والعودة، وبين الرحلة بوصفها خطاباً مقيداً في نصّ متعدّد الأبعاد. والرحلة النصية جنس أدبي قديم، وتعدّ النصوص الرحليّة العربيّة من أقدم تجلّياته. ومن المؤكّد أنّ الدراسات العربية الأولى لأدب الرحلات، التي تأثرت كثيراً بما كتبه المستشرق الروسي أغناطيوس كراتشكوفسكي وبشكل خاصّ في كتابه (تاريخ الأدب الجغرافي العربي)، قد ركّزت على مضامين تلك النصوص الرحليّة ودأبت على تصنيفها وفقاً لاقتراب تلك المضامين من الجغرافيا أو المناسك الدينيّة أو المهام الإدارية والسياسيّة، فتحدّثوا عن الرحلات الجغرافية والعلمية والدينية والحجازية والزيارية والتجارية والسفارية... الخ. هذا ما فعله مثلاً زكي محمد حسن (الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ١٩٤٥)، وشوقي ضيف في كتابه (الرحلات ١٩٥٧)، وحسني محمود حسين (أدب الرحلات عند العرب، ١٩٧٦)، وصلاح الدين الشامي (الرحلة عين الجغرافيا المبصرة ١٩٨٢)، وغيرهم.

وبشكل خاص في الجامعات المغاربية. وقد قدّم سعيد يقطين في كتابه (السرد العربي، مفاهيم وتجليات، ٢٠٠٦) عدداً من الخصائص التي يرى أنّها تميّز الخطاب السردّي للرحلة عن غيره من الخطابات السردية التي نجدّها في النصوص السردية الأخرى، مثل الرواية والتاريخ والسيرة الذاتية. من أهمّ تلك الخصائص: استخدام ضمير المتكلم (الأنا)، الذي يبرز في الخطاب الرحلي؛ بوصفه راوياً وشاهداً مركزياً؛ فالرحالة الراوي هو الذي يقدم المشاهد والأحداث موظفاً وجهة نظره (رؤيته) الخاصة، مثلما يتم في السيرة الذاتية، وبخلاف ما يتم في الخطاب السردّي الروائيّ

العرب، لاسيّما أولئك المتابعين لمتغيّرات النقد الأدبي في فرنسا والغرب بشكل عام، على الاهتمام ببنيّات النصوص الرحليّة ومقوّمات أدبيّتها وتجنّسها، ومحاولة حصر الخصائص التي يتميّز بها خطاب السرد الرحليّ عن غيره من خطابات النصوص السردية. وكان لكتابات سعيد يقطين (السرد العربي، مفاهيم وتجليات، ٢٠٠٦)، وعبد الرحيم مودن (أدبيّة الرحلة، ١٩٩٦)، وشعيب حليفي (الرحلة في الأدب العربي: التجنس، آليات الكتابة، خطاب المتخيّل، ٢٠٠٢) دور كبير في توجّيه كثير من الدراسات والرسائل الأكاديمية التي تناولت الرحلة بوصفها جنساً أدبياً وخطاباً سردياً،



أ.د. مسعود سعيد أمشوش

وبالمقابل، لم تهتمّ تلك الدراسات ببنيّات النصوص الرحلية؛ بوصفها جنساً أدبياً، وخطاباً سردياً، له سماته الخاصّة، التي تميّزه عن الخطابات السردية الأخرى. إلّا أنّ انتشار المقاربات البنيويّة والسردية في النقد العربيّ منذ ثمانينيات القرن الماضي شجّع عدداً من الباحثين



أبدع الدكتور عبدالله إبراهيم مرويَّات الارتحال في ضمن السرد لأنها تطوي في تضاعيفها، ضروباً متنوعة من التمثيلات التاريخية، والجغرافية، والدينية، والاجتماعية.

الذي يمكن فيه أن يطبق السارد زاوية رؤية إحدى الشخصيات. ومع ذلك علينا المسارعة في التمييز بين السيرة الذاتية التي تتناول عادةً مجمل حياة المؤلف الراوي، وبينما النص الرحلي لا يتناول إلا مدةً محددةً من حياة المؤلف، وهي المدة التي قضاها في السفر.

ومن خصائص الخطاب السرد في الرحلة: هيمنة بناء السفر ومساره (ذهاباً وعودةً). ففيما يتعلق بترتيب أحداث الحكاية يتبع سرد الرحلة في الغالب مساراً كرونولوجياً خالياً من المفارقات الزمنية، كالاسترجاعات والتقديمات والقفزات والاستشرافات، التي نجدها عادةً في النصوص الروائية. في النص الرحلي البناء الزمني للسرد يتمّاهي مع مسار السفر.

بالصيغة الوصفية. وأكد ذلك سعيد يقطين في دراسته (خطاب الرحلة العربي ومكوناته البنيوية، في السرد العربي اتجاهاته وتجلياته، ص ٩٦): حين قال: "إن السرد في الرواية يُوطر الوصف ويستوعبه، لذلك يغدو البعد الزمني فيها يحتل مكانةً أساسيةً بقياسه بالمكان. أمّا الرحلة، فيمكن الذهاب الآن إلى أنها خطابٌ وصفي؛ لأنها تُضَعُ في الاعتبار الأول البعد

الرحلية. وقام الحجري بنشر رسالته في كتاب صدر في مطلع هذا العام، عن المركز الثقافي العربي - بيروت، قال الأستاذ سعيد يقطين في تقديمه له: "تكمُنُ خصوصيةُ كتاب الحجري في أنه حاول مقارنة الخطاب الرحلي العربي بالانطلاق من كونه أولاً خطاباً سردياً. لذلك التمس السرديات، باعتبارها علماً للسرد، فسعى إلى البحث أساساً في تحديد "سردية" هذا الخطاب. فتوقف على جوانب تتصل بالشخصية، وصيغ الحكي، والتبئير، والفضاء. وبعد تناوله لهذه الجوانب المتصلة بالرحلة، عمل على توسيعها في الباب الثاني الذي كرّسه للرؤية التي تحكّم صاحب الرحلة لمعرفة كيفية اشتغال نسق التفكير والقيم لديه، فاتحاً، بذلك، مجال البحث على الأبعاد الأنثروبولوجية للمتن الرحلي".

ويتناول الأبعاد الأنثروبولوجية للرحلة الدكتور عبد الله إبراهيم، مؤلف موسوعة السرد العربية، وذلك في مقال قصير، نشره في مطلع عام ٢٠١١، بعنوان (أدب الرحلة بوصفه سرداً ثقافياً)، وأكد فيه أنه "يُدرجُ مرويَّات الارتحال في ضمن السرد الثقافي لأنها تطوي في تضاعيفها، ضروباً متنوعة من التمثيلات التاريخية، والجغرافية، والدينية، والاجتماعية، وجميعها تضافرت لتشكيل هوية أدب الرحلة العربية،

يُجمع النقاد الغربيون والعرب على أن صيغة الوصف تسود في الخطاب السرد الرحلي، وأن صيغة السرد فيه تظل في خدمة الوصف، على عكس ما نجده في الخطاب السرد الروائي.

المكاني في زمن معين". وقد حاولت الباحثة فوزية قفصي أن تبين أهمية الصيغة الوصفية في النصوص الرحلية في دراسة نشرتها سنة ٢٠١٣ بعنوان (شعرية الوصف في أدب الرحلة - رحلة ابن بطوطة أنموذجاً).

كما قام الباحث المغربي إبراهيم الحجري بإعداد رسالة دكتوراه بعنوان (الخطاب والمعرفة، الرحلة من منظور السرديات الأنثروبولوجية)، شارك في مناقشتها كل من شعيب حليفي وسعيد يقطين، وقد ركز فيها الباحث على دور الوصف في النصوص

وكما هو الحال في أي خطاب سردي يتوزع الخطاب الرحلي على صيغة السرد وصيغة الوصف؛ إذ تمتزج الفقرات السردية التي يتم فيها حكي الأحداث والمغامرات المختلفة مع الفقرات الوصفية التي تقدم الأماكن والمناظر الطبيعية والناس والأشياء. واليوم يجمع النقاد الغربيون والعرب على أن صيغة الوصف تسود في الخطاب السرد الرحلي، وأن صيغة السرد فيه تظل في خدمة الوصف، على عكس ما نجده في الخطاب السرد الروائي. لهذا تتسع في الخطاب الرحلي المساحة الخاصة



احتواها الكتاب، وألحقتُ بدراستي نماذج من صور فيلبي ورسوماته. كما أكدتُ في كتابي (اليمن في كتابات فريا ستارك) على أهمية الصور الفوتوغرافية الكثيرة التي ضمّتها الرحلة البريطانية كتابيها (مشاهد من حضرموت) والبرقيات

الجنوبية لشبه الجزيرة العربية. ويمكن أن نختم هذا العرض الموجز لبعض المقاربات السردية لأدب الرحلة في النقد العربي بإشارة إلى الدراسة التي تناول فيها الدكتور عبد العليم محمد إسماعيل رحلة ابن فضلان، ونشرها بعنوان (تقنيات السرد أساس أدبية الرحلة)، وأكد أنه قد خلص في نهايتها إلى أن "أدبية نص الرحلة تتحقق بتوافر تقنيات السرد، وليس بالتعبيرات البلاغية أو الوصف كما تتجه بعض الأصوات البحثية إلى تأكيده"، وأن "الرحلة نص متعدد الأبعاد، البعد الأدبي

المجستير التي كرستها فاطمة بو طيسو لدراسة (أدبية الخطاب في رحلة نور الأندلس لأمين الريحاني، ٢٠١١م). ومثل عبد الرحيم مودن الذي أكد في كتابه (الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، ٢٠٠٦، ص ٦٨) على أهمية الرسومات

أدب الرحلة في الثقافة العربية القديمة، إطار ناظم لجملة من التنوعات الأسلوبية، والرؤى الذاتية، والمواقف الثقافية، والأحكام القيمية، والاكتشافات الجديدة، بالاعترا، ثم العودة المظفرة بذخيرة عجائب حقيقية.

والصور والخرائط في كتب الرحلة، نبهت الباحثة فاطمة طيسو في رسالتها (ص ١٦) إلى ضرورة عدم ربط خطاب الرحلة باللغة؛ إذ إن "الرحلة تجمع بين العلامات اللغوية وغير اللغوية، كالرسم أو الصور

ومغالبة الشعور بالاعترا، والانقطاع عن منابت الطقولة، والغوص في مناطق نائية، ثم العودة المظفرة بذخيرة عجائب حقيقية. وقد انبثق كل ذلك المزيج السردى من خضم ثقافة جماعية، وتغذى بمرجعيات دينية، تشرب بها الرحالة، فتناوبت فيه صيغ الإخبار، والوصف، والحكم، فرسم، في المخيال العربي-الإسلامي، هويات الأمم الأخرى، بخليط من الوقائع والتخيلات، واختص بتمثيل سردي موسع لمعظم أرجاء العالم القديم". ويكرر د. عبد الله إبراهيم هذا التأكيد في مقدمة الجزء الثاني من (موسوعة النقد العربي)، المكرس لأدب الرحلة عند العرب.

ومن أهم الأبحاث الأكاديمية التي ركزت على دراسة خطاب الرحلة، وسارت على خطى سعيد يقطين وشعيب حليف وعبد الرحيم مودن: أطروحة الدكتوراه التي أعدها جميلة روباش حول (أدب الرحلة في المغرب العربي، ٢٠١٥م)، ورسالة

نبيه بعض الباحثين إلى ضرورة عدم ربط نظام الرحلة باللغة؛ إذ إن "الرحلة تجمع بين العلامات اللغوية وغير اللغوية، كالرسم أو الصور الفوتوغرافية التي تتفاعل مع المكتوب بأبعاد جديدة تجعل نص الرحلة نصاً متعدد الأنظمة والصيغ التعبيرية.

محدد بتوافر الأبعاد السردية التي هي مقوم أدبيته"، وأن "خطاب الرحلة يتداخل مع عدد من الأشكال التعبيرية، مثل: السيرة الذاتية، أدب المذكرات، إلّا أن الفرق بينها وتلك الأشكال أن خطاب الرحلة حكاية لتجربة قصصية، لها أهداف مسبقة وتخطيط وحركة، بينما السيرة الذاتية والمذكرات لا يرتبط بقصدية مسبقة لما يتم تدوينه".

الفوتوغرافية التي تتفاعل مع المكتوب بأبعاد جديدة تجعل نص الرحلة نصاً متعدد الأنظمة والصيغ التعبيرية المختلفة". ويمكن أن أذكر هنا إلى أنني قد ضمنت الفصل الخامس من كتابي (المستكشف هاري سانت جون فيلبي ورحلته إلى حضرموت: الأبعاد الفنية والأيدولوجية لكتاب بنات سبأ) دراسة للصور والرسومات التي

سحر الموضوع وقضايا المسرح الإنجليزي



قراءة في كتاب (في الأدب المسرحي)

للدكتور عبدالله عبدالرحمن بكير



يسعدني في هذا العدد من مجلة (حضر موت الثقافية) الغراء أن أستعرض للقراء الأعزاء كتاب (في الأدب المسرحي) لصديقي الأكاديمي الدكتور عبدالله عبدالرحمن بكير، أستاذ اللغة الإنجليزية وآدابها المشارك وعميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الأندلس. فالكتاب شائق ممتع يحبر بنا الكاتب عبر ممتنه الفسيح في رحلة استقرائية يمتطي بها أعناق الكلمة بدلالاتها المتنوعة. الكتاب ذو منحنى أكاديمي يستهله الكاتب بمقدمة عن جوهر الأدب ووظيفته الرسالية. ثم تنتظمه خمسة مباحث عن أبرز قضايا المسرح الإنجليزي. تدور جل هذه المباحث في إطار التحليل المضموني لركائز المسرح الإنجليزي مع عدم إغفال تام للجوانب التشكيلية.

فيها (الأعمال المسرحية للكاتب المسرحي الإنجليزي هارولد بنتنر ١٩٣٠-٢٠٠٨م) في إطار تحليل مضموني فكري لآثار أزمة الثقافية عند الإنسان المعاصر في مسرحياته. حاول الدكتور عبدالله جاهد أن يؤسس قاعدة بحثية لمشروعه العلمي من خلال الماجستير والدكتوراه من جهتي الموضوع والمنهج. ففي إطار الموضوع انبثقت مادة بحوثه (المتن) من تخصصه الدقيق (المسرح الإنجليزي المعاصر). أما المنهج فيدور في فلك النقد الموضوعاتي بوساطة التأويل الظاهري للنص الأدبي؛ وذلك بعد الأدب عملاً يمثل وعي المبدع من خلال اختراق سياج (سحر الموضوع) والولوج إلى لامحدودية العالم الذي

الإنجليزي من خلال أبرز كتابها (جون آردن) (١٩٣٠-٢٠١٢) الذي أسهم إسهاماً مباشراً في إثراء قضايا المسرح البريطاني الحديث وفي مسرح الشباب الغاضب بصفة خاصة متتبعا خطى معاصره (جون أسبورن) (١٩٢٩-١٩٩٤م) الذي فجر القنبلة على منصة المسرح الإنجليزي بمسرحيته الرائدة في هذا المجال (انظر خلفك بغضب)؛ لتغدو الخطوة الأولى إلى نصف البنيان القديم المتهاك للمسرح الإنجليزي. فتكون البداية الحقيقية لمفهوم جديد يزلزل كيان المفهوم القديم للمسرح العالمي منذ ليلة عرضها الأولى.

يطرد الدكتور عبدالله في مسيرته البحثية بعد ذلك في هذا المنحنى من خلال أطروحته للدكتوراه التي درس



د. طه حسين الحضرمي*

مما يلفت النظر في هذه المباحث أنها مختارة بعناية عين ناقدة بصيرة بأسرار المسرح الإنجليزي، وإطلاع واسع بأبرز قضايا الفكرية والمعرفية. كيف لا وكاتبها قد أبحر في لججها منذ مستهل دراساته العليا ابتداء من الماجستير التي بحث فيها مفهوم (الغضب والاحتجاج) في المسرح



ميلودرامية . وقد أتاحت له تلك الحياة الجريئة - المتفلتة من قواعد المجتمع الإنجليزي المحافظ آنذاك - قدرة متميزة على المعالجة الفنية في مسرحياته لسلوك الشخصيات وتصوير طبائعهم بتعدد مشاربهم واختلاف مذاهبهم في الحياة.

بهذا لامس (كريستوفر) قضايا كانت قبل عهده من المسكوت عنها إن لم تكن من المحرمات، ففي مسرحية (إدوارد الثاني) ناقش بأسلوب تراجيدي قضية (المثلية) التي لم يتجرأ معاصروه من الاقتراب منها؛ ناهيك عن كان قبالهم. وفي مسرحيته الرائدة (الدكتور فاوستوس) التي تُعد من أفضل مسرحياته على الإطلاق، وهي تراجيديا مأخوذة من الميثولوجيا الجرمانية. ويُعد (كريستوفر) السبب المباشر في إحياء (أسطورة فاوست) من البداية على حد تعبير الدكتورة نهاد إبراهيم؛ لأنه انتشلها من صفحات الكتاب الشعبي فحررها من المعالجات السطحية الساذجة الضعيفة ليرتقي بها إلى مصاف الأدب العالمي. مما حدا بالمبدعين بعده أن يعالجوها بطرائق فنية عديدة شعرا ومسرحا ورواية مثل صنيع شاعر ألمانيا الكبير يوهان فولفغانغ فون جوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢ م) في ملحمة الشعرية (فاوست)، الجزء الأول ١٨٠٦ م، الجزء الثاني ١٨٣٢ م والروائي الألماني توماس مان (١٨٧٥ - ١٩٥٥) في روايته (دكتور فاوستوس ١٩٤٧ م) وعلي أحمد باكثير (١٩١٠ - ١٩٦٩) في مسرحية (فاوست الجديد ١٩٦٧) وغيرهم من الكتاب. وكل كاتب من هؤلاء الكتاب اتخذ هذه العلاقة الجدلية بين بني البشر والشيطان مطية لنقل أفكاره ورؤيته الفلسفية عن الخير والشر وعن



د. عبدالله عبدالرحمن بكير

فكريا من خلال إبراز القضايا التي تكتنف المسرح وتآلفه وتورق كتابه منذ عصر (أرسطو) حتى العصر الحديث، ولكن في إطار (ادولوجيم العصر) على حد تعبير (جوليا كريستيفا) الذي تعني به الطابع الثقافي العام الغالب في عصر من العصور.

المحور الأول : العصر الشكسبيري

درس الكاتب في هذا المحور كاتيين كبيرين عاشا في عصر واحد هما: (كريستوفر مارلو ١٥٦٤ - ١٥٩٣ م) و(وليم شكسبير ١٥٦٤ - ١٦١٦ م) اللذان كان لهما أثر كبير في تاريخ المسرح الإنجليزي. وإن كان أثر أحدهما أظهر من الآخر ظاهريا وأعني به (شكسبير) بأن أصبح إيقونة المسرح العالمي. فكل مسرحي عظيم بعد عصر (شكسبير) يكاد يكون خارجا من معطفه إن صح التعبير.

يتسق حديث الدكتور عن مسرحية (تيمورلنك العظيم ١٥٨٧ م) لمارلو مع النهج العام للكتاب؛ لأنه يبحث عن ثيمة (الكبرياء وجنون العظمة) في المسرحية السابقة. وقيم بنّا في هذا العرض الإشارة إلى أن الكاتب المسرحي (كريستوفر مارلو) كاتب جريء بكل ما تحمله كلمة (الجرأة) من معنى. فالرجل عاش حياة تراجيديا ومات بطريقة

يشكل الموضوع الفسيع للإبداع الأدبي. ومما يميز هذا المنهج هو انفتاح ممارساته النقدية على مناهج عديدة تتأرجح بين المرجعية الواقعية والمحيثة النصية.

في إطار مسيرة هذا المشروع العلمي أتحننا الدكتور عبدالله بكتاب (من الميراث إلى الملحمة) الذي تناول فيه عمليين للشاعر الإنجليزي (جون ملتون) (١٦٠٨ - ١٦٧٤ م) هما:

- قراءة في مراثيه الشعرية الشهيرة (ليسيداس) التي كتبها سنة ١٦٣٧ م. يرثي بها (إدوارد كنج) زميل دراسته في جامعة (كامبريدج) الذي مات غرقا. وقد زواج الشاعر ملتون في هذه المراثية بين قضية خاصة ذاتية (الأسى والحزن) على وفاة زميله وصديقه كنج وقضية عامة موضوعية (الموت) وهي ثيمة عامة تداولها الكتاب وما يزالون؛ بالحديث عن دلالة (الموت) الانطولوجية وجودا ومشاهدا وغيابا ميتافيزيقيا وماهية أبعاده الاستمولوجية.

- قراءة في الكتاب الأول والثاني من ملحمة الخالدة (الفردوس المفقود) المنشورة سنة ١٦٦٧ م. من خلال جدلية الخير والشر الأزلية ونتائجها الأخلاقية المتمثلة في الفضيلة والرذيلة. والكتاب في عموميه يدور في إطار فلك المنهج النقدي لمشروعه العلمي (الموضوعاتي) على الرغم من خروجه عن الإطار العلمي الدقيق للدكتور (المسرح المعاصر).

في كتابه الجديد - قيد العرض - يواصل الدكتور عبدالله رحلته العلمية بخطى وثقة؛ من خلال إثارة قضايا تمثل العظم الصلب لأبرز الثيمات الدرامية والفكرية للمسرح العالمي بشكل عام والمسرح الإنجليزي بشكل خاص.

تدور مباحث الكتاب حول محورين أساسيين يتمييزان عصريا ويتداخلان



علي أحمد باكثير



شكسبير

الفضيلة والرذيلة من خلال الإشارة إلى نتائج الطموح البشري اللامحدود نحو الكمال المطلق.

هناك افتراض يُفرض إلى تضافر شخصية (كريستوفر) مع شخصية (شكسبير) بعدهما شخصا واحدا، وهو افتراض يفتقر إلى أدلة مادية ملموسة. ولا شك في وجود دلائل تشير إلى تأثير شكسبير بكريستوفر ولاسيما في طرائق كتابة المسرحيات التاريخية ومعالجة سلوك الشخصية المسرحية وكتابة الشعر المرسل. كما كشفت بعض الدراسات الحديثة تعاونهما المشترك في كتابة مسرحية (هنري السادس) بأجزائها الثلاثة، فالافتراض الأخير مقبول عقليا ومنطقيا؛ لأن التعاون بين الفنانين المتعاصرين أمر وارد.

أما حديث الكاتب عن مسرحية (روميو وجولييت ١٥٩٠م) لـ (شكسبير) فيدور في إطار قضايا الأدب المقارن بما له صلة بمشكلات ترجمة (النص الأدبي)، فقد ناقش الكاتب في هذا المبحث بأسلوب صانع ماهر خبير باللغتين العربية والإنجليزية، ترجمة الأستاذ علي أحمد باكثير لرائعة شكسبير (روميو وجولييت)؛ مشيرا إلى دوافع باكثير في هذه الترجمة وإلى النسبة التي اعتمدها في هذه الترجمة. ثم ناقش الكاتب ترجمة باكثير مقارنا إياها بالنسخة الأصلية المترجم عنها من خلال مداخل لغوية دقيقة لا يفتن إليها إلا العارفون المتقنون للغتين الإنجليزية والعربية؛ مشيدا بقدرات باكثير اللغوية وتمكنه الفذ من أسرار اللغتين ثم مهارته الفنية في المعالجة الفنية النابعة من مهارة كاتب نضجت أدواته الفنية. يكاد هذا البحث يكون متجافيا عن النسق العام للكتاب إلا بضرب من التأويل عسيرة مداخله؛ لأنه على الرغم من انصراف الكاتب إلى الحديث

يُخضع القضايا الاجتماعية الجزئية للتحليل الفلسفي الكلي، فهو يناقش هذه الجزئيات بوصفها مكونا من مكونات الإطار العام لما يحيط بالإنسان من قضايا ومشكلات. ومعلوم أن (شو) لم يكن معروفا عنه الاشتغال المباشر بالفلسفة في باب من أبوابها ولكنه في الواقع عالج مسائل الفلسفة بأجمعها مثل فلسفة (ما وراء الطبيعة) وفلسفة (الاجتماع والأخلاق) وفلسفة (السياسة) وما يتصل بها من أنواع الحكومات والحكام - كما يرى العقاد - من خلال الحوار الدائر بين شخصيات مسرحياته المتعددة. مثلما صنع في كثير من مسرحياته مثل (الرجل والسلاح) و(كانديا) و(تابع الشيطان) و(بيجماليون / سيدتي الجميلة) وغيرها. وتمثل مسرحيته الفريدة التي نال عنها - بشكل أساسي - جائزة نوبل (بيجماليون ١٩١٣م) المتكئة على الميثولوجيا اليونانية موضوعا فقط. فعنوان المسرحية ينفذ على مفهوم (الأطراس) من وجهة نظر الناقد الفرنسي (جيرار جينيت) من خلال أطروحته البحثية عن (العتبات) النصية؛ لأن حديث (برنارد شو) في هذه المسرحية ينصرف إلى إمكانيات بناء الإنسان المعاصر ذهنيا ومعنويا بعيدا عن حرفة صناعة (جالاتيا) جسديا.

عن أدبيات الترجمة فأنت واجد في أثناء بحثه حديثا ممتعاً عن موضوع المسرحية وذلك من خلال تبين الكاتب منهجه في معالجة موضوعه قيد الدرس عندما أشار في البند الثاني لمنهجية البحث إلى كونه (قراءة موضوعية للنص المترجم على خلفية النص المؤلف واستيعابه وتقويمه تقويما موضوعيا من خلال مقارنته للنص المؤلف).

المحور الثاني : العصر الحديث :

يتناول الكاتب في هذا المحور خمس مسرحيات لثلاثة كتّاب مسرحيين متميزين في القرن العشرين. لهم وجود بارز في المسرح الإنجليزي ولهم أثر يبين على الأدب العالمي عموما هم: جورج برنارد شو (١٨٥٦-١٩٥٠م) وصامويل بيكيت (١٩٠٦-١٩٨٩م) وهارولد بنتر (١٩٣٠-٢٠٠٨م) من خلال اتجاهين:

الاتجاه الأول: مسرح برنارد شو:

درس الباحث في هذا الاتجاه مسرحية (تابع الشيطان ١٨٩٧م) من خلال ثنائية (القديس والأثيم). معلوم أن مسرح برنارد شو مثير للجدل؛ لأنه كاتب مقلق مثير للتساؤلات ويصح أن نطلق عليه لقب (أديب الفلاسفة وفلاسوف الأدباء) - هذا اللقب أطلقه أسلافنا قديما على الكاتب العبقرى أبي حيّان التوحيدي (٣١٠-٤١٤هـ)؛ لأنه



59

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م

الطائفة في العصر الحديث إلى الفلسفة التي تجعل من محنته محوراً على حد تعبير الدكتور محمد عبد الله حسين. مما جعل (إريك بنتلي) يرى بأن مسرحية (في انتظار جودو) تتضمن خلاصة الفكر الوجودي. فلا غرو إذن أن الأحداث كلها في هذه المسرحية تدور في أرض مقفرة لا تجد فيها سوى شجرة واحدة جرداء، مما يوحي بعقم الحياة وعذاب الإنسان المعاصر الذي يعيش نفياً اختيارياً في منبته الأصلي.

ثانياً: دراسة مسرحية (الغرفة ١٩٥٧م) لهارولد بنتنر. يعالج الكاتب هذه المسرحية ثيمة (البحث عن الأمان والخوف من المجهول).

ثالثاً: دراسة مسرحية (الصمت) (اللوحة ١٩٦٨م) لهارولد بنتنر. يعالج الكاتب هاتين المسرحيتين

من خلال معطيات مسرح اللامعقول وأبرز تيماتهما مثل (فكرة العزلة والاغتراب).

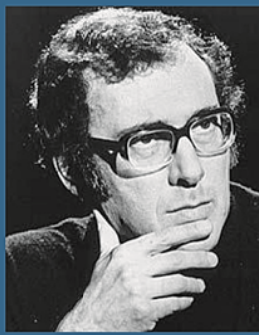
وينبغي الإشارة إلى أن هارولد بنتنر كاتب إشكالي فقد أثارت باكورة إنتاجه (الغرفة) التي عرضت سنة ١٩٥٨م جدلاً واسعاً بمعية مسرحيات معاصره جون أسبورن متأثرين بالآيرلندي صامويل بيكيت الذي فجر ثورة عارمة في المسرح العالمي في إطار ما عرف بالمسرح الطليعي.

ختاماً أشد على يد صديقي الدكتور عبد الله بكير شاكر له هذه الجولة الماتعة في بستان المسرح الإنجليزي ببهاء وروده الندي ونضارتها على الرغم من ضراوة وخز شوكة ووعورة ممراته.

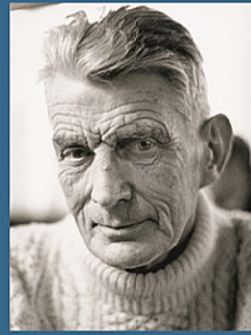
* أستاذ الأدب الحديث ونقده المشارك
بكلية الآداب / جامعة حضرموت.

تعبير الدكتور عماد الدين خليل. كل ذلك أدى إلى تفجر مقولات (الغضب) و(اللامعقول) و(العبث) في المسرح العالمي.

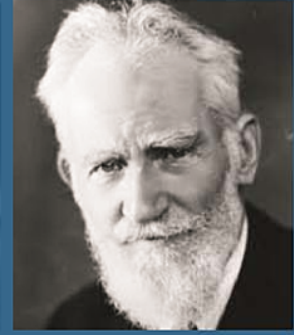
من خلال معطيات مسرح اللامعقول وأبرز تيماتهما المتصلة بمشكلة الإنسان المعاصر ومواجهاته مع أشرس القضايا الفكرية ضراوة؛ نتيجة فوضى العالم التي أحدثتها الحربان العالميتان / من خلال ذلك كله درس



هارولد بنتنر



صامويل بيكيت



جورج برنارد شو

الاتجاه الثاني: مسرح اللامعقول

في العصر الحديث:

تعددت قضايا العصر الحديث وتنوعت مشكلاته ولا سيما بعد الحرب العالمية الثانية في أوروبا. فبدأ الأديب بشكل عام والكاتب المسرحي بشكل خاص يضع أسئلة عن الكون وعن الحياة وعن الإنسان في ظل تشظي القيم الإنسانية وتلاشي الوجود الإنساني روحياً.

الدكتور عبد الله أبرز المسرحيات التي تشكل علامة فارقة في تاريخ المسرح العالمي على النحو الآتي:

أولاً: دراسة مسرحية (في انتظار جودو ١٩٥٣م) لصامويل بيكيت التي عرضت في مسارح باريس في مستهل الخمسينيات من القرن العشرين. وذلك بالحديث عن أطروحات الفلسفة الوجودية ومشكلات مسرح اللامعقول. شكّلت هذه المسرحية الرائدة صرخة (بيكيت) العميقة؛ لتقدح زناد الشرارة الأولى لنيران (مسرح اللامعقول) التي بدأت تلتسع وتلتهم زيف النظريات المادية بوصفها واقعا ثقيلاً يعبر عن شقاء إنسان القرن العشرين.

كتب (بيكيت) مسرحيته متأثراً بالفكر الوجودي القائم على إدراك عبث الحياة المتسق فلسفياً مع وضع إنسان القرن العشرين الذي لجأ بسبب محنته

كان البحث عن وسيلة حيوية للتعبير عن روح هذا العصر وسماته الرئيسية مطلباً ضرورياً؛ لتكون تجسيدا حياً للقيم والمؤثرات التي طرأت على هذا العصر الكئيب المليء بالأحزان المقدم على حضارة مادية بحثة تمتص ما بقي من روح الإنسان التواقفة إلى التحليق في فضاءات الأمل والتسامح الإنساني والتصالح مع النفس البشرية.

فكان المسرح الطليعي هو هذه الوسيلة الحيوية من وسائل التعبير لدى (الفيلسوف الفنان) على حد تعبير كولن ويلسون. ففي هذا الإطار تعددت الاتجاهات والمذاهب في الكتابة المسرحية في العصر الحديث؛ من كاتب يؤكد على فوضى الكون المتمثل في لا معقوليته وعبثيته، وآخر يؤكد على عزلة الإنسان وغربته عن عالمه الإنساني الاجتماعي بحسب

النَّوَاةُ وَالشَّجَرَةُ*

قراءة في الصلّة الفنيّة بالشّرات

أغنية بلفقيه (تسلاً يا قليبى) مثلاً

من الخصوصية المرتبطة بالأخوة والزمالة في المهنة إلى العمومية في الحب المرتبطة باللقاء والفرق، والسفر والعودة للأهل والبلاد، جاعلاً من قصر زمن الوصال دافعاً للاستزادة منه كما يدل التعبير: (عادنا الا)، وكما تدل مسافة السفر التي تمتد إلى بلد المحبوب (يا مروح بلادك)، مبتدئة من بلد المحب التي وردت في قوله: (خلنا ننطرب بالحن جنة عدن). وفي سياق العمومية هذه جعل (التلاحين) بدلاً من (المناشير)، وجعل (انطربنا) بدلاً من (طربنا)، التي جاءت بصيغتين صرفيتين: صيغة الماضي (انطربنا)، وصيغة المضارع (خلنا ننطرب)، وكأنه يريد استنباطها من جديد في اللهجة العامية بهذه الصيغة المطاوعة، صحيح أنها جاءت في البيت من فعل لازم (طرب) إلا أنه نقلها في القصيدة إلى فعل متعد (أطربه - فانطرب)، مثل أزجه فانزعج، وعلمته فتعلم^(٤). أما القصيدة الثانية في الديوان التي تركز صياغتها على بيت تراثي فهي القصيدة: (تسلاً يا قليبى) وهذا البيت هو:

تسلاً يا قليبى شف الدنيا مخلاه

وكم من مال يمسي لمولى غير مولا

أما الأولى فهي تستند على البيت:

يا مروح حياك الليل والشمس غابت

يوم نحنا طربنا والمناشير طابت

وفيه دلالة تطلب من الآخر أن يبقى ولا يذهب، وقد ذكر هذا البيت بهذه الكيفية في رواية الوالد الأديب ربيع عوض أبو جعفر، في محاضرة له في مدينة تريم عن (المهن وعلاقتها بالألحان) عام ٢٠٠٩م، مشيراً إلى انتماء هذا البيت واللحن إلى مهنة النجارة قائلاً: «هذا البيت للتأكيد يشلونه النجر على المناشير أيام كانوا يشقون الحمر، وأعتقد أنه غناه بلفقيه، وطلّعه في أغنية ولكن أصلها هذا»^(٣). غير أن العلامة الشيخ علي سالم بكير يروي الشطر الأول من البيت هكذا:

يا مروح دنا بك ليل والشمس غابت

وفيه دلالة مضادة للدلالة السابقة للبيت؛ فهو يطلب منه الذهاب وعدم البقاء، والمقارنة بين هذا البيت بهذه الرواية أو بالأحرى والبيت الموجود في قصيدة بلفقيه:

يا مروح بلادك ليل والشمس غابت

عادنا الا انطربنا والتلاحين طابت

تكشف عن فعل تغيير فني قام به بلفقيه في البيت التراثي، انتقل معه



د. أحمد سعيد عبيدون

(١)

في ديوان بلفقيه قصيدتان ترتكزان في صياغتهما على بيتين من التراث الشعبي الحضرمي، الذي يخص الأشعار المنتمية إلى مجموعة من المهن التي كان الناس يمارسونها في القديم، وتمثل جوهر حياتهم: مثل النجارة والزراعة وما يستتبع ذلك من أعمال متعلقة بها كالدياسة، والدلاحة، والتفخيظ، والصراب، والحصاد، والسنادة... تلك المهن التي تحدّث عنها وشرحها وفصل ألحانها الوالد المؤرخ والأديب ربيع عوض بن عبيد اللاه (أبو جعفر) أطل الله عمره. هاتان القصيدتان هما: قصيدة (يا مروح بلادك)^(١)، وقصيدة: (تسلاً يا قليبى)^(٢).



(٤)

الفعل (تسلًا) يحمل إلى القلب طلبًا بالتسلي، لكنه يتجاوز معنى الإرشاد البسيط، إلى محاولة الإقناع؛ لأنه يكشف له طبيعة الدنيا في سمة التخلي والترك لكل ما فيها، ويضرب له مثلًا بالمال الذي يتعب الإنسان في جمعه، لكنه لا يستطيع امتلاكه والاحتفاظ به لنفسه، فهو لا بد أن ينتقل منه وهو صاحبه إلى غيره الذي لم يتعب فيه ولم يكن صاحبه، امتد هذا الفعل (تسلًا) كما هو من البيت إلى القصيدة مكرراً، لكنه ينمو ويتناسل في أفعال طلبية أخرى جديدة تتجاوز النصح إلى (التكرار)، (التحفيز)، و(الإصرار) على (الإقناع)، و(الإلحاح) على القلب في انتزاع الهم منه، وإبداله (بالحب)، ورسم (خطة) بالتعامل مع الآخرين بالمحبة والإخلاص في أفعال طلبية جديدة حتى يصبح الحب منهجاً يرتفع إلى درجة الاحتراف والتفنن فيه: و(خل الحب فنك) هكذا: (تسلا/ شيل/ خل/ حب/ صن/ بادرا) إلى الدرجة التي تصل فيها العلاقة بين الطرفين إلى مرحلة (التعجب) والاندھاش، وهي المرحلة التي يصبح الحب فيها ثمرة يتذوقها المحب والمحبوب: في هذا

وتحولاً للهم في (الآه) في القصيدة في قوله: (بساعة بسط تسوى حياتك كلها آه)، وهذا يعني أن السلا، والهم، كانا برعمين مكتنئين في البيت، وها هما يخرجان الآن غصنين في القصيدة، ما يعني تفوق ساعة السلا على الحياة المملوءة بالألم والآه، كما تكشف المفاضلة في كلمة (تسوى)؛ أي تعدل وترجع بكفة طرف السلا على طرف الآه والألم.

(٣)

يمكننا القول إن (الهم) لم يظهر في البيت الأول وإن كان مكتنئاً فيه، وهذا يعود إلى أنه موجود في (القلب)؛ لذلك ظهر القلب في البيت مصغراً (يا قليببي)، وهو تصغير يستدعي كثيراً من العطف والشفقة، وهو الأمر الذي اشـتغلت عليه القصيدة بكثير من الأفعال التي حفزت هذا القليب على إخراج الهم منه باتجاه الفرح والتمتع بالحياة حتى وصل في نهاية القصيدة إلى التخلص من الهم، والافتناع بالتمتع بلحظة البسط السعيدة، حتى صار الخطاب له مكبراً (ويا قليببي تمتع). هكذا يبدو القلب بين (التصغير) في البيت والامتلاء بالهم، و(التكبير) والامتلاء بالفرح في القصيدة.

وهو بيت لم يحصل له تغيير حين تم نقله إلى القصيدة، كما حصل للبيت السابق، وإنما تم نقله كما هو كاملاً للقصيدة من غير تغيير. وفي العلاقة الفنية لهذا البيت بالقصيدة، يمكن الإشارة إلى أننا نستند في التحليل إلى مرجعيتين:

الأولى: اللغة العربية: بوصفها بنية عميقة تعود إلى قواعدها في المفردة والتركيب والدلالة صياغات القصيدة وإشاراتها المختلفة باعتبارها بنية سطحية تتجلى صورتها بالاستناد إلى تلك البنية.

والثانية: رؤية التناسل التي تعاين العلاقة بين نص ونص، وترى كيفية تحول النص الجديد في علاقته بالنص السابق له إلى نص متميز بالإبداع والجمال. وعليه يمكن القول إن شكل علاقة التناسل الفنية بين البيت التراثي هذا وقصيدة بلفقيه هي علاقة (النواة بالشجرة)، فالبيت نواة صغيرة واحدة، لكنها ذات إمكانات قابلة لأن تكون شجرة، تهتز في تربة الوعي الشعبي، تنمو وتطول، وتنبت براعمها أغصاناً وأوراقاً خضراء ما تلبث أن تكتسي بالثمار اللذيذة والبانعة.

(٢)

يبدأ البيت - النواة بالفعل (تسلا)، وهو فعل يعود في دلالاته إلى الرغبة في نسيان الهم وانكشافه، وهو فعل مقرون بالهم والحزن، والسلوان دواء يسقاه الحزين فيسلو، كما جاء في لسان العرب (٥)، وهذا الهم كان مكتنئاً في فعل (السلو) في البيت، نجده يخرج في القصيدة ويكون واضحاً في قوله: (تسلا يا قليببي وشيل الهم عنك)، كما نجد تحولاً للسلو في تعبير (ساعة البسط)،



البيت الذي يجمع بين لحظة التعجب والاندهاش في الصيغة المقرونة بالنداء: (ويا ما أحلا الأحبة)، والتذوق للثمرة: (إذا ذاقوا المحبة)، وهي المرحلة التي تصبح عندها النواة شجرة كاملة في القصيدة تمتلئ بالثمار، وحينها يتخلّى (القلوب) الممتلئ (بالهم) عن همه فيقتنع ويمتلئ (بالمحبة) حتى يبدو في المقطع الأخير (قلباً) مكبراً كبيراً بالحب كما يقول: (ويا قلبي تمتع وخذ وقتك واقنع).

(٥)

يمكننا الحديث عن الزمن الذي بدا موجوداً في (البيت - النواه) في كلمة (يمسي)، وهي تكشف لنا عن مآل (المال) إلى من لم يكن صاحبه، لكن هذا الفعل (يمسي) الذي يكشف عن وصول المال إلى النصف الثاني من اليوم وهو (المساء)، لا شك أنه يضمن أن المال في (الصباح) كان عند صاحبه ومولاه، وفي أتون هذه الحركة والسيرورة للزمن من (صباح) إلى (مساء)، والتي تمثل حركة اليوم أو الأيام ممثلة سمة التخلي في الدنيا وفناء الزمن، نجد الانتقال والتحول من ذهاب (المال) إلى فناء (العمر)، وهي عملية تحول عميقة تجعل الوعي يعتقد أن المال الحقيقي للإنسان هو عمره الثمين، الذي ينبغي عليه أن يتمتع به ولا يضيعه في جمع المال! وتتسع حركة الزمن متحوّلة من البيت في (الصباح والمساء) اللذين يمثلان وجهي (اليوم)، إلى (الأيام والشهور) في القصيدة، التي تمثل حركة فناء العمر وذهابه: (العمر يا ناس فاني ما حد معه عمر ثاني أيام وشهور)، امتداد يوسع هذا الظرف من اليوم المفرد القليل إلى الأيام والشهور الجمع الكثير.

(٦)

حين تتحقق المحبة وتصبح قناعة ومنهج حياة، فإن القصيدة تبلغ هنا قمة وعيها الشعري، وتوصل إلى الآخرين هذه القيمة، وهنا لا يوجد بعد (الحب) إلا (النور) بوصفه وعياً راقياً، وتمثيلاً شعرياً ومعرفياً لهذه القيمة وانتشارها بين الناس، ويمكن رؤية القيم السابقة في ضوءها هكذا: فالهم ظلام والفرح نور، والحزن ظلام والسرور نور، والكره ظلام والحب نور...، وهو أمر واضح يتحول فيه الظلام ممثلاً في (الليلة) إلى نور: (يا ليلة النور)، ويتأكد بالفعلين الطليبين المتجاورين في الدلالة لتكثير النور وانتشاره: (هلي) و (طلي)، هكذا إذن تتحول قيمة (المحبة) بوصفها منهجاً في التعامل مع الآخرين إلى (نور) ينتشر ويملأ القلوب، وهنا تبلغ رسالة القصيدة منتهاها فإذا كانت (المحبة) ثمرة القلوب فإن (النور) ثمرة العقول، التي تفكر وتنتشر المحبة والسلام بين الناس جميعاً.

(٧)

ينتمي البيت النواة إلى لون من ألوان ألحان المهن الشعبية، المسمى بالرزيع أو المرزحة، وهو بيت إذا نظرنا إليه من زاوية العروض العربي فإنه يتنزل في وزن مقلوب الطويل (المستطيل): (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) ويتميز في لحنه بالسرعة، وعلى الرغم من أن القصيدة اعتمدت الإيقاع نفسه في المقطعين الأول والثاني، إلا أنها قد نقلته من (التسريع) إلى (التبطئة)؛ تبطئة في الإيقاع بوصف الأداء شطراً شطراً، وتبطئة في اللحن كذلك، وهذه التبطئة، تناسب ما تفعله القصيدة من أحداث مختلفة من

تحفيز وتكرير وإقناع... لنقل المخاطب من الهم إلى الفرح. ويمكن ملاحظة سمة إيقاعية أخرى وهي (التنويغ)، فمقطع النور لم يأت على الإيقاع واللحن السابقين، إنما جاء على إيقاع آخر: هو عروضياً (مستفعلن فاعلاتن)، ولحنياً كذلك يبدو مختلفاً، لكنه في الحالتين معاً مناسب جداً لكمال قيمة النور وانتشارها بين الناس.

(٨)

هكذا استطاع بلفقيه أن يستخرج من هذا البيت النواة، كل الإمكانيات المكتنة فيه، مطوراً إيّاه لحنًا وإيقاعاً وتركيباً ومفردات في هذه القصيدة. أخيراً، حريّ بفنانينا اليوم أن يقتدوا بهذا المنهج، فتراثنا الغنائي مليء بالأفكار والألحان المتنوعة، تلك التي طالما تحدث عنها أديبنا الشيخ أبو جعفر ربيع عوض بن عبيد اللاه مثل ألحان: السناوة، والصراب، والحصاد، والرعة، والمفاضة، والبقره، والراية، والدياسة، والذلاحة، والتفخيظ، والتفويض، والسباطة، فهو نهج وطريق أصيلة للتميز الفني والإبداع في صلته العميقة بالتراث.

الثلاثاء: ٦ / ٥ / ١٤٣٩ هـ، ٢٣ / ١ / ٢٠١٨ م

الهوامش:

- * ورقة نقدية مقدمة في الندوة المقامة في دار الأديب باكثر بمدينة سيئون ضمن فعاليات مهرجان تابين المرحوم الفنان أبي بكر سالم بلفقيه.
(١) شاعر قبل الطرب: ٥٢.
(٢) المصدر السابق: ٥٨.
(٣) من شريط مسجل لمحاضرة له عن ألحان المهن في تريم ٢٠٠٩ م.
(٤) ينظر: شرح الشافية، تحقيق: محمد نور الحسن وآخرين، ج ١، ٣، ١، طبعة ١٩٨٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت.
(٥) ينظر: لسان العرب مادة: سلا.



من الأوراق المقدّمة في الندوة العلمية التي أقامها مركز حضرموت
للدراستات التاريخية والتوثيق والنشر - حضرموت - شبام - أكتوبر ٢٠١٨م

بعنوان: (المظاهر الحضارية العسكرية التقليدية في حضرموت)



● أبو فتيلة.. سلاح ناري

غير موازين القوى بحضرموت

في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

د. محمد صالح بلعفير

● السلاح والقيم، والسلاح والغزل

قراءة ثقافية في بعض دلالات الشعر العامي الحضرمي

د. عبدالقادر علي باعيسى



● ألفاظ خاصة بالجانبية الحضرمية

رياض باكرموم

● التحصينات العسكرية

في هضبة ووادي حضرموت

"دراسة مقارنة"

عمارة القرف والطين

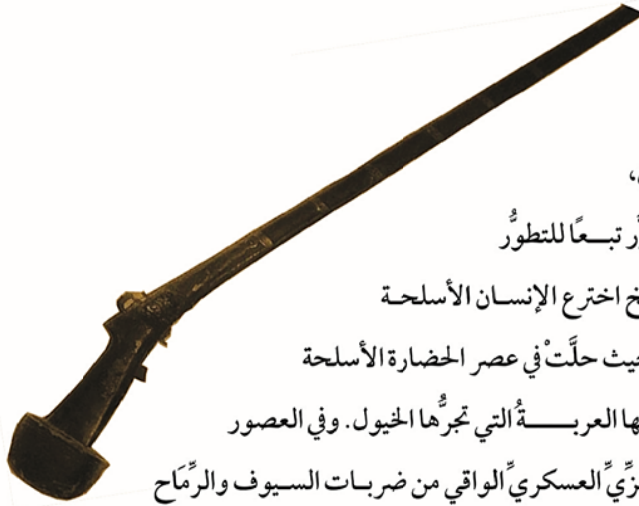
أحمد صالح الرباكي



أبو فتيلة.. سلاح ناري غير موازين القوى بحضرموت

في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي

مقدمة:



السلاح بمختلف أنواعه ضرورة ابتكرها الإنسان للدفاع عن النفس، والدود عن الأهل والأوطان، وبالقدر نفسه للغزو واستباحة أراضي الغير؛ وتطور تبعاً للتطور الحضاري للشعوب والأمم. ففي عصور ما قبل التاريخ اخترع الإنسان الأسلحة المصنوعة من الحجر والخشب، وتدرج التطور فيها بعد، حيث حلت في عصر الحضارة الأسلحة المصنوعة من المعادن محل سابقتها الحجرية، وزاد عليها العربية التي تجرّها الخيول. وفي العصور الوسطى استمر تطور السلاح، ونلاحظ ذلك في المدفع والزيّ العسكريّ الواقى من ضربات السيوف والرماح والأسهم، وبخاصة السّترات والخوذ المعدنية. وفي العصر الحديث شهد العتاد الحربيّ تطوراً نوعياً تمثل في ابتكار السلاح الناريّ، الذي استخدم جنباً إلى جنب مع السلاح الأبيض.

الكماين، ومصادرة الممتلكات، أو الاستيلاء عليها من غير وجه حق. دولة ارتضت فتح باب الديوان السلطاني على مصراعيه لعرض الشكاوى، ولفض النزاعات بالتّي هي أحسن، ولعلّ ما يؤكد ذلك ميله إلى الصلح - في أكثر من مناسبة - مع خصومه وأعدائه. صحيح أن بدرًا كان شاباً آنذاك، ولكنّه ذكيّ وحاذق، وكان محاطاً بنخبه من المستشارين من رجال الدولة وكبرائها.

يهدف هذا البحث إلى الوقوف على تاريخ دخول البندق اليمن بصفة عامة وحضرموت بصفة خاصة، وما أحدثه من تغيير موازين القوى العسكرية، وما ترتب عليه من نتائج على المستوى السياسي. ويشتمل على ثلاثة مباحث، فأولها: تمهيد تاريخيّ عنيّ بوصول البندق إلى اليمن، وفيه تعريف بهذا

في أحيين كثيرة، وفي إحداث تغييرات خطيرة تجسدت في إسقاط دول وكيانات سياسية. ولم تكن حضرموت بمعزل عن ذلك التطور الفريد، فقد فرضت الضرورة السياسية في القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي الحصول على هذا السلاح الفتاك لمواجهة خصوم الدولة وأعدائها، وكان ذلك في عهد الأمير السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر الكثيري المكنى (أبوطويرق) الذي نعه رجل دولة من الطراز الأول بالمعنى الواسع للكلمة، على عكس ما ذهب إليه البعض من تعليقات صبّت في اتجاه أن الرجل كان يحرّكه حماس الشباب واندفاعه أو عقدة النقص ومركباته؛ فقد دأب بدر منذ اشتغاله بشئون السلطنة الكثيرة لبناء دولة حديثة تحكمها النظم والقوانين، وترفض التمرد، وقطع الطرقات، ونصب



د. محمد صالح بلعفير*

وبسبب أطماع عالمية عرفت اليمن الاختراع الجديد، فبحكم موقعها الاستراتيجي في طرق التجارة البحرية الشرقية، فضلاً عن تعدد ثرواتها وتنوعها وقربها من الديار المقدسة في الحجاز، سعت قوى خارجية إلى وضع يدها عليها، وكانت تلك القوى مسلحة بالبنادق، الأمر الذي كان له أثر كبير وسريع في حسم المعارك لصالحها



وتأسيساً على ما سبق، فقد أطلق على البندق العربي لقب (أبو فتيلة) نسبة إلى الفتيل الذي يُشعل البارود لإطلاق الرصاصة منه، كما لُقّب حاملوه بلقب أهل الفتيل للسبب ذاته.^(٦) ولعل من الأهمية هنا أن نُشير إلى البندق بقدر ما كان له من مزايا إيجابية، تكمن في تفريق العساكر، والسيطرة على المعركة عن بُعد، وترجيح مصيرها،^(٧) وعلى الرغم من ذلك فإن ثمة عيوباً له؛ إذ إن وظيفته هنا لا تزيد عن السهم، مع الأخذ بعين الاعتبار المسافة التي تقطعها الرصاصة بالنسبة إليه، كما أنه لا يفيد إذا التقى الجمعان،^(٨) وبعبارة أخرى، فالسلاح الأبيض من سيفٍ وخنجرٍ ورُمحٍ وسهمٍ فضلاً عن إيقاع الرجال في الميدان تبقى له الكلمة الفصل في حال الالتحام.

ثانياً: مكونات أبي فتيلة وذخيرته:

قبل أن نأتي على التعريف بمكونات أبي فتيلة حريّ بنا أن نعرّج على وصف الأبريقي^(٩) الحضرمي، وهو وصف يتطابق تماماً مع وصف ابن الديبع إلا في تفصيل واحد يسير، وهو بشكل عام في حدّ قوله: حديدة مستطيلة مجوّفة يدخل فيها البـاروت، ثم

تُعرف من قبل بالديار اليمنية، وإنما تُوصف بالسّماع، وكانت لها هيبة في القلوب، تذهل الطالب والمطلوب. وما من شك في أن ذلك السلاح الجديد كان له أثر كبير في تحقيق الانتصار الواحد تلو الآخر، وعدّ من الأسباب القوية التي مهدت لسقوط الدولة الطاهرية.^(١٠) وقد وصف ابن الديبع^(١١) مؤرّخ مدينة زبيد والدولة الطاهرية البندق وصفاً دقيقاً في زمانه وهو في حدّ قوله: "شيء عجيب، لا يكاد أحد يقاقل أصحابه إلا غلب، وهو شيء يشبه المدفع إلا أنه أطول منه وأدقّ، مجوّف، ويجعل في جوفه قطعة رصاص كحبة النبق، ويحشى من البارود، ويدفع بنار في فتيلة من أسفل البندقية، فلا يصيب أحداً إلا هلك أو كاد، وربما أصابت البندقية شخصاً ونفذت منه إلى آخر فتقتلها".

ولم تمض سوى بضع سنوات على هذا الحدث حتى أدخل الأتراك العثمانيون البندق إلى حضرموت في سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م، وهذا ما سنتناوله في موضعه.

ومع أن العثمانيين قد سعوا جاهدين - بعد احتلالهم الأول لليمن - إلى عدم امتلاك اليمنيين لهذا السلاح الناري وانتشاره بين أوساط القبائل، إلا أن الأمر قد خرج عن سيطرتهم، إذ تمكّنوا من حيازته من خلال الغنائم، فضلاً عن ذلك قام اليمنيون بصناعته بما توافر لديهم من مواد محلية، وتبعاً لذلك ظهرت أنواع ممّا عرف بالبندق العربي تمييزاً لها عن البندق الروسي (العثماني)، وهي أنواع أُطلقت عليها تسميات نُسبت إلى الجهة المصنّعة، مثل البنادق: الزبيدية، واليايفية، والشعرية، والحسنية والحضرمية، والعولقية، ومنها ما جمع في صناعته ما بين البنادق الرومية وأحد أنواع البنادق العربية.^(١٢)

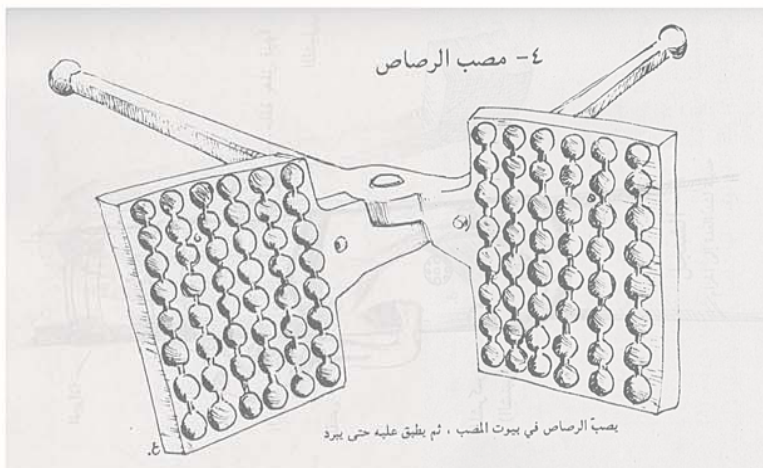
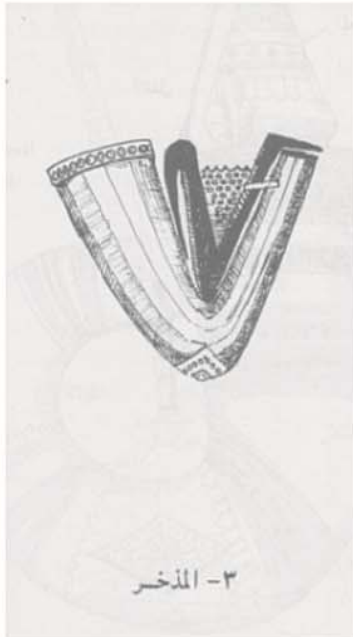
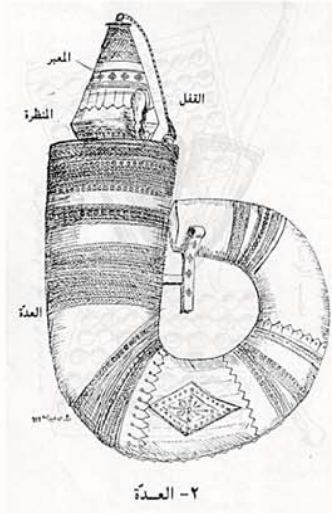
السلاح الجديد من المصادر التاريخية اليمنية، والإشارة إلى مزاياه وعيوبه، وأنواعه المجلوبة من الخارج والمصنّعة محلياً. وأمّا المبحث الثاني، فيختص بمكونات البندق، وعدّته، وذخيرته، التي اختلفت في مكوناتها، ومقاديرها من مكان إلى آخر، وعمدتنا في ذلك كتاب (آداب المحقّقة في معتبرات البندق) لمؤلفه حسين بن محمد بن حسن الأبريقي الحبّاني الحضرمي، الذي صنّفه في سنة ١٢١٦هـ/١٨٠١م، وقام بتحقيقه المؤرّخ العلامة عبد الله أحمد محيرز، والحقيقة أننا استفدنا إلى حد كبير من دراسة المحقّق وتعليقاته المفيدة، وكانت هي الأخرى الدّمك الثاني، الذي قام عليه بحثنا واستوى.

وأما المبحث الثالث والأخير، فهو الذي يحمل عنوان البحث، وفيه ذكرنا ما قدّمته المصادر والمراجع العسكرية من معلومات تاريخية وتعليقات عن أول ظهور للبندق في حضرموت، والنتائج التي ترتبت عليه.

أولاً: تمهيد تاريخي:

وفيما يخص معرفة اليمن بالبندق، فذلك يرجع إلى سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وبهذا الصدد ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين^(١٣) أن السلطان المملوكي قانصوه الغوري أرسل جيشاً إلى اليمن في أسطول بحري، بقيادة الأمير حسين الكردي، مكوناً من مائة جندي مسلّحين بالبنادق، وكما قال: لم تكن تُعرف بإقليم اليمن قبل ذلك، فلهذا هابها أهل ذلك الزمان، وفرّق منها جند السلطان، وارتعد منها كل جنان، وهكذا كل شيء لا يعرفه الناس، ولا تألفه الحواس، حتى ينطبع في القلوب، فيصير من جملة الأمر الذي يتم به المطلوب. وفي وصف لا يختلف عما قاله يحيى بن الحسين، ذكر المؤرّخ الكبسي^(١٤) أن تلك البنادق، ما كانت





١١ - الشوكة: وهي حديدة مدّقة يتعهد بها منفذ البارود من البرمة إلى الخزّانة.

١٢ - المَرَجِسُ: ويكون بين البندق والمجرى، ويَتَّخَذُ لإدخال الرصاصة في البندق، وغالباً ما يكون من عود، وبطرفه حديدة تسمى (السُنَّارة) وقد يطلق عليها من باب إطلاق الكل على الجزء.

١٣ - الحِلسُ: الفاصل في البندق.

١٤ - نخرة البندق وفمه: منفذة الأعلى.

١٥ - المَتَرَسُ: وهو ما يُنْظَرُ منه الغرض في أسفل البندق.

١٦ - المَشَوَّاف: هو ما يُنْظَرُ منه كذلك في أعلى المترس، فقد يطلق أحدهما على الآخر. وفي حضرموت وشبوة تطلق تسمية الشاهد على الثقب الذي ينظر منه الرامي في أسفل ماسورة البندق، كما يطلق اسم الشاهد على السهم الموجود فوق نخرة البندق، وليس من المستبعد أن يسمّى أحدهما بالآخر لقيامهما بالهدف نفسه.

١٧ - ويضاف إلى تلك العناصر الأساسية عناصر أخرى مكمّلة، وهي (١١):

١ - العدة: وهي إناء البارود الذي يوضع في البندق لسوق الرصاصة.

٢ - المِعْبَر: وهو ما يقدر به البارود الذي يحتاجه البندق كالمكيال، ويكون على فم العدة ملصقاً، وما يحول بينه وبين بارود العدة يسمّى القفل، وغطاء العدة يسمّى المنظرة.

الرصاصة التي كحبة النبق، ويرفع بفتيلة نار بأن يكون من أسفل جوفها منفذ صغير جداً، ملصق جنب ذلك المنفذ حديد كاللوزة تسمّى البرمة، يوضع فيها قليل باروت أيضاً، ثم يبدأ به بأن يوضع في المنفذ حديدة النار فيسري بما في أسفل جوف البندق، فتندفع بتلك الرصاصة.

وأما المكونات الأساسية لبندق أبي فتيلة فهي من الأسفل إلى الأعلى مع بعض التصرف (١٠):

١ - الكرسي.

٢ - الطيّان: هو خشبة لطيفة في أصل الكرسي.

٣ - المقص: هو الزناد، وهو حديدة صغيرة مشقوقة أحد الطرفين، توضع في أسفل تلك الخشبة لتكون الفتيلة في شقها عند وضعها على بارود البرمة.

٤ - البرمة: حديدة كاللوزة يوضع فيها قليل بارود فالنار لدفع ما في أسفل جوف البندق لإطلاق الرصاصة.

٥ - الفتيلة: هي حبل مفتول غالباً ما تكون من شجر الظرف أو غيره.

٦ - الخزّانة: وهي طرف البندق الأسفل من حديدته أو ماسورته وتعباً بالقدر الضروري من البارود، ويكون أربعة أصابع غالباً.

٧ - الدمغة: هي أثر رسم في أصل ماسورة البندق إذا كان مدوراً، فإذا كان شبه السراج مستطيلاً سمي سراجاً، أو شبه الهلال فهلاًلاً.

٨ - المجرى: وهو الخشبة التي توضع فيها ماسورة الحديدة المجوفة.

٩ - الطيفة: وتعرف بالمعصر أيضاً، وهي ما يشد المجرى بالبندق، ويخص اسم الشنبر بالطيفة المستطيلة في المعنقة، وقد يقال لها المحط، وقد يطلق الشنبر على طرف المقص الذي توضع عليه اليد عند الرمي، ويطلق أهل حضرموت الشنبر على الشاهد.

١٠ - المعنقة: هي طرف البندق الأعلى.



التي شهدت انقلاباً نوعياً في العتاد الحربي بعدما استعان الأمير الكثيري بدر بن عبد الله بن جعفر المكنى (أبو طويرق) قبل أن يُنصب سلطاناً في السنة التالية، بالأتراك العثمانيين، فقد أدرك أبو طويرق بعينه البصيرة ونظرته الثاقبة أنه لا يمكنه ردع منافسيه وخصومه سواء من البيت الكثيري أم من خارجه، وكذلك الحد من التمردات القبلية التي لا تتوقف إلا باستعمال سلاح جديد ونوعي لم تعهده حضرموت من قبل، ووجد ضالته في العثمانيين الذين شرعوا قبل ذلك التاريخ للاستيلاء على العالم العربي بغية توسيع ممتلكاتهم، وإقامة امبراطورية مترامية الأطراف. ولتحقيق هذا الغرض استقدم في السنة المذكورة فرقة عسكرية بقيادة الضابط رجب، كانت مسلحة ببندق أبي فتيلة، ونظمتها فرقة تم تكوينها من السفن البحرية العثمانية، التي كانت تجوب بحر العرب آنذاك للاستطلاع أو التحضير للاستيلاء على الساحل العربي الجنوبي، فكان ذلك التاريخ أول ظهور للبندق في حضرموت، (١٥)

وفي هذا الصدد وصف المؤرخ محمد بن هاشم هذا الحدث الخطير بقوله: ((والذي زاد في رعب أهل حضرموت، هو ما يحمله جيش الأتراك مع بدر بأيديهم وعلى أكتافهم من الاختراع الغريب في ذلك العهد، وما يسمعه الناس من الصوت المزعج الذي يصم الأذان خارجاً من فم تلك الآلة القاتلة، وهو اختراع جهمني ليس لحضرموت عهد بمثله قبل قدوم جند الأتراك، ذلك هو بندق أبو فتيل، فكان لظهوره دوي عظيم بين كل الطبقات أكثر بكثير من دوي القنابل في هاته الأيام، وظهوره بأيدي الأتراك الذين كانوا يسمونهم الروم هو السبب في تسميتهم البنادق العلوق ببنادق

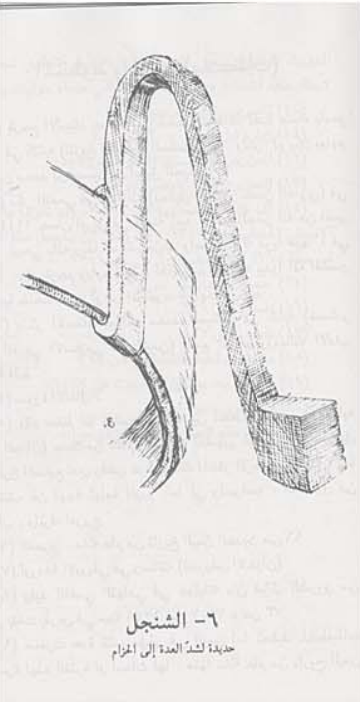
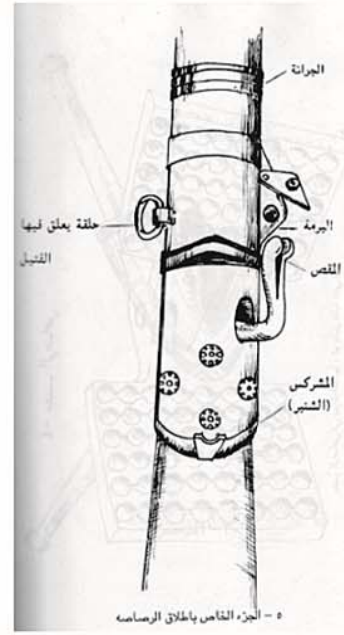
حجارة بيضاء برّاقة تقدح منها النار، ويحفظ مع القراعة في المحفظة. ٩- القراعة: وهي القبسة، حديدية يستخرج بها النار من حجر المرو. ١٠- المجز: وهو خيط تربط به العدة إلى الحزام.

وهذا عن الهيكل العام للبندق ومكوناته وعدته، أما الذخيرة فتشمل على البارود، والفتيل، والرصاص. ١- البارود: يتكون من ملح نترات البوتاش والكبريت والفحم، وتتحكم مقادير هذا الخلطة في جودة البارود ومقدراته على دفع الرصاصه من البندق، وعادة ما يتكون من أربعة أخماس ملح وخمس كبريت، وقد وضع الحضارمة أسماء للتمييز بينها، فالأول يُعرف بالثمنون، والثاني بالخموس وهو الأكثر استعمالاً، والأخير يسمى المسدوس. أما الفحم فيصنع عادة من خلال حرق شجر (العشر) أو غيره من شجر السدر (العلب) والإثل والنخل. (١٢) ٢- الفتيل: هو المكون الثاني للذخيرة، ويُستعمل في إشعال البارود، ويصنع من عدة ألياف من شجر الظرف وحتى من القطن. (١٣)

٣- الرصاص: هو المكون الثالث للذخيرة، وعادة ما يتم استيراده من الخارج، ويُصب في قالب يسمى المصب، ويتم صبه بعده أحجام تبعاً لحجم البندق المستعمل، وقد اشتهر منه المسكتي نسبة إلى مسقط حاضرة عمان. (١٤)

ثالثاً: أبو فتيلة سلاح ناري غير موازين القوى في حضرموت:

إن الحقيقة التي لا غبار عليها هي أن السلاح الأبيض (السيف والخنجر والرمح والسهم وما يتبعها من عدة) ظل السلاح الوحيد المستعمل في حضرموت إلى مطلع الربع الثاني من القرن العاشر الهجري وتحديدًا إلى سنة ٩٢٦ هـ / ١٥١٩ م، وهي السنة



- ٣- المذخر: ويطلق عليه الطيار وهو: إناء البارود الذي يوضع في البرمة. ٤- المحفظة: وهي إناء الرصاص وحجر المرو والقراعة. ٥- الشنجل: وهو حديدة معوجة تلصق بالحزام فيعلق بها العدة. ٦- النجاد: وهو سير أو نحوه يربط فيه المذخر ويتنجد به. ٧- الحزام: وهو سير جامع للعدة والمحفظة. ٨- السلبوخ: وهو حجر المرو، وهو



الروم)). وفصلاً عن ذلك، فقد فرض بندق أبو فتيلة أو البندق الرومي (العثماني) حقائق وتكتيكات عسكرية وقتالية جديدة على قول المؤرخ عبد الله بن سعيد الجعيدي، (١٧)

على أية حال، فقد أحدث أبو فتيلة وفي زمن قياسي تغيّراً كبيراً في موازين القوى بحضرموت على المستويين العسكري والسياسي، وكان أول أهدافه هم آل محمد الكثيرون الذين استقلوا بشبام وتحصنوا بها، فكان أن حاصره أبو طويرق مع الفرقة العثمانية (١٨) ليلة واحدة على دوي طلاقات أبي فتيلة، أعلنوا بعدها استسلامهم وتسليم المدينة، ومن ثم تفرّقوا أيدي سبأ لبعض الوقت. (١٩) ثم جاء الدور على مدينة تريم حاضرة سلطنة آل يماني التي اتجه إليها أبو طويرق مباشرة بعد نجاح عملية شبام، فكان أن حاصرها لمدة عشرين يوماً، وكانت كلمة الفصل هنا لبندق أبي فتيلة، إذ اضطر السلطان محمد بن أحمد لتسليم المدينة ومغادرة حضرموت، ولم يبق بتريم مع أهلها سوى عبيد آل يماني، (٢٠) الذين لم يتركهم أبو طويرق ينعمون بالتحكم بإدارة شؤون المدينة، إذ انقضّ عليهم في وقت لاحق في موقعة تشبه إلى حد ما الموقعة التي قضى فيها صلاح الأيوبي على المماليك بقلعة القاهرة. وفي الحقيقة قد ترتّب على هذه النتائج العسكرية الحاسمة أن ارتفعت أسهم أبي طويرق السياسية، إذ تمّ تنصيبه سلطاناً سنة ٩٢٧هـ/ ١٥٢٠م بعد أن كان أميراً.

ومع ذلك، فالسلاح الجديد لم يتوقف استعماله عند هذا الحد، إذ كان له حضوره في المواجهات التي نشبت بين أبي طويرق وأخيه محمد الذي تنازل له عن عرش السلطنة رغبة أو

رهبة ولاسيما في محاولات السيطرة على كل من الشحر سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م وظفار في السنة نفسها، أو على حيريج ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م التي كانت تحت سيطرة آل بادجانة. (٢١)

وفي ظل هذا الصدام الذي أحدث صدعاً كبيراً في وحدة البيت الكثيري وتماسكه، وتسبب في متاعب جمّة للسلطان أبي طويرق، ظهر وعلى حين غرة منافس جديد من الأسرة المالكة هو علي بن عمر الكثيري ذو النزعة الصوفية، الذي أعلن استقلاله بشبام سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م، وجعل من رجل الدين معروف باجمال أحد أقطاب الصوفية بحضرموت معاوناً له، لكن السلطان المثقل بهموم التمردات القبلية استخدم معه سياسة المراوغة من خلال اعترافه بسلطته أولاً، ثم إشراكه معه في بعض معاركه، بيد أنه لم يمهله كثيراً، إذ قبض عليه وألقى به في سجن مريمة. (٢٢)

وبقدر تركيز أبي طويرق في بداية الأمر على شرقي حضرموت وساحلها لأهميتهما الاستراتيجية، فإنه لم يهمل غربها الذي كان واحداً من أبرز بؤر التوتر والصراع وأكثرها خطورة، فهناك خطر قبيلة نهد في وادي الكسر، وآل العمودي في وادي دوعن.

فأما قبيلة نهد، فقد استطاع أبو طويرق دحرها في سنة ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م بقوات مشتركة محلية، وأخرى عثمانية مسلحة ببندق أبي فتيلة، وتمكّنت تلك القوات من القبض على زعيم نهد محمد بن علي بن فارس (٢٣)، الذي أفرج عنه في وقت لاحق من السنة نفسها لاعتبارات مختلفة، على أن الضربة الأكثر إيلاً التي وجهت إلى قبيلة نهد كانت في سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م (٢٤)، ولاسيما بعد إعلان أبي طويرق ولاءه للدولة العثمانية واستعانتها بالبرتغاليين، (٢٥)

وهي ضربة حدّت لعدة سنوات من تحرّك نهد وإن لم تقف حائلاً دون تحالفها مع أعداء الدولة وبخاصة العمودي في وادي دوعن. وبعبارة أخرى ظلت علاقات القبيلة مع السلطان أبي طويرق تراوح بين المد والجزر في الولاء له تارة والتحالف مع خصمه العمودي تارة أخرى، إلى أن تمّ الصلح بين الطرفين، وهو صلح قال عنه المؤرخ بافقيه الشحري إنه ضعيف، (٢٦) ولايتناغم مع سياسة الحزم التي أنتجها أبو طويرق.

وأما آل العمودي في دوعن، فقد كان شيخهم عثمان بن أحمد ذا طموح كبير في توسيع رقعة نفوذه، فهاجم سنة ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م مناطق عدة خاضعة للسلطنة الكثيرية في دوعن، وتطلّع للسيطرة على الشحر لكنه لم ينجح في ذلك، (٢٧) وفاقم من الصراع بين الطرفين رفض العمودي لسياسة الولاء التي أعلنها أبو طويرق اتجاه الدولة العثمانية، وهو رفض ترتب عليه زيادة في العمليات العسكرية، إذ وصل الصراع بين الجانبين إلى حدّ حصار القوات الكثيرية حاضرتي العموديين القرين وبضة، ودخول قيودون سلماً لكونها حوطة. (٢٨)

وكما كان مع قبيلة نهد، وبعد سنوات من الصدام بين الطرفين العمودي والكثيري جنح السلطان أبو طويرق إلى انتهاج سياسة السلم فأبرم مع العمودي الصلح في شهر رجب من سنة ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م، الذي ظل قائماً إلى حين انتهاء حياة السلطان بدر السياسية. (٢٩)

ولم يُغفل أبو طويرق تمردات قبيلة المهرة في الطرف الشرقي للساحل الحضرمي من ضرباته الموجعة بدءاً من أسرة آل بادجانة في حيريج وانتهاءً بأسرة آل بن عفرار في قشن، والأخيرة شكّلت بحق قوة ناشئة وخطرة، هدّدت



٨- نفسه والصفحة، وينحصر تعريف البندق عند المصنف قبل المجرى على مأسورة الحديد المجوقة فقط، إلا أنه يطلق كلمة البندق بعدئذ على السلاح بأكمله كما اعتاد الناس (المحقق).

٩- نفسه (نص الكتاب)، ص ٦٧، المصنف هنا يسمي البارود باللهجة العامية (الباروت).

١٠- نفسه، ص ٦٧-٦٩.

١١- نفسه، ص ٧٠-٧١.

١٢- نفسه، ص ١٥١-١٥٣.

١٣- نفسه، ص ١٥٤.

١٤- نفسه والصفحة.

١٥- بافقيه الشحري، محمد بن عمر الطيب: تاريخ الشجر وأخبار القرن العاشر، تحقيق: عبدالله محمد الحبشي/ مكتبة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ص ١٤٩-١٥٠.

١٦- تاريخ الدولة الكثيرة، ١٩٤٨م، ص ٢٧.

١٧- السلطنة الكثيرة الأولى في حضرموت (٨١٤-١١٤٣/١١٤١-١٧٣٠م) تريم للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٣٥/٥١٤٠١م، ص ٧٣.

١٨- ابن عبيد الله السقاف، عبدالرحمن: بضائع التابوت في تاريخ حضرموت، مخطوط، ورقة ٤٠٤.

١٩- الجعدي: السلطنة الكثيرة الأولى، ٧٤.

٢٠- المرجع نفسه والصفحة.

٢١- المزيد من التفاصيل عن الصراع بين أبي طويرق وأخيه محمد ينظر الجعدي: السلطنة الكثيرة الأولى ص ٧٦-٨٥.

٢٢- باوزير سعيد عوض: صفحات من التاريخ الحضرمي، مكتبة الثقافة، عدن، ١٩٥٧م ص ١٣١.

٢٣- بافقيه الشحري: تاريخ الشجر، ص ٢٠١.

٢٤- المصدر نفسه، ص ٢٥٣.

٢٥- الجعدي: السلطنة الكثيرة الأولى، ص ٩١.

٢٦- تاريخ الشجر، ص ٣٣٣، ينظر كذلك الجعدي: السلطنة الكثيرة الأولى، ص ٩٢.

٢٧- باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ص ١٥٣.

٢٨- الجعدي: السلطنة الكثيرة الأولى، ص ٩٦.

٢٩- المرجع نفسه، ص ٩٩.

٣٠- تاريخ الشجر، ص ٣٢١.

٣١- باوزير: صفحات من التاريخ الحضرمي، ١٣١.

أصداء رصاصاته الجبال والوديان والشعاب، كما استعمل إلى جانب الحرب لإعلان تبشير الأعياد والأفراح على قول المؤرخ عبدالله أحمد محيرز، كما تردّد صدهاء في الشعر المحلي لحضرموت، وتغنّى به الشعراء، ومن هؤلاء المعلم عبدالحق الذي جمع أشعاره وأخرجها في ديوان مطبوع بالمؤرخ والأديب الفذ محمد عبد القادر بامطرف.

الهوامش والتعليقات:

* كلية الآداب - جامعة عدن.

١- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٦٨م، ج ٣، ص ٦٦٤.

٢- محمد بن اسماعيل: اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية.

٣- الأبرقي الحباني الحضرمي، حسين بن محمد بن حسين: الآداب المحققة في معتبرات البندقة، تحقيق ودراسة عبدالله أحمد محيرز، وزارة الثقافة والإعلام، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، عدن، بدون تاريخ، مقدمة المحقق، ص ٣١.

وحول نسب الأبرقي، أفادنا الأخ عبدالرحمن حسن بن عبيدالله السقاف الباحث في الآثار والتاريخ ومدير الهيئة العامة للآثار والمتاحف بسيئون، أن اللقب المذكور هو تحريف للقب الصحيح وهو البرقي، فالبرقي أو آل البرقي هم من سكان مدينة العرمة (غرفة آل باعباد) التي تقع بين شبام وسيئون، وقد كشفت وثائق ومراسلات ترجع إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري عن هذه الحقيقة. ومن أسف أنه لم تعد لهم بقية في مسقط رأسهم وفي حضرموت كافة، ولا نستبعد من جهتنا أن يكون هذا اللقب قد يغير مع مرور الزمن، وحل محله لقب آخر لمن بقي منهم ولا نعلمه.

٤- الفضل المزيد على بغية المستفيد في أخبار مدينة زيد، تحقيق: محمد عيسى صالحية، السلسلة التراثية، الكويت ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٣م، الطبعة الأولى، ص ٢٨٠.

٥- الآداب المحققة، دراسة المحقق، ص ٣٥.

٦- نفسه والصفحة.

٧- نفسه، ص ٣٦.

كيان السلطنة الكثيرة. فبعد شد وجذب سير إليها أبو طويرق في رمضان سنة ٩٥٢هـ/ ١٤٤٥م جيشاً عظيماً تكون من كتائب بريّة وبحريّة، فضلاً عن قوة عثمانية، وهو جيش وصفه المؤرخ بافقيه الشحري (٣٠) بالتجهيز العظيم الذي لم يعهّد مثله.

لم تضع هذه المعركة نهاية للصدام بين الطرفين، بل أظهر آل بن عفرار تحديهم للسلطان، ودخل الطرفان في حربين أخريين انتهت الأولى لصالح أبي طويرق وكانت في سنة ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م؛

أما الأخرى فكانت لصالح آل بن عفرار؛ إذ انتهت باستعادتهم حاضرتهم قشن في سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، ولعل الذي ساعدهم على ذلك وقوف البرتغاليين إلى جانبهم بعد أن استغاث بهم الزعيم المهري وقتذاك سعيد بن عفرار، فمدّوه بقوة نظامي، قلبت موازين المعركة لصالحهم.

ومثلاً كانت الحال من قبل مع قبيلة نهد بوادي الكسر وآل العمودي في دوعن، فقد مال الطرفان إلى السلم فوقعاً صلحاً، نص على إبقاء ما لبني عفرار من أراض تحت أيديهم مقابل عدم قيامهم بالتعدّي على موانئ السلطنة أو أي جزء منها. (٣١)

الخلاصة:

إن المقام هنا لا يتسع لعرض كل حروب أبي طويرق ومعاركه، إلا أن ما يسعنا قوله هو أن سلاح أبي فتيلة كان له اليد الطولى والقدر المعلى في كثير منها، وكان له بحق دوره الكبير في تغيير موازين القوى بحضرموت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، والأكثر من ذلك أنه ترك أثره - مع ما تلاه من بنادق في الحياة الاجتماعية وفي الموروث الثقافي المحلي للحضارة، فقد دخل المنازل من ذلك التاريخ حتى عصرنا، فازداد به الناس شغفاً وأفتاناً، ورددت

السلاح والقيم، والسلاح والغزل

قراءة ثقافية في بعض دلالات الشعر العامي الحضرمي

عملت هذه الورقة البحثية على تصنيف ثلاثة أنماط في الشعر العامي الحضرمي تتعلق بدلالة السلاح اجتماعيا وفنيا، وتحليلها من وجهة نظر ثقافية، وهذه الأنماط هي السلاح والقيم العليا في المجتمع، والسلاح والقيم المعكوسة التي شكلت بدورها حضورا في المجتمع، والسلاح والغزل، معتمدة على أقل عدد ممكن من النماذج الشعرية بغية حصر الدلالات وعدم تشعبها مما يحتاج التوسع فيه إلى دراسات أطول، فالسلاح أوسع نطاقا في المجتمعات التقليدية، ومن ثم فإن أثره قوي في تركيبها الاجتماعية، وعاداتها، وأدبها.

وغالباً ما يرتبط السلاح بالفعل الذكوري أما الأنثى فلا وجود فاعل لها في هذا المجال إذ يظل استخدامها السلاح مصدرا لعدم التقبل، فالسلاح يدعو إلى إثبات الذات، وليست المرأة بحاجة إلى إثبات ذاتها - من وجهة نظر الوعي العربي - بهذه الطريقة، وإن حدث لديها تميز في الشجاعة فعلى المستوى الشخصي كما عند خولة بنت الأزور في التاريخ الإسلامي وجميلة بو حيرد في التاريخ الحديث، ولكن على المستوى العام ينظر للمرأة على أنها رمز للنعومة والركة، فالسلاح والشجاعة لا يمنح المرأة كينونة الاعتراف الاجتماعي الشامل بها مهما بلغت في ذلك.

لقد شكل السلاح ومازال يشكل ركيزة أساسية في حياة المجتمعات من خلال ارتباطه بمفهوم القوة التي تعد "مبدأ قارا في رفض الانهزام" (٤) الروحي والنفسي وإثبات الذات الاجتماعية من خلال مواجهة الموت "لذلك نرى وبكل الحالات أن هناك جماعة أوقوة متأهبة لإحداث تغيير في المجتمع، وغالباً ما يكون بالحروب، والاستيلاء على السلطة" (٥) والإعلان عن نفسها برموز حربية كالعلم المصبوغ باللون الأحمر،

وربما كان السلاح يحقق فكرة المعادل الموضوعي لصاحبه فيعتز به كما يعتز بنفسه ويتقلده مرافقا دائما لشخصيته، كما جاء في قول امرئ القيس:

أبقتلني والمشر في مضاجعي

ومسنونة زرق كأنياب أغوال (١)

فالسلاح يعني - في ما يعني - الانتصار لقيم الحياة المثلى، فضلا عن أن الحفاظ على متع الحياة وجمالياتها من الثروة والنساء والمال والسيادة مرتهن بعنصر القوة الفاعلة التي يؤديها السلاح في غمرة الصراع الوجودي مع الآخرين بكل أشكاله (٢) غير أن استجماع أسباب القوة بالسلاح لا يؤدي وظيفته الكاملة ما لم توظف القدرات الذهنية والثقافية والفكرية والعقلية لحامله لتحقيق وجوده (٣) وبدون ذلك تظل إمكانات القوة الفكرية والعقلية بيد جماعات أخرى، كما هو معروف في تاريخ المجتمع الحضرمي وغيره من وجود مرجعية روحية علوية وغيرها يرجع إليها حملة السلاح من القبائل الحضرية ويحتكمون لأمرها.



د. عبد القادر علي باعيسى

السلاح والقيم العليا: حالة تاريخية:

ارتبط استخدام السلاح بعدد من القيم الأخلاقية بوصفه وسيلة للإبقاء على الحياة من خلال مقاتلة الأعداء للحفاظ على النفس والعرض والمال والوطن، ولعل صورة الإنسان الحامل لسلاحه في عدد من المجتمعات القديمة والمعاصرة، تعد مثلاً أعلى يدعو الآخرين إلى تقديره واحترامه، فالسلاح يعطي لحامله طاقة من الفاعلية والحضور، ويشير إلى أنه قادر على ممارسة فعل الردع على من يتناول عليه محققاً بذلك وجوده الخارجي (الاجتماعي) والداخلي (النفسي).



يربط الشاعر عمر بامخرمة نصر السلطان بدر بو طويرق على أعدائه وإخضاع وادي حضرموت له بتوفيق الله تعالى من خلال نظرة مثالية جمالية جمعت بين الديني والحربي لتعزيز قوة النصر ومكنته، ذاكرة الأماكن التي خضعت لبو طويرق وهي أماكن واسعة من حضرموت تشمل وادي الكسر، بل وادي حضرموت كله الذي من أسمائه (وادي العجل) لكثرة الآبار فيه، والذي كان بو طويرق يقطع به جيوشه حاصدا أعداءه من القبائل المتشرذمة الواحدة تلو الأخرى في صعوده ونزوله، إلى درجة الدوس والتوطئة حسب تعبير الشاعر، في كناية عن شدة هزيمتهم بغية

تأسيس كيان حضرمي واحد. إنه يصف ولكن في خطاب مدحي واضح الملامح بوصف المدح والوصف يتداخلان، ناقلا من خلال ذلك تجربة عينية من المشاهدة ممتدحا السلطان الذي ظهر اسمه في أول الأبيات في إشارة مقصودة إلى رأس السلطة المهيمنة، لاسيما أن بو طويرق سعى نحو توحيد حضرموت كلها تحت سلطته مما كان سببا - فيما يبدو - لتعاطف الكثيرين معه ولو بصورة مؤقتة كما عند الشاعر الصوفي الشيخ بامخرمة وإن لم تدم علاقته الودية بالسلطان كثيرا.

السلاح والقيم المعكوسة:

حالة تاريخية:

يحمل السلاح ضمنا معنى نفى وجود الآخر، وإلغائه بقتله والقضاء عليه، حتى يغدو وجود الآخرين وحياتهم مرهونا لنزق القوة الذي قد يستفحل فيصبح أحد المسارات الأساسية التي يفرق فيها المجتمع انطلاقا من التوجه السياسي الدموي للدولة الحاكمة، أو توجه القبيلة أو الجماعة نحو الفتن والمخاضات، فيصنع السلاح بذلك كثيرا

والنسر، والأسد، والحصن، وقصر الحكم. إلخ. تحقيقا لذاتها، مما يعد في صميم القيم المثلى التي يسعى حاملو السلاح الواعون بأهدافهم لتحقيقها، وفي هذا الصدد يقول الشاعر خميس كندي:

ردوش يا الغرفة كما برلين

مستر جرامس هو وشمبرلين

بن صالح مبارك لقالش رسم عاند بك قرانه

هم قايسوك العبر من رمي القنابل باتودين^(٦)

فمدينة الغرفة صار لها رسمها وشعارها الدال على قوتها كعوامص الدول الكبرى التي غدت قرائن مماثلة لها بعد حركة الثورة المسلحة التي قام بها الشيخ صالح بن عبدات الكثيري ضد الاستعمار البريطاني ومحاولة تأسيس الدولة، فالرسم (الشعار والاسم) من السمات الجوهرية الدالة على الاستقلالية ومستلزمات الدولة، فليست الغرفة بسيطة كالعبر، إنه يعاند بهذا الحضور الآخر عدوه (لقا لش رسم عاند بك قرانه) وبغض النظر عن أن ابن عبدات عمل لدولته شعارا أم لم يعمل فإن تضمينه في الشعر يدل على أن الشاعر يرغب في قيام دولة قوية بحضرموت ولو على رقعة جغرافية محدودة، والشعار يعني الاكتمال، وإذا تم اكتمال الشيء وضع شعاره، وقد جاء في المعجم الوسيط عن الشعار أنه "علامة تتميز بها دولة أو جماعة"^(٧) وجاء فيه عن الرسم "الرسمي، العمل الرسمي عمل ينتسب إلى الدولة ويجري على أصولها المقررة"^(٨).

ويقول الشاعر الشيخ عبد الله عمر بامخرمة في السلطان بدر بو طويرق:

ما ترى بدر يوم الخالق اطلع سعوته

كيف يسري، وكيف القت سرايا جنوده

في منحاه يؤخذ حد وحده في صعوده

داس وادي العجل والكسر وطى زيوده^(٩)

من الأحداث، ويفرض كثيرا من الأفكار والمعتقدات غير المنطقية التي تخصب معها عقليات الشر، ويفقد المجتمع إحساسه بدفع الأمان، وقد فضل بعض الشعراء الحضارم حالات الحروب والفتن على حالة السلم الاجتماعي، يقول الشاعر سعيد عبدالحق:

ثم قال من لا تعتليه الزلة

أيضا ولا في الحرب بغدي ضانة

ولا بدا قلبه رجف من فتنة

والحرب عنده تشتعل نيرانه

تشرق وتغرب ما يصبح بادي

ما كن معاهم للبندق زانه

الحرب ما يعجب إذا هو فاتر

يعجب دم المقتول في ميدانه^(١٠)

يدعو الشاعر عبدالحق إلى اشتعال الحرب كواقع اجتماعي يجب أن يكون، بل يدعو إلى استمرار إراقة الدماء مستهجننا الرجال الذين يجنحون للسلم، كأن سير التاريخ في مرحلة من المراحل ينبذ قيم المودعة والمسالمة، أو كان الأخلاق هي القتال والحروب، فالذات القائلة وهي المعلم

عبد الحق "محددة بزمان ومكان معين، وخاضعة لتأثير قوى نفسية واجتماعية معينة" (١١) تدفعها بصورة مباشرة أو غير مباشرة لمثل هذا القول بوصفه متعينا اجتماعيا واقعيا حتى إنه "يستغرب أن تشرق الشمس وتغيب، وتمر الأيام، ولا يرى تباعدا لإطلاق النار" (١٢) إن استخدام السلاح للقتل مجرد القتل لا يعدو أكثر من كونه عامل تدمير لحياة الإنسان والمجتمع تتراجع معه حالة التمدن، ويعين على انتشار التفكير غير العقلاني، بل قد يصل الأمر في حالة من الحالات إلى أن يتم التلهي بالسلاح فيتم قتل الأبرياء بغير سبب سوى التلهي والعنجهية التي ترى نفسها في مأمن من العقاب والمحاكمة بوصفها رأس السلطة حتى عرف تاريخ حضرموت الاجتماعي

مقدمات، وأحيانا بمقدمات ثأرية، فحيث يوجد السلاح والحروب لا تنبت الورود، أو لا ينمو النخل وفق طبيعة البيئة الحضرمية، وقد أشارت دورين إنجرامز إلى أن الزرع كان يموت في بعض مناطق حضرموت من جراء الحروب الطاحنة بين القبائل (قبيلة آل البقري مثلا) فإذا أرادوا الذهاب إلى أراضيهم ذهبوا إليها في أنفاق تحميهم من الفوهات المتربصة بهم، فالحرب والأرض المجذبة وجهان لعملة واحدة (١٣).

يؤدي السلاح دورا قمعيا في استلاب الآخر الذي يكون السلاح الموجه ضده وسيلة مهينة له إهانة قصوى لإشعاره بعدمية وجوده بحيث يعيش الهشاشة وتجريد الذات من قيمتها وفعاليتها، ولذا تبدو صورة الآخر الضعيف في



الحرب أو الضعيف اجتماعيا جراء حروب سابقة متسمة بالخوف والخمول (١٤) وعليه تجيء مغادرة المكان-الأرض هربا من الواقع الماحق للذات من جهة، وبحثا عن حقيقة وجود جديدة من جهة أخرى (١٥) كما حدث في الهجرات الحضرمية إلى جنوب شرق آسيا وشرق إفريقيا التي مثلت هذا المنحنى أصدق تمثيل، فنبغ الإنسان الحضرمي هناك. ولعل هذه الفاعلية النفسية المتوارثة مازالت تفرض نفسها على الإنسان الحضرمي إلى يومنا هذا.

(السيّر) وهو السيد أو الشيخ الذي يرافق الشخص من بلد إلى بلد سواء كان مطلوبا لثأر أو غير مطلوب حتى لا يتعرض لطلقه رصاص متلهية أو مقصودة من إحدى مشارف أو (مشاوف) البيوت المطلة على الطرقات العامة، فيضطر الناس إلى أن يسيروا في سواقي الماء تحت البلدات والقرى حفاظا على أرواحهم، مما كان بحاجة بالضرورة إلى جهد ديني واجتماعي كبير لاستعادة ضبط الإنسان نفسه الذي كان يبادر إلى السلاح أحيانا بدون

يوجه السلاح الإنسان ويقوده في حالات الغضب والشحناء الشديدة، وما يلبث أن تسيطر عليه هذه الحالة فيكررها في مواقف أخرى في حالة من الكبرياء والغرور والاعتزاز المفرط بالنفس "إلى الحد الذي يشعر فيه المرء بأنه أسمى وأعلى من غيره من البشر، فيتجاهل مشاعرهم وأحاسيسهم مبديا استهجانا للنصح والإرشاد" (١٦) ودعوات المشورة والتناصح.

نتيجة الثنائية:

إن التحول الذي يحدثه السلاح في تاريخ المجتمعات قد يكون تحولا نحو الأجل أو نحو الأسوأ، وكثير من القضايا الاجتماعية والاقتصادية والنفسانية، فضلا عن السياسية، ارتبطت به سلبا وإيجابا، مما يدل على أن ثنائية الخير/ الشر التي يكون السلاح سببها غير متعينة تعينا ثابتا، فما يراه الأول خيرا يراه الآخر شرا، وكما أن السلاح يعطي مستخدمه إحساسا بالنصر والتميز فإنه قد يجعله مشردا هاربا بوصفه يحمل بداخله بنية تضادية شديدة التنافر بين الاستقرار والتشرد، بين السعادة والشقاء، مما يستقر في الوظيفة الاجتماعية الناتجة عن استخدامه، وعليه لا يمكن الاعتداد بالسلاح بوصفه إرثا حضاريا إلا في جانبه الجمالي (التشكيلي) وفي جانبه الإنساني حيث الانتصار للقيم العليا، قيم الحق والخير والفضيلة فلا تستعاد الحياة إلا بشمولية الموت- موت الآخر (١٧) المعادي.

ومن اللافت أن التقسيم الطبقي الاجتماعي يضطرب في زمن الحروب، وبعدها، فيعاد ترتيبه وفق ثنائية المنتصر/ المنهزم وإن كانت هذه المسألة تختلف من منطقة إلى أخرى، ومن قبيلة إلى أخرى، ومن عصر إلى عصر، ومن دولة إلى أخرى حسب الظروف والإشكالات الحياتية الخاصة بكل قبيلة أو منطقة أو دولة أو عصر،



قبل معرفة الأسلحة الحديثة خصوصية تختلف - في ما يبدو- عن الشعر العامي الذي قيل بعد ظهور السلاح الحديث في حضرموت، ذلك لأن فاعلية الإنشاء المتقارب وفق صيغة حضارية واحدة تماثل بين الجنبية والقصيدة، قد اضطربت بشكل أو بآخر حين أخذت صناعة الأسلحة التقليدية تتخلف في السياق الاجتماعي لصالح البندقية الحديثة المصنوعة خارجياً والتي تم توظيفها فنياً في الشعر، يقول الشاعر حسين بن أبي بكر المحضار مثلاً:

عربي يانبي لاسل سيفه قتل
والعلماني من لحظ عينه شعل
خذي أمانى منه ومن سيفه البتار (٢١)
فالبندقية الألمانية (العلمان) تصدر
بريقاً عند الرمي بها كبريق عيني
المحوبة، هذا البريق مستند ذوقياً
وفنياً وتاريخياً إلى بريق السيف أو
الخنجر، أما هو فبريق مختلف (شعلة
حمراء بعيدة عن الجمال) تنتج عرضياً
من جراء احتكاك الرصاصة عند
خروجها بفوهة البندقية. وليس من
طبيعة تكوين الحديد نفسه (جسد
المرأة- الجنبية) إذ فرضت التقنية
الجديدة (الاجنبية) في صناعة السلاح
نفسها على الشاعر، فجاءت البنية
التكوينية لوصف نظرات الحبيبة على
هذه الشاكلة الجديدة، في الوقت الذي

فالسلاح باعث على القتل وإراقة الدماء،
والمرأة باعثة على المتعة والسعادة،
مما يعني أن السلاح يتحول في الغزل
إلى رمز غير مقصود لذاته، كما في
الأشعار الخاصة بوصف السلاح فقط
(ديوان الحماسة لأبي تمام مثلاً) وعليه
يتسم عالم الإنسان (المرأة تحديداً)
وفقاً لتشبيهها بأنواع السلاح، بالجمال
والقوة والرشاقة والسلامة من
العيوب.. إلى غير ذلك من دلالات
متنوعة ثرية، ذلك لأن الغزل أدخل في
مقام الخيال، وإثراء الصفات الإيجابية
بأسلوب يحجب وصف السلاح على
خشونته وقوته وكونه أداة للقتل.
فالتوتر المستدام القائم بين المرأة
والسلاح يتفاعل جمالياً لصالح المكون
الجمالي للمرأة والسلاح معاً، أو بتعبير
أدق لصالح المكون الجمالي في النص.
والحقيقة أن السلاح المحلي التقليدي
المعروف تاريخياً في حضرموت
كالجنابي والسيوف وغيرها تعد مرتبة
حضارية من الإبداع تضاهي صناعة
القول الشعري، فكلاهما (الجنبية
والقصيدة) مليء بجمال الصقل
وحسن السبك والزخرفة والتطريز
وغيرها في إطار سياق ثقافي جمالي
متفاعل داخل البيئة المحلية
الحضرمية بين صناعة القصيدة من
جهة، وصناعة الخنجر من جهة أخرى،
وعليه يمكن الاستنتاج أن للشعر
العامي التقليدي الذي قيل في السلاح

فكما هو متداول في تاريخ حضرموت
أن تتحول القبيلة المنهزمة إلى جماعة
دونية تعمل في خدمة القبيلة المنتصرة
يطلق عليهم (الصبيان) يمارسون
الأعمال المهنية من خدمة البيوت في
الأعراس والوفيات والواجبات
الاجتماعية المختلفة، وقد يلتحقون
بالقبيلة المنتصرة كطرف أضعف فيها،
أو كـ (صبيان دم) يشاركون في القتال
مع أسيادهم المنتصرين عليهم من
غير أن يكون لهم حـق الارتفاع إلى
مستوى السيد نفسه (١٨).

ولعل الحروب الكثيرة التي شهدتها
حضرموت في الماضي أنتجت كثيراً من
هذه الفئات، وفي هذه الحالة وفي غيرها
من ألوان الصراع بين المنتصر والمنهزم
يرى الشاعر نفسه كما لو كان المكلف
الرسمي بتمرير الرؤية الإيديولوجية
الجديدة إلى عقول الآخرين (١٩) بترفع
قبيلة وتنزيل أخرى انطلاقاً من دوره
التأسيسي للمواقف والمكانات والقيم،
فالشاعر يؤكد الحدث ويلهبه بأشعاره
التي تنتشر وتتفاعل بقوة مع بنية
المجتمع الذهنية والنفسية والاجتماعية،
وقد ينسى المجتمع الحادثة لكن
الشعر يعيد إنتاجها في كل مرة يعاد
فيها إنشاده وقراءته، وبهذه الطريقة
يتفوق الشعر على حدث الحرب نفسه
الذي ينتهي بانتهاء الفعل ومرور
الزمن، فيصل الشعر بالحدث إلى
مستوى كبير من الرسوخ في تمجيد
جماعة واستهجان أخرى، لأن الشعر
نشأ في أساسه لتثبيت القيم والتقاليد
والاحتفاظ بديناميتها الزمنية بدءاً
من دوره في نظم الأسطورة (٢٠)
وترسيخ قيمها إلى يومنا هذا في
المجتمعات التقليدية.

السلاح والغزل:

يرى الشاعر الجمال في المرأة، وفي
سلاحه، فيماثل بينهما، مع وجود
مفارقة حادة بين الإنسان والسلاح،



ظل فيه تشبيه الحبيبة بالجنيبة عند المحضر وعند غيره من الشعراء مستمرا على الآلية القديمة المتميزة، يقول حداد بن حسن الكاف:

قلبي يحن لا قد ذكر نصله

في ذي البلد ما مثلها يا ناس يتحصل

لو جبتها من شرق لا قبله

قل ما حصل

وبالمثل ضرب بها في جمع لنصال

زينة رهيفة حد لها صقلة

وحديدها من هندواني رطب يتفصل

لا شافها الزاكن رقل عقله

عظمه رقل

وان شط إليها شاب دمه منه سال

في عرضها مع طولها عدله

يا سعد كل من هو بها يظفر ويتجمل

وان هي معي بلقي بها صلة

هي في الوسل

لي عادها بافدي لها بالمال والحال (٢٢)

والسلاح من أصعب الأدوات التي يمكن التعامل معها لاحتياجه إلى مهارة خاصة، ومعرفة كثير من فنون القتال والحركة، ولذا تشبه المحبوبة به لأنها في رقتها وجمالها تحتاج إلى تعامل خاص، وعليه فالأوصاف التي أسندت إلى الجنيبة في قول حداد تسند وبتلقائية شديدة إلى الحبيبة دون أن يحدث اضطراب في أثناء نقل الصفة من مجال إلى آخر (زينة، رهيفة، حديدتها رطب يتفصل، في عرضها مع طولها عدلة).

نحن إذن أمام معيار من المماثلة بين المرأة والجنيبية في هذا الوصف الشعري المستمد من جذور التراث الشعري التقليدي، فضلا عن أن

قصص السلاح والغرام، وكيفية وصول العاشق إلى حبيبته في أخرج الأوقات وأدق الظروف يعد من البسطولات، فثنائية (القتال / الغرام) المتوحدة على مستوى الشعر، تحقق جزءا من وجود الإنسان في إثبات ذاته. ولعل ذلك يكثر في المجتمعات البدوية والريفية التي تعزز بالسلاح جزءا من وجودها الاجتماعي، والحاضن الأساسي لذلك هو كينونة الإنسان العربي نفسه وهويته الثقافية، فالسلاح كان وما زال ينزل في المجتمعات العربية التقليدية منزلة الضرورة التي لا يمكن الاستغناء عنها، كالمراة تماما.

الهوامش:

(١) ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ص ٣٣.

(٢) ينظر جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا، د. يوسف عليمات، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان ٢٠٠٤م، ص ٩٠.

(٣) ينظر نفسه، جماليات التحليل الثقافي، ص ١٤٠.

(٤) جماليات التحليل الثقافي، ص ٦٠.

(٥) سوسيولوجيا التغير الاجتماعي في الفكر الخلدوني، دراسة تحليلية، د. علاء زهير الرواشدة، مجلة الآداب، دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الملك سعود، المجلد ٢٦، العدد ٢، الرياض، المملكة العربية السعودية مايو ٢٠١٤م، جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ، ص.

(٦) الشعر الشعبي وتاريخ حضرموت العسكري، صالح مبارك عصبان، (بحث مخطوط) نقلا عن: الأنغام الخالدة، نشرة تأيينية للشاعر سعيد مبارك مرزوق، إدارة الثقافة، سيئون، حضرموت ١٩٨١م.

(٧) مادة: شعر، الطبعة الثانية، دار الأمواج، بيروت، لبنان ١٩٩٠-١٩٩١م.

(٨) نفسه، المعجم الوسيط، مادة: رسم.

(٩) الشعر الشعبي وتاريخ حضرموت العسكري (مرجع سابق).

(١٠) الشعر الشعبي وتاريخ حضرموت العسكري، (مرجع سابق) نقلا عن: المعلم عبد الحق، محمد عبد القادر بامطرف، الطبعة الثانية، دار الهمداني للطباعة والنشر، عدن، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ١٩٨٣م.

(١١) الخطاب، هرمان باري، ترجمة محمد أسيداه، مجلة نوافذ، العدد ٣٤، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المملكة العربية السعودية ذو القعدة ١٤٢٦هـ - سبتمبر ٢٠٠٥م، ص ٩١.

(١٢) الشعر الشعبي وتاريخ حضرموت العسكري (مرجع سابق).

(١٣) يمكن التذكير هنا بقصيدة (الأرض الياب) للشاعر الإنجليزي ت. س. إليوت التي قالها بعد الحرب العالمية الأولى..

(١٤) ينظر جماليات التحليل الثقافي، ص ٦٨.

(١٥) ينظر نفسه، ص ٧٠.

(١٦) في الأدب المسرحي، د. عبد الرحمن عبد الله بكير، الطبعة الأولى، سلسلة كتاب حضرموت ١٩، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، حضرموت، الجمهورية اليمنية ٢٩١٨م، ص ٦٠.

(١٧) جماليات التحليل الثقافي، ص ١٢٥.

(١٨) نعتذر عن ذكر الأسماء لما يسببه ذلك من حرج وجرح للمشاعر.

(١٩) ينظر المكان العدائي وهروب الشخصية، دراسة نصية لرواية (القانون) لعبد الحفيظ الشمري، كوثر محمد أحمد القاضي، مجلة الآداب، دورية علمية محكمة تصدر عن جامعة الملك سعود، المجلد ٢٦، لعدد ٢، الرياض، المملكة العربية السعودية مايو ٢٠١٤م - جمادى الآخرة ١٤٣٥هـ، ص ٥٠.

(٢٠) ينظر بنية الرحلة في القصيدة الجاهلية، الأسطورة والرمز، د. عمر بن عبد العزيز السيف، الطبعة الأولى، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان ٢٠٠٩م، ص ٣٤.

(٢١) صورة السلاح في الأدب الشعبي الحضرمي، د. ماهر سعيد بن دهري (بحث مخطوط) نقلا عن ديوان دموع العشاق للشاعر حسين أبي بكر المحضر، ١٩٦٥م، ص ١٧٩.

(٢٢) صورة السلاح في الأدب الشعبي الحضرمي (مرجع سابق) نقلا عن: ديوان حداد بن حسن الكاف، ١/ ٣٦٢-٣٦٣.

ألفاظ خاصة بالجنية الحضرية



ملخص البحث: هذا البحث دراسة تحليلية مقارنة لبعض الألفاظ المتعلقة بالخنجر الحضري (الجنية الحضرية)، في محاولة لتوثيق هذه المفردات الخاصة، المتعلقة بصناعة واقتناء هذا السلاح في حضرموت، موضحاً أنواع الخناجر (الجناي)، معرجاً إلى أهميتها الاجتماعية، محاولاً ربطها بالأمثال الشعبية المحلية، ومقارنتها قدر الإمكان بنظائرها في اليمن وعمان، وجمعها في قالب واحد، للتسهيل على الباحثين والمهتمين بهذا الجانب، معتمداً على الروايات الشفهية لصانع الجناي في حضرموت، والأبحاث المنشورة بهذا الصدد.

وفي البصرة بالعراق، وكان أشهرها على الإطلاق السيوف المصنوعة في اليمن (عامر: ١٥٣).

ويمكن من خلال هذا المبحث رصد بعض الألفاظ الخاصة بهذا الصناعة في حضرموت دون غيرها؛ لاختلاف المسميات بينها وبين مناطق أخرى من اليمن على النحو الآتي:

١ - جنيّة، وجمعها: جَنَابِي: الخنجر، المتكوّن من ثلاثة أجزاء: الرأس (المقبض)، الشفرة الحادة، والغمد. ويعتقد البعض أن هذا الاسم مشتق من كيفية لبسها؛ حيث ترتبط بحزام جلدي بشكل مائل في الجنب الأيمن لحاملها (بن عقيل ٢٠١٩: ٢١)، وطريقة لبس الجنية بالشكل الجانبي المائل ما زال عادةً ساريةً حتى يومنا هذا في مناطق الهضبة الجنوبية من قبائل نوح وسيبان وغيرها من قبائل

المكلا، كما تظهر الرسومات الصخرية من وادي دوعن أشخاصاً يحملون خناجر وسيوفاً تؤرخ لفترات الألف الأول قبل الميلاد، واستمر ظهور الخنجر في التماثيل في حضارات جنوب الجزيرة العربية بعد ذلك، كتتمثال من العهد السبئي بالمتحف الوطني بصنعاء، يعود بتاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد (بركات ٢٠٠٣: ٩٠٥)، في اتصال حضاري متواصل إلى يومنا هذا. ولا يمكن عزل صناعة الخناجر عن صناعة السيوف فهما من الصناعات المعدنية، ولم تقتصر صناعة الأسلحة على منطقة حضرموت فقط، بل جاءت في ثقافة شاملة لمناطق مختلفة من اليمن والجزيرة العربية وحتى بقية مناطق الشرق الأدنى القديم؛ حيث صنعت السيوف بمكة ونجد بوسط الجزيرة العربية، وفي أريحا بفلسطين،



رياض باكر موم*

تعود أقدم الأدلة الأثرية على استخدام الإنسان للسلاح الأبيض في حضرموت إلى الألف الثالث قبل الميلاد وبداية الألف الثاني قبل الميلاد (فوكس ١٩٩٩: ٣٣) عندما عثر علماء الآثار في منطقة الهضبة الجنوبية (الجلول) على شواهد قبور نُحِتَت عليها صور لمحاربين يتمنطقون الخناجر (صورة ١)، وهذه الشواهد - التي عثر عليها في وادي المحمديين - محفوظة حالياً في متحف



صورة رقم (٢): فوكت ١٩٩٩م



صورة رقم (١)، المصدر: فوكت ١٩٩٩م

الشيء العزيز الذي يُحفظ ولا يباع مهما كانت الظروف، وربما للمعنى دلالة على التبعية، فالزهاب يتبع الجنوبية، كما يتبع زهاب الجمل الجمل ويلزمه وهو الأرجح. وفي لهجة حضرموت كما هي كذلك في لهجة اليمن زهاب الشيء، أي: أعدّه وحضره كالطعام ونحوه، ويذكر المثل الحضرمي "السيف يفزع وهو في زهابه" (بامطرف ٢٠٠٨: ١٠١)، ويضرب المثل "شفرة مغولة زهابها من ذهب" للدلالة على المظاهر الخداعة وللشخص الذي يقدره الجهلة المخدوعين وهو على عكس ما يظهر (بامطرف ٢٠٠٨: ٢٣٣).

٣ - جفير: غمد الخنجر، كمسمى آخر للغمد، ويذكر (بامطرف ٢٠٠٨: ١٦١) المثل الحضرمي "أم الصمرمر عند الجفير" بمعنى داهية الدواهي، قصة رجل مدع للشجاعة اعترضه قاطع طريق فطلب منه رمي سلاحه ففعل، فطلب منه رمي خنجره ففعل، وطلب منه نزع الجفير ورميه، فانتفض مدعي الشجاعة رافضاً، وقال: "أم الصمرمر عند الجفير!" ويستدل بالمثل لمن يتمسك بالأشياء الحقيمة بعد أن يفرض بالأشياء الثمينة، وإن كان لنا وجهة نظر أخرى حول المثل، فالجفير مرتبط بالحزام والحزام ما يربط مؤزر الرجل، وعند انحلاله وفكّه تظهر عورته، وحينها تكون فعلاً أم الصمرمر عند الجفير، ولهذه القصة

التقليدي المحلي لقبائل المنطقة، فتتزع من غمدها وترفع عالياً باليد اليمنى في رقصات "الحقة" بأوزانها المتعددة العادية والمثلثة والمربوعة ونحوها، أو في رقصة البرع في شمال اليمن، وتكاد تكون الجنوبية رمزاً وهوية تميز مناطق جنوب الجزيرة العربية ككل في حضرموت واليمن وعمان.

٢ - زهاب: غمد الخنجر، وهو على نوعين: الأول، المصنوع من الخشب المغلف بالجلد الرقيق، والآخر، المصنوع من الفضة. وعادة ما يدون صانع الزهاب عبارات تحتوي على دعاء لمن يلبس الخنجر، على نحو: "ملبوس العافية لمولاه"، واسم صانع الزهاب، بالإضافة إلى تدوين سنة الصنع في منتصف الزهاب، وهناك أسر اشتهرت بصناعة الجنابي على مر السنين، من أهمها عائلة باقطيان، وبقيتهم من صنّاع الجنابي في مدينة الشحر، وفيهم قال الشاعر المحضار:

يا باقطيان،،، صلح لي زهاب الجنبية
إن كنت فنان وصنعتك صنعة غالية
من قال صنعت من؟ أنا باقول صنعة باقطيان
(مرجع)

وفي اللهجة اليمنية الزهاب الرحل بأدواته، وفي المثل: "إذا جاع الجمل رجع على زهابه" (أرياني ١٩٩٦: ٤٠٧)، وربما يعطي المعنى دلالة على

أودية دوعن وعمد ويبعث والمناطق الغربية من حضرموت، وهي الكيفية نفسها المنحوتة في الأنصاب الحجرية، التي تعود بتاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد، الأمر الذي يعطي دلالة على الاستمرارية الحضارية، والتمسك بالموروث المؤغل في القدم.

ويكاد يكون لبس الجنوبية صفة ملازمة للرجولة والصلابة في المجتمع المحلي، وتُعطي دلالة اجتماعية على ذلك، ويدل التمنطق بالجنبية على العزة والقوة، ويذكر المثل الشعبي: "ماجات اليد على الجنوبية" للدلالة على الذي يتعرض للموان وهو متمنطق بجنبيته وكان يده ضلت طريقها إلى سلاحه فلحقت به خسارة كبيرة وذُل وهوان لا يُغتفر (بامطرف ٢٠٠٨: ٣٣٧).

وللجنبية أهمية كبيرة في العرف القبلي بحضرموت وعموم اليمن، فهي تقدم ك"عدالة" وجمعها "عدايل": لإقامة الحق بين المتخاصمين، فيتقدم بها صاحبها لمن يطلبه حقاً كرهن للتفاهم معه، وترهن الجنوبية دون غيرها من الممتلكات كعدايل؛ لأنها كما يقال: "تضوي الحق"، أي أن لها مكانة خاصة عند مالكيها، فلا يتركها مرهونة وقتاً طويلاً، ويسعى إلى فض النزاعات بسرعة، وفك رهانه وإعادة جنبيته، وذلك باب من أبواب الأحكام القبلية بحضرموت له قواعده الخاصة. كما تستخدم الجنوبية في الرقص



٩- **صيفاني**: مسمى آخر للزراف، خاصة بسكان مناطق شمال اليمن، ومعروفة بالنسبة للحضارم.

١٠- **بهاص/ بهيص**: قرن الخنجر

المصنوع من قرون حيوانات أخرى، وهو أقل درجة من الزراف، ولكنه مؤخراً يعد من الأنواع الجيدة بعد انتشار الجنابي "الصيني"، أو الجنابي البلاستيك غير الأصلية، وقد انتشرت مؤخراً بشكل ملحوظ، وربما للفظّة علاقة ما باللّمعان والبريق، ففي لهجة حضرموت يههّص الشيء، أي يصدر بريقاً ولّمعاناً. ويرد في اللهجة اليمنية البهس بالسّين بمعنى الاهتراء والتفكك، فتبهّسس الثوب، أي: اهترأ وتهلّل (الأرياني ١٩٩٦: ٨٩).

١١- **عاج**: قرن الخنجر المصنوع من سنّ الفيل، وكان في السابق ينافس نوع الزراف في الرغبة، ويرغبه أهل المدن وسلاطين حضرموت وحاشيتهم، ويؤنّ بالذهب الخالص وذلك على عكس سكان البوادي الذين لا يرغبون في قرن العاج. (بن عقيل ١٨: ٢٠٠٩).

١٢- **ظلف/ خف**: نوع من قرون الخناجر المصنوعة من أطراف الحيوانات، ويكون ذا لون أسود، وهو أقل درجة ورغبة من الأنواع السابقة، وهنا يمكن الإشارة إلى قضية تفضيل العرب لأجزاء معينة من الحيوان، فالقرن أعلى الرأس، وله مكانة تختلف عن القدم، وقول الحطئية في المدح:

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم
فمن يسوي بأنف الناقة الذنب

ويمكن أيضاً ربط قضية وسوم الجمال، ومواضع الوسم عند العرب بالمكانة الاجتماعية للقبيلة التابعة لها الجمال الموسومة، فالوسم بالرأس قد يعطي دلالة على أهمية أكبر من الوسم بالرقبة أو الفخذ، وهي

المنتشرة مؤخراً بين أوساط الشباب. ومن أشهر صانعي العابدي في وادي دوعن الصائغ محمد سعيد العماري من ليسر.

٦- **عكف**: الغمد المصنوع من الخشب، واللفظة ربّما لها دلالة على الأعوجاج أو الميلان، وترد لفظة العكفة في اللهجة اليمنية بمعنى الملازمة من الاعتكاف (الأرياني ١٩٩٦: ٦٤٨).

٧- **قرن**: رأس الخنجر (المقبض)، الجزء الأعلى من الجنيبة، والأعلى ثمناً، وهو الجزء الظاهر من الخنجر، وبه يفاخر مالكه، وعادة ما يكون بحجم قبضة اليد، وهو على أنواع وأشكال تختلف في ألوانها ومواد صنعها وأثمانها، ومن أهمها:



٨- **زراف**: قرن الخنجر المصنوع من قرن حيوان وحيد القرن، ويعدّ أفضل الأنواع في حضرموت، والأعلى ثمناً، ويرغبه الناس ويفضّلونه على بقية الأنواع، ويرد هذا الجذر في النقوش السبئية بمعنى مجموعة من الرجال، كوكبة (بيستون ١٩٨٢: ١٧٠)، وربما للفظّة علاقة باللون لا أكثر.

قصة مشابهة في شمال اليمن يذكرها (بركات ٢٠٠٣: ٩١٠) على لسان رافض التسليم قائلاً: "أما الخنفق لو سار راسي"، وفي عمان يسمّى القطاعة، وغالباً ما يكون من الجلد المنقوش بأسلاك من الفضة أو صفائح الفضة المنقوشة برسومات بدئية (ه.ع.ص.ح ٢٠٠٩: ١٩٢).

٤- **ميان**: غمد الخنجر المصنوع من الفضة غير المنحني، بشكل الأغمد الجلدية نفسها.

٥- **عابدي**: غمد الخنجر المصنوع من الفضة على شكل حرف اللام باللغة العربية، ويتكون من صلتين: القطعة العلوية، وتسمّى صدرًا، والقطعة السفلى المنحنية، والمسمّاة +++، كما تسمّى القطعة الأخيرة أيضاً حذوة

في النوع الذي يفصل بين القطعتين جلد، وليس فضة في كامل الغمد كما هو في العابدي، وهذا النوع من الأغمد يحتم على صاحبه لبس الجنيبة بطريقة عمودية، ويمنع بذلك الميلان المتعارف عليه في طريقة لبس الجنيبة عند الحضارم، وهي طريقة لبس الجنيبة عند قبائل وادي وصحراء حضرموت، والطريقة



نموذج من نصال الجنابي الحضرمية



جنبيه زراف يظهر فيها الرش والشمس



جنبيه زراف بجفير عكف

جَذُرَ هذه اللفظة في النقوش السبئية بمعنى: "حمل سلاحاً" (بيستون ١٩٨٢: ٧١).

١٩- نك: مادة من اللبّان البدويّ لسدّ القرن من أسفل، أعلى النصلة من الجهة السفلية للقرن، واللفظة رُبّما لها علاقةٌ بالمَصْنَعِ فيلوكُ الشّيءِ يَمُصُّهُ في لهجة بادية حضرموت. فربما تعني اسماً للمادة المعجونة.

٢٠- شمس: وجمعها شمس، وهي الأشكال الدائرية التي تزيّن الرأس، وهي ما يثبت القرن بالنصلة، ورُبّما لللفظة علاقةٌ بالشكل الشمسيّ الدائري، والشّيء الجدير بالملاحظة هو كيفية لفظ البادية لحروفها. وتُسمّى هذه القطع "حرف" في شمال اليمن (بركات ٢٠٠٣: ٩٠٦).

٢١- مشخ: وجمعها مشاخص، وهي الأشكال الدائرية التي تزيّن الرأس، وتتماز عن الشمس بكبر حجمها، والمَشْخُصُ في اللهجة اليمنية من حُلِيّ النِّسَاءِ الذهبية، ذو شكل دائري تلبسه المرأة (الأرياني ١٩٩٦: ٤٧٠).

٢٢- حظار: الحزام الدائري المصنوع من الفضة، الذي يفصل القرن عن النصلة. ويسمى مبسّم في شمال اليمن (بركات ٢٠٠٣: ٩٠٦).

٢٣- حنّاق: حزام يلفّ وسط القرن، مصنوع من الذهب ونحوه كزينة لمنتصف القرن. واللفظة رُبّما تدلّ على الهيئة والكيفية التي تكون عليها من حال القرن فيلف وسطه بالكامل.

٢٤- بطانة: قطعة فضية كاملة تغطي الرأس (القرن) من الخلف.

٢٥- كثوف: الزينة الذهبية ونحوها المتفرعة من المشخص.

٢٦- درمة/ كرده: الجنبيه المُنسَّاء من أعلى الرأس، ولها دلالة على استحالة أخذها من يد صاحبها عند العِراك؛ لصعوبة الإمساك بها، وفي العُرفِ

قضايا متروكة للدراسة، وظاهرة تعدّد مسميات الخناجر وفقاً لجودتها ونوعية المادة المصنوعة منها موجودة في منطقة عُمان أيضاً، فهناك الخنجر السعيد، والنزواني، والصحاري، والصوري (هـ.ع. ص. ١٩٢: ٢٠٠٩).

١٣- نصلة: وجمعها نصال، الشفرة الحديدية، وهي الجزء السفلي الحاد من الخنجر، ولا تقل أهمية عند الحضرمي من القرن، وهي الأخرى على أنواع وأشكال مختلفة، من أهمها:

١٤- قديمي: من أنواع النصال، وجمعها قديميات، نصلة بحجم متوسط، ووزن خفيف.

١٥- قصبي: من أنواع النصال، وجمعها قصابي، وهي النوع المرغوب فيه، والأكثر شيوعاً في حضرموت، ولها وزن أكبر من النوع المسمى قديمي.

١٦- قبلي: من أنواع النصال، وجمعها قبالي، وتتميز بكبر حجمها مقارنة ببقية النصال.

١٧- حسيني: من أنواع النصال القصبي، يذكّر ابن عقيل (٢٠٩: ١٤) أن سبب التسمية نسبةً إلى تاجر من السادة الحسينيين، الذي كان يجلب هذا النوع من الهند. ويتفرع عن هذا النوع نوع آخر يسمى حسيني حدادي وهو التقليد المحلي للنوع المسمى حسيني.

والنصلة في اللهجة اليمنية تأتي من الانفكاك والانفصال أي ما ينفصل جزء عن بقية الأجزاء (أرياني ١٩٩٦: ٨٦٧)، والنصلة هي التي تنفصل عن الغمد عند الاستخدام، ويمكن أن يعبر عن الجنبيه كاملة بالنصلة كما في المثل الشعبي "نصلة بيد فسل" (بامطرف ٢٠٠٨: ٣٧٥) الذي يضرب لمن يملك القوة ولا يستطيع استخدامها، والفسل هو الضعيف الجبان.

١٨- حراث: العمود الحديدي الذي يدخل في القرن ليربطه بالنصلة. ويرد



المصادر والمراجع:

- (١) الأرياني، مطهر، المعجم اليمني في اللغة والتراث، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٦م.
 - (٢) المقحفي، إبراهيم أحمد، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء: دار الكلمة، ٢٠٠٢م.
 - (٣) باكرموم، رياض أحمد، الحياة من منظور الشخص الحضرمي، (مهن وحرف من حضرموت) كتيب خاص بفعالية تيدكس مكل، ٢٠١٥م.
 - (٤) بامطرف، محمد عبد القادر، معجم الأمثال والاصطلاحات العامية المتداولة في حضرموت، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا. طبعة برعاية مؤسسة العون للتنمية. توزيع معرض الحياة الدائم، ٢٠٠٨م.
 - (٥) بركات، أحمد قائد، الجنبية في: الموسوعة اليمنية، (تحرير: العواضي، حميد مطيع. وآخرون). مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ١٩٠٤-٩١٠، ٢٠٠٣م.
 - (٦) بن عقيل، عبدالرحمن، الجنبابي الحضرمية، مجلة أفاق التراث الشعبي، العدد الثاني (٩-٢٦)، ٢٠٠٩م.
 - (٧) بيسستون، الفريد، ريكانز، جاك، الغول، محمود و موللر، والتر، ١٩٨٢م.
 - (٨) فوكت، يوركهارد، المعجم السبئي، منشورات جامعة صنعاء، بيروت: دار نشر ريات بيترز- لوفان الجديدة، مكتبة لبنان. ١٩٩٩م.
 - (٩) نهاية ما قبل التاريخ في حضرموت (٣٠-٣٣)، في كتاب اليمن في بلاد ملكة سبأ ترجمة بدر الدين عرودي، معهد العالم العربي.
 - (١٠) عامر، جمال سليمان علي، الحرف والصناعات اليدوية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، رسالة ماجستير غير منشورة من المعهد العالي لحضارات الشرق الأدنى القديم، قسم شبه الجزيرة العربية، جامعة الزقازيق، جمهورية مصر العربية.
 - هـ.غ.ص.ح، ٢٠٠٩م.
 - (١١) الحرف العماني، دراسة توثيقية، تنفيذ وإصدار الهيئة العامة للصناعات الحرفية / سلطنة عمان، ط ١.
 - المراجع الشفوية:
 - (١) باقطيان، علي عبدالله حمد: مقابلة شخصية.
 - (٢) باكرموم، أحمد سعيد.
 - الإختصارات:
 - هـ.ع.ص.ح : الهيئة العامة للصناعات الحرفية بسلطنة عمان.
- * مختص في النقوش القديمة والآثار- الهيئة العامة للآثار والمتاحف- المكلا/ حضرموت.

الْقَبْلِي أَنْ انتزاع الجنبية من صاحبها يُعَدُّ فِعْلًا يُلْحَقُ بِصَاحِبِهَا الْعَارُ.

٢٧- مَرَكْنَه: الجنبية ذات القرن الكبير المُنْتَهِي بِحَوَافٍ حَادَّةٍ، وَهَذَا النَوْعُ شَبِيهٌ بِالْجَنْبِيَّةِ فِي شَمَالِ الْيَمَنِ، وَهِيَ صِفَةُ أَيِّ الْجَنْبِيَّةِ ذَاتِ الْأَرْكَانِ وَالزَّوَانِدِ فِي الْقَرْنِ.

٢٨- هِنْدِي: الجنبية ذات القرن الدائري.

٢٩- رَش: وهو التزيين الذي يتم في قرن الجنبية باستخدام المعادن كالفضة أو النحاس أو الحديد، ويعود اختلاف مواد التزيين إلى اختلاف القدرة المالية للملأ.

٣٠- تَقْرِيش هِنْدِي: وهو زينة قرن الجنبية المتصل بَعْضُهَا بِبَعْضٍ، وَهِيَ ذَاتُ شَكْلٍ جَمِيلٍ.

٣١- ضِرْعُه: وهي الأوساخ الناتجة عن الاستخدام والإمسك بالجنبية وتكون على مقبضها وعلى ظاهر غمدتها وَحَوْلَ الزينة التي تزيينها، وهي محببة عند الحضارم وتزيد من قيمة الجنبية لأنها تدل على القدم والأصالة.

٣٢- شَذَر: الجزء الخلفي الذي يتم به تثبيت الشمس والمشاحص، وهو شبيه بالواشر.

٣٣- تصدير: الزخرفة الموجودة أعلى النصلة أسفل القرن مباشرة، وعادة ما تكون خطوطاً متقاطعة.

٣٤- ذَلِق/ دَلِق: أول النصلة، الجزء الحاد المدبب منها، وهي لفظة ترتبط بجميع أنواع الأسلحة الحديدية، كالسكين والسيوف ونحوهما، ولا تقتصر على الجنبية فقط.

٣٥- سَبَيْتَه: الحزام، وفي عُمان يُسَمَّى نِطَاقًا (هـ.ع.ص.ح ٢٠٠٩: ١٩٢)، والنطاق في بادية حضرموت يُطْلَقُ على حزام المرأة المصنوع من الفضة.



الجنبية الهندي



التقريش الهندي

التحصينات العسكرية في هضبة ووادي حضرموت



عمارة القرف والطين "دراسة مقارنة"

مدخل : تعد ديمومة الوجود من أهم المسائل المعنية في حياة البشرية، وفي صراع الإنسان مع أخيه الإنسان، استخدم عناصر في تأمين نفسه تارة وفي نزع نصر ولو مؤقتاً تارة أخرى، وبقيت حكايات في ذاكرة التاريخ، وشواهد مادية كالحصون والقلاع التي شيدها لتكون شاهداً أمثل على قصة هذا الصراع الوجودي بين بني الإنسان، فبدأت حكاية بناء الحصون لتأمين أهم ضرورة من ضرورات حياته على هذه الأرض، وهي الأمن والأمان؛ لينعم في ظلها بنعمة الاستقرار والرخاء. وقد بدأت عمليات البناء هذه مع بدايات تحضره واستقراره على الأرض التي استوطنها، وقد عرفت الحضارات الإنسانية القديمة الحصون والقلاع، وهناك العديد من الآثار والأوابد الدالة على ذلك العطاء الإنساني، فقد عرفها العرب قبل الإسلام كما عرفها غيرهم من الأمم القديمة.

بتقدم السنين تولدت الأفكار، وتطورت الأدوات، وقدم الإنسان نماذج رائعة من التحصينات، ولعل الإنسان في حضرموت كان جزءاً مهماً من هذا العمل الإنساني، فقدم للبشرية حصوناً وقلاعاً هي في ذاتها أعمال فنية قدّمها مصممو التحصينات جنباً إلى جنب مع البنائين والجرفيين، فتركوا لنا مدناً ومصانع وقلاعاً وحصوناً لا يرجع فقط إلى إقامتها كتحصينات وإنما هي تحصينات ذات فخامة كاملة السمات (في التصميم والإنشاء على السواء)، معتمدين على طوبى الطين والقرف، فضلاً عن قابليتهم على خلق تفصيلات مغايرة في الاتجاه والشكل.

العمارة الطينية ألاً وهي عمارة القرف. يمكن تلخيص أسباب اختيار هذين النمطين من العمارة الحضرمية في الأسباب الآتية:

- ١- يعد الحصان من الحصون المميزة المحافظة على طابعها المعماري داخلياً وخارجياً.
- ٢- حاجة المجتمع والمدنية للحفاظ على هذه المباني الأثرية والتاريخية.
- ٣- تعتبر عمارة الطين والقرف في منطقة وادي وهضبة حضرموت إرثاً تقليدياً يجب الحفاظ عليه.
- ٤- الاستمرار في استخدام المتواصل للمواد

تنقسم حضرموت جغرافياً إلى ساحل ووادي، وصحراء وهضبة، وفي كل نوع تختلف المساكن من حيث طرق البناء ومواده، باختلاف الظروف الجغرافية (وادي - هضبة)، وسعة المساحات المتوفرة، والظروف المناخية، ونمط الحياة الاقتصادية (بدو - حضر).

اختار الباحث نموذجين للدراسة؛ أحدهما من وادي حضرموت، المعروف والمشهور بنمطه المعماري الطيني، والآخر من هضبة حضرموت؛ حيث الأرض البكر للدراسات المتعمقة، مع تميزها بنمط معماري، مغاير عن



أحمد صالح الرباكي*



تحسين طرّقه وحمايتها من خطر الهجمات المعادية؛ ولهذا الغرض شُيّد سورٌ دِفَاعِيٌّ عند نقطة التقاء الطرق التجارية المارةً بوادي حجر، وكان هذا السور بمنزلة صِمَامٍ أَمَانِ السُّوْطِ (٧) .

المبحث الأول:

تطور البناء في هضبة ووادي حضرموت

أولاً: عمارة القرف (هضبة حضرموت):

الهضبة الحضرية أو ما تعرف باسم الجول عبارة عن سهول صخرية، ترتفع إلى ما يقارب ألف متر عن سطح البحر، وتتميّز بفقدانها التام لمصادر المياه، وتعتمد إمكانيّة العيش فيها على قدرة سُكَّانِها على تجميع مياه الأمطار الموسميّة وتخزينها لأطول فترة زمنيّة مُمكنة؛ حيث يتمّ تجميعها عن طريق توجيهها إلى أحواض مفتوحة "الكريف ج- كرفان"، وأخرى صغيرة حُفِرَتْ تحت سطح الأرض "حسو - إحساء" (٨) .

ومثل أي مكان في الأرض فإن الظروف البيئية، والعوامل الطبيعية تؤثر تأثيراً مباشراً على طبيعة المباني والمنشآت السكنية، وتُحدّد المواد المستعملة في عملية البناء، ولذا فإن مساكن الهضبة الحضرية تختلف اختلافاً كبيراً عن تلك العمارة الموجودة في وادي حضرموت وفُرُوعِها المعروفة بالعمارة الطينية. وتتميّز الهضبة الحضرية بقلّة سُكَّانِها، وسعة المساحات؛ بسبب فقدان مصادر مياه دائمة (٩) .

وتقع منطقة الدراسة في الهضبة الجنوبية بين واديي عمد ودوعن، وتسمّى بريدة الدين، أو الضليعة. والريدة مصطلح جغرافي، وتُنسَبُ إلى قبيلة الدين، والنسبة إليها الديني. والضليعة هو الاسم الرسمي لها كمديريّة من مديريات محافظة حضرموت، نسبةً إلى شكل العروق الأرضية، التي تظهر على السطح، وتُعرَفُ بالأضلاع، وتُقسَمُ مدينة

الزراعية، تتخلّلها مجاري السيول الهابطة إلى أسفل الجول، ولهذا السبب نجد كثيراً من قبائل البدو الحضرية تتخذها موطناً لها، وتسمّيها ريدة وجمعها (ريد) (بكسر الراء وفتح الياء التحتية المثناة بعدها دال) (٣) .

أما الهضبة الجنوبية الحضرية - منطقة الدراسة - فقد وردت في نقوش المسند بلفظة (س وط) (نقش النصر (٣٩٤٥/١٣ RES))، وهي تسمية تدلّ على منطقة الجول الجنوبي لحضرموت (٤) ، ولا تزال هذه الكلمة متداولة لدى سكان حضرموت. ويمتدّ الجول الجنوبي من الطرف الجنوبي الشرقي لهضبة اليمن الشرقية في الغرب حتى رأس فرتك وخليج القمر شرقاً، بمسافة تقدّر بأكثر من ٢٥٠ ميلاً، يحدّها من الشمال وادي حضرموت، والأودية والمرتفعات الساحلية من الجنوب، ويبلغ متوسط ارتفاعاته في الغرب حوالي ١٢٣٠ متراً، ويصل في الشرق حوالي ٦١٥ متراً، وتتخلّلها الكتل الجبلية، التي تكون أكثر ارتفاعاً منها، مثل كور سيبان (٥) ، وعلى مرتفع الجول تقع قرى وأراض واسعة، تمتدّ من أعلى وادي حجر في الجنوب، شاملة قرى لبنة بارشيد، ثم تتجّه نحو أراضي الجول شمالاً؛ لتضمّ منطقة ريدة الدين بأجمعها، وأرض الخامعة والقثم وغيرها (٦) .

وتأتي أهمية الموقع الجغرافي للجول الجنوبي في أنّه يمثل حداً طبيعياً فاصلاً، يقسم أراضي حضرموت إلى منطقتين: وادي، وساحل. ومن أجل تسهيل عملية التبادل التجاري سخر ملوك حضرموت إمكانيّاتهم، وبذلوا جهوداً جبّارة في شقّ العديد من الطرق التجارية المارةً بالجول الجنوبي من ميناء قنا إلى العاصمة شبوة ومختلف المناطق الحضرية، لذا كان للجول أهمية خاصة جداً عندهم، فعملوا على

المحليّة التقليديّة يدلّ على قابليّة استمرار البناء على الطابع المحليّ وكيفية التعامل مع هذه المواد.

٥ - المحافظة على المباني الجيدة، وصيانتها بصورة مستمرة.

ولهذا يجب على الباحثين أن يعمّقوا دراساتهم وأبحاثهم على هذا النمط من العمارة الحضرية، وهي عمارة القرف السائد في هضبة حضرموت. ولعلّ أول من أشار إلى أهمية ذلك المعماريّة الدكتور سلمي سمر الدملوجي في كثير من مؤلفاتها ومقالاتها، وكان آخرها كتابها الموسوم بـ (عمارة البيئة - الطين - الحجر - القرف ٢٠١١م)، والهضبة الحضرية، وهي إقليم الهضبة الشرقية لليمن، وتعرف باسم الجول - وجمعها جيلان لدى سكان حضرموت -، ويبلغ ارتفاعها ما بين ١٥٠٠ متر إلى ٢٠٠٠ متر، وتزيد عنها في بعض الكتل الجبلية، وأمطارها قليلة، وتختلف من عام لآخر (١) ، وهي كتلة بذاتها تفصلها عن الهضبة الغربية من اليمن رملة السبعين، وتربط بينهما سلسلة جبال الكور، وتتألف الهضبة الشرقية - هضبة حضرموت - من هضبتين: هضبة شمالية، وهضبة جنوبية، وبينهما ثنية مقعرة، يجري فيها وادي حضرموت من الغرب إلى الشرق (٢) .

فالهضبة الحضرية الشمالية وهي أقل انكساراً ووعورة من الهضبة الجنوبية؛ تبدأ من رملة السبعين غرباً حتى ظفار شرقاً، وهو أكثر امتداداً من الجول الجنوبي لحضرموت، ويُقدّر امتداده بحوالي ٥٠٠ ميل، وتنحدر من الجول الشمالي أودية تتجّه شمالاً نحو الصحراء، مثل وادي رماء، ووادي حبروت، وأودية أخرى تتجه إلى وادي حضرموت جنوباً، مثل وادي هينن، ووادي سر، ووادي الذهب، وغيرها. وتوجد على سطح هذا الجول مساحة من الأرض

خريطة وادي حضرموت



أكثر أُرْيَحِيَّةً، وأهمل ذكرها مسـؤولو الآثار وحماية المباني التاريخية؛ فقد تداعتُ جُدُرُهَا، وسقطتْ أَسْقُفُهَا، وعبثتْ عوامِلُ التَّعَرِّيَةِ بِمَا بَقِيَ. هذه المباني المنتشرة في كل البقاع تطالبُ وهي في رَمَقِهَا الأخيرِ مَنْ يُحَافِظُ عليها بالاهتمام بها؛ بِوَصْفِهَا كَنَزاً قَوْمِيّاً، وصفحاتٍ مِنْ تَارِيخٍ مَجِيدٍ.

ثانياً: عمارة الطين (وادي حضرموت):

يمكنُ تحديدُ ثلاثِ مراحلٍ لِتَطَوُّرِ مَنْ البناءِ في حضرموت بشكل عام، وهي المرحلة القديمة، ومرحلة العصور المتوسطة، والعصور الحديثة المتأخرة. ولقد كان من خصائص البناء في كلِّ الأوقات، وعلى امتداد ثلاثة آلاف سنةٍ لبناء المساكن (العامة) استخدامُ اللَّبْنِ كَمَادَةٍ لِلْبِنَاءِ، الذي يتميزُ بسهولة تجهيزه، وقسـوئِهِ الكافية، وهو متميـزٌ بِعَكْسِهِ البُرُودَةِ والحرارة، مع أخذِ الاعتبارِ لِلْمَنَاحِ الحارِّ للمنطقة. والمستوطناتُ السَّكْنِيَّةُ عادةً مَا تَمُتَّدُ في وسطِ الوادي، وتُحَاطُ بِهَا الأراضِي الزراعية وقنـواتُ الرِّيِّ. وتتوزعُ في المستوطنة المجموعاتُ الرئيسةُ: المعابدُ، ومساكن الأعيان، وعامةُ الناسِ (١٢).

أما الحصون والقلاع فتُبنى على

صفائحٍ حجريَّةٍ كَلْسِيَّةٍ شَبِهُ صلبة، بُنِيَتْ اللَّوْنُ غالباً، وذاتُ ألوانٍ متعدِّدة، تُسْتَخْرَجُ مِنْ أَمَاكِنَ عِدَّةٍ فِي المنطقة، وتُرتَّصُ فوق بعضها البعض بِخَلِيطٍ طِينِيٍّ مَاسِكٍ، يَتِمُّ خَلْطُهُ بِ (الذِياد والتبل)، وهما مِنْ مَخْلَقَاتِ المحاصيل الزراعية، مثل حبوب الطهف، والقمح؛ لتعطي متانةً، وقوَّةً للمبنى. وأما السَّقُوفُ فتُبنى من مادة (الصروف)، وهي مادةٌ جيريَّةٌ متحرِّرة، تُسْتَخْرَجُ مِنَ الجبال، تُشَبِّهُ الوَاحِ الخشب. وما زال السَّكَّانُ مُحَافِظِينَ على البناءِ بِهَذَا النَّمَطِ ذَاتِهِ (١١).

تتكوَّنُ حُصُونُ الهَضْبَةِ غَالِباً فِي مَخْطَطِهَا العامِّ مِنْ مَبَانٍ مُرَبَّعَةِ الشَّكْلِ، أطوالُ أضلاعِها تتراوحُ مِنْ ٥ إلى ٩ أمتار، وارتفاعها مِنْ ١٠ إلى ٢٥ متراً، وَيُسْتَخْدَمُ عادةً الْجُزْءُ الْأَسْفَلُ مِنَ الحصن - الذي قد يتجاوز الأربعة الأدوار - مكاناً لِخَزَنِ الحبوب، والطعام، والمواشي، والطوابق العلوية للسَّكَنِ المؤقتِ في أَثْنَاءِ المعاركِ القبلية. وَقَبْلَ مُرَبَّعَةِ الشَّكْلِ (بِعَرَضٍ مَثْرَيْنِ، وطول ثلاثة أمتار تقريباً) في سطح الحصن.

مِنَاتُ الحُصُونِ والمباني القديمة، التي يتجاوز عُمْرُ بعضها أَكْثَرَ مِنْ ٥٠٠ سنة، وهي منتشرةٌ فِي قَرْىِ رِيْدَةِ الدِّينِ، وَقَدْ بَاتَتْ مُهَدَّدةً بِالسَّقُوطِ والانْهِيَارِ؛ فَقَدْ هَجَرَهَا أَهْلُهَا إِلَى بِيوتِ

الضليعة إلى عدة أضلاع.

بُنِيَتْ القلاع المحصنة المستقلة نظراً للظروف السياسية والاجتماعية القائمة في السنوات الماضية. وتتركز المباني السكنية للقرية حول هذه التحصينات، وهي مَبَانٍ صغيرة ذات طابق واحد أو طابقين، بها أَفْنِيَّةٌ متواضعة، ويعدُّ الحصنُ رَمْزاً للقبيلة، ومصدرَ فخر لها، وتشاركُ جميعُ أَسْرُ القبيلة الواحدة في بِنَاءِ الحصن بِمَالِهَا، وَجُهْدِ رِجَالِهَا، وَالْحِصْنَ يُعَدُّ أَيْضاً مَكَاناً لِحِفْظِ احتياطيِّ موادِّ المعيشة من الحبوب وغيرها، وأدوات العمل (١٠).

وتتميـزُ الحصونُ بِأَنْظَمَتِهَا الدِّفاعِيَّةِ فِي شَكْلِهَا مِنْ خِلالِ الأسوار العالية، والفتحات الضيقة، والأركان المدوّرة، وغُرْفِهَا الصغيرة. أَوْ فِي وَظِيفَتِهَا. فإلى جانب الحماية تُعَدُّ أَيْضاً مَكَاناً لِحِفْظِ احتياطيِّ موادِّ المعيشة من الحبوب لأعوامٍ طويلة. وتُسْتَخْدَمُ أَرْبَعَةُ طَوَابِقٍ مِنَ الحصن لِحِفْظِ المَوْنِ، والطوابقُ التي تَلِيهَا لِلسَّكَنِ، وتتميـزُ بِمَخْطَطَاتِهَا الكبيرة، التي قد يصلُ طُولُ واجهاتها إلى ١٠ أمتار.

وتتميـزُ مَبَانِي الهَضْبَةِ الحضرمية بِنَمَطٍ معماريٍّ فريدٍ. فالمادة الأساسية التي تُبنى بها منازلُ مَدِيرِيَّةِ الضليعة هي (القرفا) - بفتح القاف والراء -، وهي



استخدام مواد معينة في عملية البناء، وتكسبية الجدران، خاصة المواد المتوفرة في البيئة المحيطة، مثل: اللبن، والآجر، والنورة، وغيرها، وكما هو معلوم أن المباني الحجرية قليلة بحضرموت، ولا يستعمل الحجر إلا في أساسات البيوت نظراً لكلفتها العالية، وإلى عدم مواءمتها للبيئة والمناخ السائد في المنطقة، فوادي حضرموت يمتد نحو ١٥٠ كم في اتجاه شرقي غربي، ويتراوح ارتفاعه ما بين (٥٠ - ٦٥٠ م) عن سطح البحر.

أما المناخ فهو جاف صيفاً يميل إلى البرودة شتاءً، وتبرز سمات المناخ القاري من خلال المدى الحراري اليومي والسنوي؛ إذ يصل أعلى متوسط لدرجة الحرارة صيفاً إلى نحو (٣٥)، ولا يزيد متوسطها على (١٧) شتاءً.

وأما الأمطار فهي شحيحة، والرطوبة النسبية منخفضة ما بين (٤٠ - ٦٥)٪، والرياح شمالية، وشمالية شرقية شتاءً، وجنوبية غربية صيفاً، وبهذا الموجز المناخي نرى الوادي يقع في بيئة شبه صحراوية (١٦).

الإله في المعابد. وفي القرن الرابع والثالث قبل الميلاد تقريباً ظهرت في حضرموت البنايات الضخمة، المبنية على أسس وأرصعة حجرية؛ فقد كان الحجر يُقطع قطعاً، بعضها كبيرة استُخدمت في البنايات الكبيرة والمهمة، وبعضها الآخر قطع صغيرة لبيوت العامة، ولتثبيت الأحجار، ولصقها، بعضها فوق بعض، كما استُخدم الجص والملاط الكلسي (١٤).

وقد لاحظ الآثاريون أن حضرموت تحتوي على فن معماري، يستعمل الحجر والخشب واللبن النقي والنقوش ومواد أخرى متميزة. وهذا يؤكد أن هناك حرفيين يحسنون نحت الحجر، ويعملون الخشب في البناء، ويعرفون اللبن النقي منذ أمد بعيد. وكذلك المشاكل المتأثية من ارتفاع الأبنية، ولذا هي نادرة. المباني جميعها مبنية من الحجارة في حضرموت، كحصن العر، كما نراها أيضاً في حصن باهزيل بوادي بن علي، وبعض الأبنية بوادي عدم وغير ذلك (١٥). لقد فرضت البيئة على المعمار

الصخور المرتفعة؛ للحيلولة دون ظهور الاعتداء المفاجئ، ويبلغ ارتفاع بعضها ثلاثة طوابق. وأما البرج فللمراقبة في الأعلى، وتُبنى به (المشاويف)، وأما المدخل فيرتفع إلى حوالي (٢ - ٣ م) عن سطح الأرض في بعض الحصون، وغالب هذه القلاع مكون من أبعاد كبيرة (٧x٧ م)، وهي تقوم بوظيفتين مزدوجتين: دفاعية، وسكنية. وعلى الرغم من أن كثيراً من هذه المباني خالية من الزينة المعمارية فإنها تمتلك قيمة معمارية مطلقة، وفناً معمارياً خاصاً بها (١٣).

وتختلف نوعية البناء في الماضي بحسب نوعية المبنى المراد بناؤه، وأغلب المباني تتألف من الآتي:

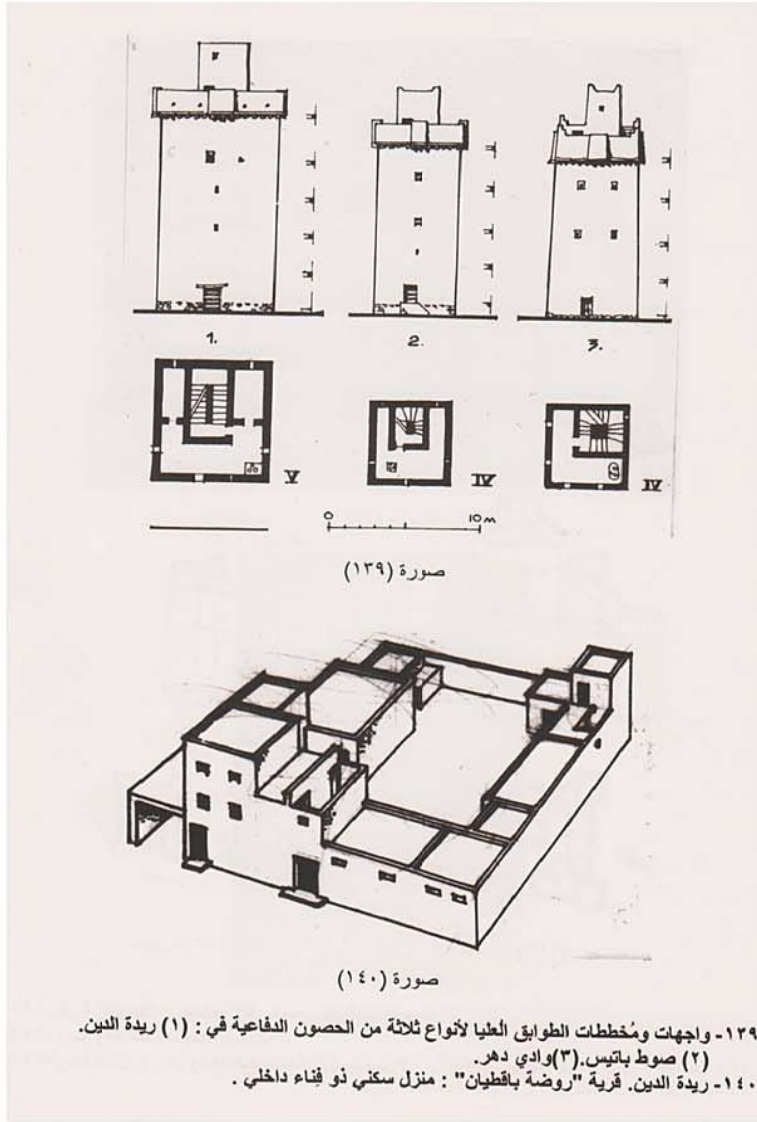
(١) قاعدة حجرية مرتفعة.
(٢) طبقات عليا مؤلفة من هيكل خشبي، ومحشوة باللبن النقي مثلما في (ريون، وجوجة، والغرف، وسونة، ومشغة، وهجرة، ومكينون).

أما الحجر فهو مادة أكثر كلفة من غيرها، ويقتصر وجوده على القواعد، وعلى جدران المقدسات (موضع تمثال

البحث الثاني:

التحصينات العسكرية في هضبة وادي حزموت "نماذج دراسية"

أولاً: حصن بامسدوس:





والأسوار، وكذا ممراتٍ تربطُ
الحصنَ بالساحات العلوية
للأسوار (١٧).
وتتميزُ حصونُ "ريدة
الدين" عن حصون الهضبة
الحضرية بمخططاتها
الكبيرة، فطولُ الواجهات ٨
- ٩ أمتار، وسلاسلها الأرضية
يبلغ طولها ٤ - ٥ أمتار
أمكن من صعود حيوانات
النقل كالحمير إلى الأعلى
وهي محملة، ويتميزُ "حصن

صورة تظهر النتوءات الخشبية
التي تغطي الحصون
ويبنى عليها جدار السطح



البوابة الداخلية المعلقة
وتبدو بعض النوافذ

يعد حصن بامسدوس من
المباني الدفاعية والتحصينات
العسكرية المهمة في هضبة
حضر موت الجنوبية؛ إذ يعود تاريخ
إنشائه إلى القرن العاشر الهجري،
وهو عبارة عن "مصنعة"، تتكوّن
من حصن، وأسوار ملتصقة به، بها
قلاع مدوّرة في الزوايا، وساحة
صغيرة يبلغ عرضها من ٤ - ٥
أمتار، تقع بين الأسوار، تُطلُّ على
غرفة مستطيلة متعامدة على
السور، تُستخدم كمخازن لحفظ
المؤن، وسلاسل داخلية مفتوحة
تصل بين الساحة الداخلية

بامسدوس - مادة البحث" بأن
أماكن خزن المؤن والحبوب تحتلُ
الجزء الأكبر من مساحة الحصون
كغالب حصون الضليعة، ونجدُها
في حصن بامسدوس قد شُغرت
أربعة أدوار، وخُصص الدور الخامس
والأخير للسكنى (١٨).
يكاد حصن بامسدوس أن يكون
الحصن الوحيد في منطقة الهضبة
الجنوبية، الذي يتميز بوجود قلاع
دائرية في أركانه الثلاثة (معاصر)،
حتى أطلق عليه اسمُ (حصن
المعصورة).



صورة تظهر إحدى السقوف



حصن بن غرامة وتبدو البوابة الداخلية وفتحات الدور الثاني والثالث

يعد حصن الدكين من أبرز المعالم الأثرية في مدينة تريم، يقع هذا المبنى على قارة بمنطقة دُمُون، وبالتحديد من الجهة الشرقية لها؛ حيث يقع غالبها في قمم الجبال التي تقع على حدود الديار بين القرى والقبائل، وغالباً ما يكون هناك حصون متقابلة لكلا الطرفين، وتسمى هذه المنطقة التي يقع فيها الحصن منطقة الحرجة بدُمُون . يطل الحصن على الوادي الذي يحتوي على بحر من النخيل، ويحاط به سورٌ بارتفاع ثلاثة أمتار من أجل خروج الساكنين من الحصن بأمان إلى ملاحقه، ويتكوّن المبنى من ثلاثة طوابق، وانهارت جدرانُه؛ وذلك بسبب الإهمال. أنشئَ هذا الحصن في عهد إمارة ابن وملحق (سطح)، وبسبب القدم والأمطار



منظور تخيلي للواجهة الجنوبية والغربية لحصن بن غرامة - عمل المهندس أحمد باطاهر

غرامة اليافعي في عهد إمارات العشائر اليافعية؛ حيث استقر الأمير سالم بن أحمد بن غرامة، وكان يسيطر على المنطقة الواقع فيها حصن الدكين ضمن الحاميات والإمارات اليافعية بتريم، غير أن الأمير عبدالله بن عوض بن غرامة بعد أن احتدم الخلاف بينه وبين عمه الشيخ سالم نقل مقره إلى حافة السوق وبني له حصناً آخر هناك، وانفصل بالحكم عن عمه في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري (١٩).



أعلى وأسفل - حصن بن غرامة - الزخارف الهندسية والنباتية حول موقد ودكة إعداد القهوة في إحدى الغرف



المبحث الثالث: دراسة مقارنة

الرقم	وجه المقارنة	حصن بامسدوس	حصن بن غرامة
١	الموقع	يتوسط المباني السكنية في أرض منبسطة السطح، في منطقة ريدة الدين - الضليعة (هضبة حضرموت الجنوبية).	بني على قارة جبلية فاردة بعيداً عن المباني السكنية مُطْلًا على مزارع النخيل في ضاحية دمُون في الجانب الشرقي الشمالي من مدينة تريم (وادي حضرموت).
٢	التسمية	نسبةً لقبيلة بامسدوس إحدى فروع قبيلة الدين.	نسبة لآل غرامة إحدى فخاذ قبيلة البعسي اليافعية وإحدى العشائر الحاكمة في تريم حتى سنة ١٢٦٤هـ.
٣	تاريخ الإنشاء	سنة ٩٧٠هـ مثلما هو مكتوب على بوابة الحصن.	لا يعرف تاريخه بالتحديد ولكن على الأرجح تم إنشاؤه في أثناء فترة حكم العشائر اليافعية في القرن الحادي عشر الهجري.
٤	المساحة	تتميز حصون "ريدة الدين" عن حصون الهضبة الحضرمية بمخططاتها الكبيرة، فطول الواجهات ٨ - ٩ أمتار، وسلاسلها الأرضية يبلغ طولها من ٤ - ٥ أمتار.	يبلغ طول الواجهة الجنوبية ١٦.٥م من طرفها الشرقي حتى بداية البرج الغربي، وتشمل هذه الواجهة على البوابة الرئيسية. وطول ضلع الواجهة الغربية ٩.٥م من طرفها الجنوبي حتى بداية البرج الشمالي من الحصن. أما طول ضلع الواجهة الشمالية فـ ٥ - ٦م من طرفها الغربي حتى طرف الجهة الشرقية.
٥	مناخ المنطقة	معتدل إلى حار نسبياً صيفاً، وبارد شتاءً نظراً لموقعها في الهضبة الحضرمية ضمن مناطق الهضاب الداخلية المغلقة عن المنافذ البحرية.	جاف صيفاً يميل إلى البرودة شتاءً، وتبرز سمات المناخ القاري من خلال المدى الحراري اليومي والسنوي؛ إذ يصل إلى أعلى متوسط لدرجة الحرارة صيفاً إلى نحو (٣٥) °، ولا تزيد متوسطها عن (١٧) ° شتاءً.
٦	التخطيط العام	يتميز بكبر حجمه مقارنة ببقية حصون الهضبة، وصُمم في جميع مستوياته كحصن يوفر الأمان، ماعدا المياه فلا توجد بئر داخل الحصن. ومصنعة بامسدوس تتكون من حصن وأسوار ملتصقة به، بها قلاع مدورة في الزوايا، وساحة صغيرة يبلغ عرضها من ٤ - ٥ أمتار تقع بين الأسوار، تطل على غرفة مستطيلة متعامدة على السور تستخدم كمخازن لحفظ المؤن، وسلاسل داخلية مفتوحة تصل بين الساحة الداخلية والأسوار، وكذا ممرات تربط الحصن بالساحات العلوية للأسوار. ويتميز بأن أماكن خزن المؤن والحبوب تحتل الجزء الأكبر من مساحة الحصن قد شغرت أربعة أدوار، وخُصص الدور الخامس والأخير للسكنى.	يتميز بالنوعية العالية والفخامة للمساحات الداخلية المصممة لتلائم معايير الفخامة جنباً إلى جنب مع المتطلبات المناخية البيئية، والعلاقة بين المساحة الداخلية والخارجية، التي جرى الحفاظ عليها بعناية. يأخذ توجهها عاماً في المساكن التقليدية في وادي حضرموت من حيث الاتجاهات، وتوزيع الأدوار، فيأخذ التوجه الجنوبي بشكل عام، بينما في الواجهة الشمالية تكون المرافق الخدمية من حمامات وغيرها، والطابق الأول يُخصص في الغالب كمستودعات ومخازن وأماكن للحيوانات، أما الطابق الأول فللضيوف، والطابق الثالث للنساء والمعيشة وهكذا.

الرقم	وجه المقارنة	حصن بامسدوس	حصن بن غرامة
٧	مادة البناء	القرف (مادة رئيسة) حجر - طين - خشب (مواد فرعية)	الطين (مادة رئيسة) حجر - نورة - خشب (مواد فرعية)
٨	الطراز	متميزٌ وظيفياً وشكلاً، وفيه بعض التداخل للفن المعماري اليمني القديم والفنون الإسلامية، ويغلب عليه الطابع التحصيني العسكري.	متميزٌ وظيفياً وشكلاً، وفيه بعض التداخل للفن المعماري اليمني القديم والفنون الإسلامية، ويغلب عليه الطابع التحصيني العسكري.
٩	الزخارف	يفتقد تماماً للزخارف، ماعدا الإطار الخشبي للأبواب الرئيسية، وعلى ركانز الغرف الداخلية والعوارض القصيرة.	به إطارات بسيطة من الطين حول النوافذ، وتتركز الزخارف أيضاً في النوافذ والأبواب، ونجد قلّة الزخارف وبساطتها إن وجدت خاصة على الواجهات الخارجية نظراً لطبيعة المبنى كحصن ومسكن في الوقت ذاته. كما أن الحصن يتميز بوجود مصطبات صنع القهوة في أكثر من غرفة غنيّة بالزخارف الطينية الهندسية والنباتية.
١٠	اللون	تُسَمَدُ الألوان الخارجية للمبنى من الخصائص التشييدية لمادة البناء ووظائفها في المبنى فاللون الأبيض لنهايات الكتل وحول النوافذ كإطار خارجي يخلق نوعاً من التباين ما بين الفاتح والغامق هذا التباين يُنتج تأثيراً بصرياً يشع بالحيوية ويساعد على إظهار الصور المرئية بوضوح وتُعطي تعبيراً معمارياً حقيقياً فريداً من نوعه.	تُسَمَدُ الألوان الخارجية للمبنى من الخصائص التشييدية لمادة البناء ووظائفها في المبنى، فاللون الطيني للحصن والزخارف الخاصة بالنوافذ والأبواب واللون الأبيض لنهايات الكتل وحول النوافذ كإطار خارجي يخلق نوعاً من التباين ما بين الفاتح والغامق هذا التباين يُنتج تأثيراً بصرياً يشع بالحيوية ويساعد على إظهار الصور المرئية بوضوح وتُعطي تعبيراً معمارياً حقيقياً فريداً من نوعه.
١١	الساس أو الأساس	إن المرحلة الأولى في البناء هي بناء الأساسات التي يقوم عليها ، وقد تم استخدام الحصى المتوفر بكثرة في الوديان والجبال القريبة من المنطقة ومن هناك تحمل إلى موقع البناء ، ثم يشذب ويهندم حسب الحاجة ، وتُطلى الأسُسُ بخليط من النورة والرمل للحماية من الرطوبة وتأثير المياه الجوفية.	إن المرحلة الأولى في البناء هي بناء الأساسات التي يقوم عليها ، وقد تم استخدام الحصى المتوفر بكثرة في الوديان والجبال القريبة من المنطقة ومن هناك تحمل إلى موقع البناء ، ثم يشذب ويهندم حسب الحاجة ، وتُطلى الأسُسُ بخليط من النورة والرمل للحماية من الرطوبة وتأثير المياه الجوفية.
١٢	البئر	لا يوجد بئر بداخل الحصن، وإنما يوجد نَقْبُ ماءٍ إلى جواره خارجاً، تحوّل إلى كريف أو الحيلة، أي: خزان أرضي.	إن المنطقة جميعها تعتمد على مياه الآبار الجوفية، فكان لحصن ابن غرامة بئرٌ دائريّة داخل سور الحصن فلا يتأثر بالحصار الطويل
١٣	الأبراج	يكادُ حصن بامسدوس أن يكون الحصن الوحيد في منطقة الهضبة الجنوبية الذي يتميز بوجود قلاع دائرية في أركانه الثلاثة (معاصير)، حتى أطلق عليه اسم حصن المعصورة.	تمثّل الأبراج أو المعاصير العنصر الأساس للدفاع عن الحصن، وتأخذ شكل شبه دائري لكي يتسنى للمرابطين فيها كشف كل ما يحيط بالمبنى، ويبلغ طول قطر البرج ٣.٤م، ويبلغ طول محيط البرج من الخارج ١٠.٢١م، ويحتوي البرج على ثلاثة طوابق: منها طابقان مسقوفان، وطابق مكشوف، وقد أصابها التلف في بعض الأجزاء، ويحتوي كل برج على عددٍ من المزاغل.



الرقم	وجه المقارنة	حصن بامسدوس	حصن بن غرامة
١٤	الأدوار	يتألف الحصن من خمسة أدوار، ويتميز "حصن بامسدوس - مادة البحث" بأن أماكن خزن المُون والحبوب تحتل الجزء الأكبر من مساحة الحصن كغالب حصون الضليعة، ونجدها في حصن بامسدوس قد شغرت أربعة أدوار، وخصّص الدور الخامس والأخير للسكنى.	يتألف الحصن من أربعة أدوار، الدور الأول (الأرضي): اتسم بالمرونة والبساطة في التصميم؛ حيث إنه اتخذ الشكل المستطيل كوحدة أساسية؛ حيث يوجد في الدور الأرضي العديد من الفراغات كمخازن الطعام والأسلحة، وإنشاء بُني الحصن على الأسلوب الإنشائي المتبع في حضرموت - الجدران الحاملة - ، وهو الأسلوب المعتمد للأبنية التاريخية على مر التاريخ، والدور الأرضي يتميز بكبر حيطانه الخارجية لتحقيق الوظيفة الدفاعية، وبه المدخل الرئيس.
١٥	المدخل	للحصن مدخلان: الأول خارجي، يؤدي إلى الساحة، ومدخل آخر، يؤدي إلى الدور الثاني من الحصن.	الدور الثاني: يوجد به العديد من الفراغات، كغرف النوم، وغرفة الحكم، واستقبال الضيوف، وغرفة المبرز، أو البرزة، وتستخدم لغرض تشاور المتحاکمين فيما بينهم بصفة خاصة بعيداً عن لجنة الصلح والطرف الآخر المتحاکم، وتحتوي جدرانها على معاليق خشبية (رفق) لغرض تعليق سلاح الضيوف، تطل العديد منها على ممرات داخلية، وعلى فناء مكشوف (مَنُور).
١٦	الواجهات	تتشابه كل الواجهات لهذا الحصن التي تتميز بالبساطة، ولا يوجد بها سوى النوافذ المستطيلة الشكل، المصنوعة من الخشب والباب كذلك، وأهم ما يميز الواجهة انتشار المزاغل، وهي من العناصر المعمارية العسكرية.	الدور الثالث: وتسمى غرف هذا الدور بالمرابيح (مفردا مرواح)، ومسقطها مكرّر للدور الثاني. الدور الرابع: يضم الدور الأسطح (الرُيُوم، مفردا ريم)، وهي عبارة عن مساحات على السطح مفتوحة مخصصة للإقامة فيها في فصل الصيف في الفترة المسائية، وتوجد بها فتحات ضيقة على الجدران بحيث لا تسمح للمباني المجاورة بالرؤية نحو داخل الرُيُوم.



الرقم	وجه المقارنة	حصن بامسدوس	حصن بن غرامة
١٧	المزاغل	وتسمى مشاوييف، جمع مشواف، وهي فتحات مثلثة الشكل على جميع واجهات الحصن، وتكون مائلة من الداخل إلى الخارج؛ لكي لا يرى الواقف خارج الحصن من بداخله، والهدف منها مراقبة الأعداء، والحماية بتصويب البندقية من خلالها - التي تسمح بإطلاق النيران الجبهوية الأمامية والجانبية والكشف عن العدو.	وتسمى مشاوييف، جمع مشواف، وهي فتحات مثلثة الشكل على جميع واجهات الحصن، وتكون مائلة من الداخل إلى الخارج؛ لكي لا يرى الواقف خارج الحصن من بداخله، والهدف منها مراقبة الأعداء، والحماية بتصويب البندقية من خلالها - التي تسمح بإطلاق النيران الجبهوية الأمامية والجانبية والكشف عن العدو.
١٨	ملاحق داخل الحصن	يفتقر الحصن إلى وجود ساحة داخلية أو فناء وحمامات وأماكن تصريف المياه ومصطبات صنع القهوة وممرات داخلية وسلالم ودخلات كثيرة مصممة ومفتوحة ماعدا غرفة بها مصطبة تشبه السرير يقال انها لعلاج الجرحى.	يوجد بالحصن ساحة داخلية أو فناء وحمامات وأماكن تصريف المياه ومصطبات صنع القهوة وممرات داخلية وسلالم ودخلات كثيرة مصممة ومفتوحة.
١٩	الأسوار وساحة الحصن	به ساحة صغيرة يبلغ عرضها من ٤-٥ أمتار، تقع بين الأسوار، تطل على غرف مستطيلة متعامدة على السور.	به ساحة كبيرة على طول الواجهة الجنوبية؛ حيث يبلغ طولها ١٦.٥ م من طرفها الشرقي حتى بداية البرج الغربي، تضم بُئراً وغرفاً للحرس ومطبخاً.
٢٠	الأبواب والنوافذ	وتقسم الأبواب إلى: أبواب خارجية، وأبواب داخلية. الأبواب الخارجية: تقع في الواجهة الغربية للحصن، وتصنع الأبواب من شجر العلب، وتتميز بشكل عام بفخامتها وسُمكها، وتحتوي على قليد وقالوده - الإقليد هو المفتاح، وأما القفل فهي قالودة. الأبواب الداخلية: بسيطة جداً مقارنة بالخارجية، وتشمل أبواب الغرف، والمخازن، والمطبخ.	وتقسم الأبواب إلى: أبواب خارجية، وأبواب داخلية. الأبواب الخارجية: يقع في الواجهة الجنوبية للحصن، تصنع الأبواب من شجر العلب، وتتميز بشكل عام بفخامتها وسُمكها إلى جانب الزخارف الهندسية والخط العربي البديع، وتحتوي على قليد وقالوده - الإقليد هو المفتاح، وأما القفل فهي قالودة. الأبواب الداخلية: لا تختلف كثيراً عن الأبواب الخارجية باستثناء أبعادها، وتشمل أبواب الغرف، والمخازن، والمطبخ، والحمامات.
٢١	النوافذ	نوافذ خشبية صغيرة، وظيفتها التهوية، والإضاءة، والرؤية من الداخل. وموقعها عادة يراعي الجوانب الأمنية كمبنى يتوسط مباني المنطقة، وتتألف من ألواح خشبية بسيطة من غير زخرفة تساعد على التقليل من أشعة الشمس وتنظيم حركة مرور الهواء داخل المبنى، وتصنع النوافذ من شجر العلب. وبعض الفتحات من غير نوافذ خشبية.	الوظيفة الرئيسة للنوافذ الخشبية في العمارة الطينية في وادي حضرموت تكمن في التهوية، والإضاءة، والرؤية من الداخل. وموقعها عادة يراعي الجوانب الاجتماعية في عدم الرؤية أو الكشف على الجيران، وتوزع النوافذ على الواجهات الرئيسة المطلّة على الشارع والمساحات الداخلية، وتتألف من مشبكات ذات نقش هندسي بديع، وزخرفة تساعد على التقليل من أشعة الشمس، وتنظيم حركة مرور الهواء داخل المبنى، وتصنع النوافذ من شجر العلب.
٢٢	الفتحات (الكوات - العكر)	أغلب فتحات المبنى من الكوات، أو العكر الضيقة جداً.	في الطابق الأرضي للحصن انعدمت الفتحات - ماعدا البوابات - وانتشرت الكوات، أو العكر الضيقة جداً مقارنة بتلك التي في الطوابق العليا؛ بحيث يستحيل القفز منها إلى داخل الحصن، إلى جانب أنها عامل مساعد في الحفاظ على الحرارة الداخلية المناسبة من غير تأثرها بارتفاع درجات الحرارة الخارجية.



الرقم	وجه المقارنة	حصن بامسدوس	حصن بن غرامة
٢٣	المعاصر	مفردتها معصورة، وهي الزاوية الدائرية للحصن أو الأبراج الدائرية، وبالحصن ثلاثة معاصر، تأخذ الشكل الدائري، وتعتبر داعمات لأركان الحصن، والغرض من شكلها الدائري ليتسنى للمرابط فيها كشف كل ما يحيط بالحصن؛ حيث تحتوي كل معصورة على عدد من المشاوير، يصل عددها (٧-٤) مشاوير - إلى جانب صورتها الجمالية للبناء التي تعطي للحصن هيئة أكثر من تلك الحصون التي بلا معاصر، وهي أيضاً عنصر مكمّل للأساسات تعطي البناء قوة وأكثر تماسكاً بوجودها في الأركان الأربعة للمبنى، إلى جانب هذا كله كموقع للمرابطة للحراس تعطي أكبر مساحة للناظر إلى الخارج في جميع الاتجاهات .	مفردتها معصورة، وهي الزاوية الدائرية للحصن أو الأبراج الدائرية. وبالحصن أربعة معاصر، تأخذ الشكل الدائري، وتعد داعمات لأركان الحصن الأربعة، يصل قطر كل معصورة من ٣.٤م، ويبلغ طول محيط البرج من الخارج ١٠.٢١م، والغرض من شكلها الدائري ليتسنى للمرابط فيها كشف كل ما يحيط بالحصن، حيث تحتوي كل معصورة على عدد من المشاوير، يصل عددها (٧-٤) مشاوير - إلى جانب صورتها الجمالية للبناء التي تعطي للحصن هيئة أكثر من تلك الحصون التي بلا معاصر، وهي أيضاً عنصر مكمّل للأساسات تعطي البناء قوة وأكثر تماسكاً بوجودها في الأركان الأربعة للمبنى، إلى جانب هذا كله كموقع للمرابطة للحراس تعطي أكبر مساحة للناظر إلى الخارج في جميع الاتجاهات .
٢٤	السطح	يتميز سطح حصن بامسدوس بزيادة إلى الخارج، يُبنى على دعائم خشبية تمتد من سطح جدران الطابق الأخير، ولذلك توضع في محيط الدعائم التي تقع تحت الحواجز أعمدة طويلة، وتعطي شكلاً جمالياً، وتكون أساساً لبناء السقاطات، ويتميز أيضاً السطح بوجود القبة، وهي غرفة مربعة الشكل، تتوسط سطح الحصن، ويحاط السطح بجدار بارتفاع متر تقريباً، تتخلله السقاطات أو الفتحات الخارجية، وهي فتحات إلى الأسفل نحو البوابة مباشرة وفي كل جهات المبنى، وسقاطة أخرى للحمام^(٢٠).	أو الرُيُوم مفردتها الرُيُوم، وهي المساحات المخصصة للإقامة فيها في ليالي الصيف الحارة على ضوء القمر ونسمات الهواء الطبيعية؛ حيث يتميز السطح المطلي بالنورة ذات الانعكاس العالية بقابلية عالية على الإشعاع الحراري؛ حيث يتم التخلص من الحرارة الفائضة عن طريق حركة تيارات الهواء؛ ففي ساعات الليل المتأخرة يبرد الهواء الملامس للسطوح الباردة المكشوفة للسماء الصافية، فيثقل وينساب إلى الأزقة والباحات، ويستقر فيها طوال النهار التالي، وبذلك تتحول إلى خزانات باردة، تزود البيوت وخاصة الطبقات السفلى بنسمات باردة، تنساب إلى داخلها، فتطرد الهواء الساخن إلى أعلى بعملية التصعيد من خلال الكوات أو العكر.
٢٥	الشرفات	لا توجد شرفات ولا مسنّات رمحية في نهايات المبنى.	الشرفة نهاية الشيء أو حافته، وقد استخدمت للدلالة على ما يوضع على أعالي القصور، وأسوار المدن، وواجهات المساجد، ونحوها من العماير الإسلامية، وهي تبنى من الحجر متقاربة في أعلى السور أو الجدران؛ ليحتمي وراءها المدافعون، ويشرفوا على المهاجمين ويطلقوا عليهم السهام^(٢١) وتكون على شكل مسنّات رمحية.



الرقم	وجه المقارنة	حصن بامسدوس	حصن بن غرامة
٢٦	العروس	يمتد السلم الداخلي في حصن بامسدوس على هيكل، يستند على دعامة مركزية، تُسمّى العروس، تمر عبر طوابق البناية جميعها إلى ساحات السطوح العلوية المكشوفة.	من أنواع الأعمدة في العمارة الحضرية، وسمي بالعروس؛ بوصفه دعامة المبنى الأساسية، ويبني من المدر على شكل مربع أو مستطيل، يتراوح (١م - ١.٥م) على طول ارتفاع المبنى بجانب السلم الذي يؤدي إلى الأدوار العليا.
٢٧	الأسقف		تشيد من أخشاب الأثل المنتشرة بكثرة في المنطقة المحيطة، أو السدر، وجذوع النخيل، تُرص عمودياً، يوضع عليها حصار من سعف النخيل، يُضاف إليه ألوان زاهية، تُعطي مشهداً جذاباً خاصة في الممرات الرئيسة والغرف فقط، أما بقية الأسقف فمن أشجار الأراك وغيره، فوقها طبقة سمكة من الطين.
٢٨	الفنون الكتابية	تحتفظ بوابة حصن بامسدوس بكتابات على بوابته الرئيسة وتاريخ إنشائها سنة ٩٨٠هـ.	تحمل أغلب حصون وادي حضرموت على بواباته الرئيسة زخارف كتابية، بصياغة أبيات شعرية، أو كتابة آيات قرآنية، وهي تؤرخ لتأسيس، أو التجديد، أو الترميم، أو إضافة، وغيره، تكون غالباً دالة على سنة العمل بطريقة حساب الجمل؛ ليوافق التاريخ المراد تسجيله بالحفر على الخشب (٢٢)، ولم نتأكد من نوع الكتابة؛ بسبب فقدان البوابة الرئيسة للحصن.

الهوامش:

* مدير مركز الرناد للتراث والآثار والعمارة - تريم

(١) بلقيع، عیدروس علوي: جغرافية الجمهورية

اليمنية، منشورات جامعة عدن، ١٩٩٧م، ص ٩٢.

(٢) بارباع، مرعي، منطقة الكسر في وادي حضرموت

دار جامعة عدن، عدن، ط ١، ٢٠١٤م، ص ٢٩

(٣) - نفسه، ص ٥٧

(٤) حبتور، ناصر صالح: توحيد اليمن قديماً بين

ذكر إلكرب وإل سبأ العدد (١٢) جامعة عدن،

٢٠٠٣م، ص ١٨-١٩

(٥) بلقيع، عیدروس علوي: جغرافية الجمهورية

اليمنية ص ٥٦.

(٦) بارباع: مرجع سابق، ص ٣١

(٧) نفسه: ص ٣٣

(٨) كوجين: يوري، العمارة الطينية الحضرية

التقليدية، مركز حضرموت للدراسات والأبحاث

المكلا، ط ١، ٢٠١٦م، ص ١٩٧

(٩) نفسه ص ٢٣٦، ٢٣١

(١٠) نفسه ص ١٩٧-١٩٩

(١١) باراس: سالم محمد، حصون نوح وسيبان

ولبنة والحيسر تحت المجهر، مجلة حضرموت

الثقافية، مركز حضرموت للدراسات والأبحاث

والتوثيق والنشر، المكلا، العدد ٤، يونيو ٢٠١٧م،

ص ٢٦. وكوجين: مرجع سابق ص ٢٠١

(١٢) كوجين: يوري، الفن المعماري بحضرموت،

نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية العلمية

المشتركة لعام ١٩٨٥م، المركز اليمني للأبحاث

الثقافية والآثار والمتاحف (مسحوب بالاستئصال)

ص ٨٩، ٩٠

(١٣) نفسه ص ٩٦-٩٧

(١٤) الرباكي: أحمد صالح، حصن العرني

النقوش والمدونات التاريخية، بحث قيد النشر،

٢٠٠٧م، ص ٤٨

(١٥) نفسه ص ٤٩

(١٦) السقاف: محمد أحمد، المواءمة البيئية في

العمارة الطينية بوادي حضرموت، أبحاث

المؤتمر العلمي الأول للعمارة الطينية، مركز

العمارة الطينية بجامعة حضرموت، سيئون

ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٣٧-٤١.

(١٧) كوجين: العمارة... مرجع سابق، ص ٢٠٣

- ٢٠٤.

(١٨) كوجين العمارة... مرجع سابق، ص ٢٠٣

(١٩) الموسطي: طارق وآخرون، الموسوعة الياغية

يافع حضرموت، دار الوفاق للدراسات والنشر، عدن،

ط ١، ٢٠١٥م، ج ٨، ص ١٢، ١٤١.

(٢٠) كوجين ص ٢٠١

(٢١) العیدروس: حسين ابوبكر، مسجد المحضار

، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط ١، ص ١٢٢

(٢٢) العیدروس: مسجد المحضار، مصدر سابق

ص ١٨١-١٨٢.

المراجع

١- باراس: سالم محمد، حصون نوح وسيبان

ولبنة والحيسر تحت المجهر، مجلة حضرموت

الثقافية، مركز حضرموت للدراسات والأبحاث

والتوثيق والنشر، المكلا، العدد ٤، يونيو ٢٠١٧م.

٢- بارباع: مرعي، منطقة الكسر في وادي

حضرموت، دار جامعة عدن، عدن، ط ١، ٢٠١٤م.

٣- بلقيع، عیدروس علوي: جغرافية الجمهورية

اليمنية، منشورات جامعة عدن، ١٩٩٧م.

٤- حبتور، ناصر صالح: توحيد اليمن قديماً بين

ذكر إلكرب وإل سبأ العدد (١٢) جامعة عدن، ٢٠٠٣م.

٥- الرباكي: أحمد صالح، حصن العرني

النقوش والمدونات التاريخية، مركز النور

للدراسات والأبحاث، تريم، ط ١، ٢٠١٠م.

٦- السقاف: محمد أحمد، المواءمة البيئية في

العمارة الطينية بوادي حضرموت، أبحاث المؤتمر

العلمي الأول للعمارة الطينية، مركز العمارة

الطينية بجامعة حضرموت، سيئون ط ١، ٢٠٠٠م.

٧- العیدروس: حسين ابوبكر، مسجد المحضار

، تريم للدراسات والنشر، تريم، ط ١.

٨- كوجين: يوري، العمارة الطينية الحضرية

التقليدية، مركز حضرموت للدراسات والأبحاث

المكلا، ط ١، ٢٠١٦م.

٩- كوجين: يوري، الفن المعماري بحضرموت

نتائج أعمال البعثة اليمنية السوفيتية العلمية

المشتركة لعام ١٩٨٥م، المركز اليمني للأبحاث

الثقافية والآثار والمتاحف (مسحوب بالاستئصال).

١٠- الموسطي: طارق وآخرون، الموسوعة

الياغية. يافع حضرموت، دار الوفاق للدراسات

والتوثيق والنشر، عدن، ط ١، ٢٠١٥م، ج ٨، ص ١٢.

مقابلة مع روبرت بيرترام سيرجانت

أجرى المقابلة: د. أبوبكر محسن الحامد *

ولد روبرت بيرترام سيرجانت (٢٣ مارس ١٩١٥ - ٢٩ أبريل ١٩٩٣ م) في مدينة أدنبرة، اسكتلندا، ومات في دنهيد، قرب

سانت الدروز في أسكتلندا. تلقى تحصيله العلمي

الجامعي في موطنه أسكتلندا، ثم التحق بكلية

تريتي في كمبرج؛ حيث أكمل فيها درجة

الماجستير عام ١٩٣٥ م، ثم درجة الدكتوراه

عام ١٩٣٩ م، وكان موضوع أطروحة

الدكتوراه عن تاريخ المصنوعات

النسيجية في العالم الإسلامي، عمل

سيرجانت أستاذ كرسي للأدب العربي في

جامعة لندن، مركز الدراسات الشرقية

والأفريقية (١٩٥٥ - ١٩٦٤ م)، ومحاضراً

في التاريخ الإسلامي في جامعة كمبرج،

ثم أستاذ كرسي للأدب العربي بها عام

١٩٧٠ م خلفاً للمستشرق المشهور آرثر آربي

(العمرى، حسين، مجلة اليمن، ربيع ثاني ١٤٢٦ هـ،

٢٢٧ - ٢٢٩). ولعل أهم أعمال سيرجانت هي:

١ - صنعاء المدينة العربية الإسلامية، لندن، ١٩٨٣ م.

٢ - الصيد في جنوب الجزيرة العربية، ١٩٧٦ م.

٣ - نثر وشعر من حضرموت، لندن، ١٩٥١ م.

٤ - التقاليد وحكم الشريعة في مجتمعات جنوب الجزيرة

العربية، لندن، ١٩٩١ م.

(انظر (اليمن) مجلة جامعة عدن، العدد (الواحد والعشرون)، ربيع

ثاني ١٤٢٦ هـ، مايو ٢٠٠٥ م).

في عام ١٩٤٠ م توجه سيرجانت إلى عدن لأداء الخدمة

العسكرية في جيش المستعمرات البريطاني، وبعد عام عاد إلى

لندن، وتزوج عام ١٩٤١ م من الطبيبة ماريان، وفي عام

١٩٤٧ م سافر سيرجانت وعائلته (زوجته وطفلهما بيتر وبلي)

إلى اليمن، عدن فحضرموت، ليعمل باحثاً (زميلاً) في الجيش

البريطاني، قسم البحوث الخاصة بالمستعمرات، مهمته

"دراسة العمق الحضاري لحضرموت من خلال دراسة اللغة،

وتوفير معلومات وبيانات موضوعية عن هذا العمق، وليس

الاعتماد على انطباعات ذاتية عن المنطقة" (سيرجانت، نثر

وشعر من حضرموت)، وبدأ ذلك من خلال جمعه للشعر العامي

في مدينة تريم خاصة، وجمع مادة ثقافية لمتحف الآثار

والسلالات في جامعة كمبرج، ومن هنا، من جمع الشعر

العامي في حضرموت منذ ١٩٤٧ م، بدأ اهتمامه بتراث اليمن،

ومؤرخيها. وقد كان النسأخ عبد الله رحيم بأفضل المصدر الأول

للشعر العامي الذي جمعه سيرجانت، فقد وجد لدى رحيم حوالي



ألفي نص بين شعر ونثر، كما وجد في (كتاب الوقائع)، وفي

الأسطوانات الغنائية القديمة بعض النصوص التي يحتاج إليها.

وصل سيرجانت المكلا، ثم تريم، وقضى حوالي

سبعة شهور هو وزوجته متنقلاً بين تريم

وضواحيها، وعينات، وقسم، وقبر هود، وبين

سيئون وضواحيها، وشبام وضواحيها، وزار

منطقة الواحدي، وبالحاف، وعزان، وحبان،

وبير علي، وميفعة، وبروم.

وفي مطلع عام ١٩٤٨ م زار مولى مطر،

والخريصة، والنجدين، ووادي دوعن،

والمشهد، وحريضة، وهين، والقطن، كما

زار المناطق الساحلية: الحامي، والشحر،

وغيل باوزير. وخلال رحلاته هذه كان يلقى

حسن استقبال وعوناً من زعماء وعلماء ومثقي

حضرموت آنذاك، وتجدد الإشارة إلى هذه الأسماء

على سبيل المثال: أبوبكر، وعمر، وعبد الرحمن الكاف،

والسلطان صالح بالمكلا، والسلطان علي بن صلاح بالقطن،

وعلي باصرة بدوعن، ومحمد بن عقيل بقيدون، وعبد الرحمن

وعلي العطاس بحريضة وشبام، وصالح علي الحامد،

وعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف بسيئون، وعبد الله الناجي،

وعلي بن ربيعة في شبام، ومصطفى بن سميح، وعلي بن

سميح، وأسرة آل بن شهاب في تريم، وعمر بن سهل نائب

(والي الدولة الكثيرة) في مدينة تريم، ومنصب المشهد محمد

خروسي، وعلي بن عقيل بن يحيى، ومحمد بن هاشم، وفي

منطقة الواحدي لقي سيرجانت حسن استقبال من السلطان

ناصر، ومنصب صعيد، والممثل السياسي مصطفى رفعت،

وفي عدن من محمد عبده غانم، وكثير غيرهم (سيرجانت، نثر

وشعر من حضرموت، لندن، ١٩٥١ م).

وقد زار سيرجانت اليمن في عام ١٩٦٧ م فلقى حفاوة من

اليمنيين، فقد نزل ضيفاً على أحمد النعمان، وكانت له علاقة

صداقة مع أحمد الشامي، وحسين العمري، وإسماعيل الأكوع،

وزارها مرة أخرى في عام ١٩٧٥ م، وتم له تنظيم برنامج علمي،

شارك فيه المؤرخ اليمني حسين العمري. كما زارها أيضاً قبل

وفاته بعام واحد، فلقى حسن استقبال من مؤرخي اليمن

ومفكرها وقادتها، وحل ضيفاً على جامعة عدن مشاركاً في

(ندوة التراث المنعقدة فبراير ١٩٩٢ م)، وكان قد قابل قبل ذلك

نائب رئيس مجلس الرئاسة وغيره من المسؤولين اليمنيين،

وخلال مرافقته له في ندوة التراث انتهزت هذه الفرصة،

وأجريت معه (بالعربية طوراً وبالإنجليزية تارة) المقابلة الآتية:



• سيرجانت، من هو علمياً؟

- أكملت الجامعة البكالوريوس في أسكتلندة، ثم درجة الماجستير عام ١٩٣٥م، أما الدكتوراه ففي جامعة كيمبردج عام ١٩٣٩م، وكتبت أطروحتي حول المنسوجات الإسلامية (لعله يقصد منذ ظهور الإسلام) حتى آخر العصر العباسي، طبعت الأطروحة في أمريكا منذ عهد بعيد، وطُبعت مرة أخرى في بيروت.

اليمن مصطحباً زوجتي، وكانت زوجتي مشرفة على النساء والأطفال طبيياً لمدة ستة أشهر في تريم، ثم لمدة سنة ونصف في المكلا. وعدت مرة أخرى إلى الخليج وعدن وحضرموت عام ١٩٦٤م، وحين عدت إلى إنجلترا تركت المعهد، وانضمت إلى جامعة كيمبردج، قسم اللغة العربية، وقد أثرت ذلك لأن ظروف جامعة كيمبردج كانت أفضل للبحث. في عام ١٩٧٢م

شارك معنا البروفسور ليو كوك وهو مهندس معماري، كنا حوالي ستة، وزرنا صنعاء لهذا الغرض. بـدأنا معرض صنعاء في المتحف البريطاني، وكان المقرر لهذا المعرض أن يمتد لمدة ستة شهور، ولكن لعدم وجود معرض آخر يحل محله جرى تمديد الفترة من ستة شهور إلى سنتين.

• والآن ماذا يشغلكم؟

- أقوم الآن بترجمة كتاب (البخلاء) للجاحظ إلى اللغة الإنجليزية، وأعمل له حواشي وشروحا؛ لأنه صعب على الإنجليز، وكتاب الجاحظ هذا فيه وصف كامل للعربي العادي، الذي تقابله يومياً في المجالس والأسواق، وهو أحسن كتاب يصف الحياة العربية العادية. وما أزال أنشر من حين لآخر مقالات علمية في المجلات المتخصصة. وكنت قد كتبت بحثاً عن (دستور المدينة في عهد الرسول)، وأنا عضو في الأكاديمية البريطانية، لندن، وفي المجمع اللغوي بمصر، القاهرة.

• إنَّ اهتمامك ليس تاريخياً في الأساس؟

- الواقع إنني أستاذ لغة عربية ولست مؤرخاً، وكانت اهتماماتي الأولى

كتبتُ بحثاً عن دستور المدينة في عهد الرسول، وأنا عضو في الأكاديمية البريطانية، لندن، وفي المجمع اللغوي بمصر، القاهرة.

عُيِّنت أستاذ كرسي في جامعة كيمبردج للغة العربية، وبقيت فيها إلى سنة ١٩٨٢م، بعدها أجلت إلى التقاعد، وأنا الآن متقاعد.

• ارتبط جزء من نشاطك العلمي باليمن؟

- في كيمبردج أُتيحت لي فرص عدة لزيارة اليمن لم تُتاح لي من قبل، وبدأنا في تأليف كتاب (صنعاء) حوالي عام ١٩٧٦م، ولكنه لم يظهر إلا عام

بعد تخرجي بدأ اتصالي بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية بلندن، وأعطوني دعماً مالياً للذهاب إلى عدن لتعلم لغة التخاطب، ولكي أبدأ البحث في اللهجات العامية. وقد قُمت بهذا الواجب، وحين دخلت إيطاليا في الحرب العالمية الثانية دعاني إنجرامز وقال لي: "هل تحب أن تتطوع في حرس الحكومة؟"، فتحوّلت ضابطاً في الحرس، وقُمتا بدوريات على طول السواحل حول عدن إلى حوالي بئر سقية، وهي منطقة لا تبعد كثيراً عن جزيرة ميون، وبقيت سنة أعمل في الحرس، وبعد سقوط الجيش الطلياني رجعت إلى المعهد بلندن حسب الاتفاقية بيني وبين المعهد، وتزوجت يومذاك عام ١٩٤١م، وكان من المفروض أن التحق بوظيفة حكومية، فانضمت إلى هيئة الإذاعة البريطانية، وترأست قسم المُستمع العربي.

بعد الحرب رجعت إلى المعهد نفسه، ثم عُيِّنت عام ١٩٥٤م بروفيسوراً في المعهد، وهو تابع لجامعة لندن، وترأست قسم اللغة العربية. وفي عام ١٩٥٣م جرت زيارتي للمرة الثانية إلى

اتجهت في البداية إلى كتابة بحوث حول (الحويف) كما هو الواقع في تريم، والترتيب الاجتماعي، والسادة؛ والعرف القبلي

تنصبُّ حول التاريخ الاجتماعي Social Histoy فأتجهت في البداية إلى كتابة بحوث حول (الحويف) كما هو الواقع في تريم، والترتيب الاجتماعي، والسادة؛ لما لهم من نفوذ في حضرموت الداخل، وعن العرف القبلي وهو من اهتماماتي البارزة، وقد اشتريت مخطوطة تهامية وجدتها لدى بعض مشايخ تريم، وحصلت على

في هذا الكتاب معلومات من الجغرافيا، والتاريخ، والنقوش، والعمارة اليمنية بشكل عام، وعن بعض اليهود الموجودين في صنعاء. وأعدنا معرضاً عن أسواق مدينة صنعاء في المتحف البريطاني في القسم الأثنولوجي، وقد ظهر الكتاب بعد المعرض بعدة أيام، وكان المفروض أن يتزامن ظهوره مع فترة المعرض،



قدمت ورقة بحثية حول الوثائق العرفية وأهمية جمعها وتصحيحها وتوفيرها للمؤرخين والباحثين، ولابد من جمع هذه الوثائق والمعاهدات.

- الواقع أنني استمعت إلى عدد كثير من المحاضرات، وإلى الآن لم تُكوّن بعد فكرة عامة عن الندوة، ولكنني أنوي مراجعة هذه المحاضرات مرة أخرى، وعندما أعود إلى بريطانيا وأتأمل معانيها وأبعادها، وأختزن كثيراً من الآراء المزدحمة من كثرة ما سمعتُ، وأمل أن أكون فكرة واضحة فيما بعد. وعلى كل حال كانت الندوة فكرة جيدة. والمشاركون كانوا من الجادين، قدموا آراء جيدة.

• انطباعك عن مدينة عدن؟

- عدن تبدلت كثيراً، وقد صارت لها عمارات كثر، ونتمنى لها مستقبلاً ممتازاً. ودعتُ سیرجانت وكان فرحاً لإجراء المقابلة وكأنه يستعيد حينها أجمل ذكريات عمره، وحدّثني عن بعض الشخصيات التي تعرفها، كالشاعر صالح الحامد، والكاتب علي عقيل بن يحيى وغيرهم، ويومها (١٩٩٢ م) كنتُ أفكر للتسجيل لدراسة الدكتوراه في الولايات المتحدة الأمريكية، فكتب لي توصية ممتازة بهذا الصدد، كما أعطاني إذناً بترجمة أعماله شريطة الاتصال بالناشر وتنسيق ذلك معه، وطلب منّي اصطحابه في صباح الغد إلى بعض المكتبات للاطلاع وشراء الجديد من الكتب اليمنية، وأذكر أنه اشترى مجموعة من الكتب من مكتبة عبادي بالشارع الطويل بكريت.

* دكتوراه في الأدب المقارن - الولايات المتحدة، رئيس قسم الترجمة بمركز البحوث التربوية سابقاً - أستاذ مادتي الأدب والترجمة - جامعة عدن

يعتمدون على هذا التقسيم إلى وقت قريب جداً بل حتى اليوم. ومثل هذه الأحكام والوثائق مهمة جداً لتكوين تاريخ شامل كما ذكرت.

• لفتك العربية جميلة ومفهومة تمام!

- أي باحث أو مهتم بالتاريخ لابد له من إتقان اللغة العربية، وكذا الاهتمام باللغة الدارجة؛ لأنها تراث لكن الفصحى طبعاً هي من لوازم البحث.

• ماذا عن اهتماماتك الأدبية؟

- اهتمامي بالحركة الأدبية قليل، وأهتم بقراءة الأبحاث عن اليمن والعصور القديمة. وكنت أقرأ لأحمد شوقي، وأرى أن الشعر العربي الحديث

هناك ثغرات كثيرة لدراسة التاريخ الحديث، بدأت منذ عهد قريب بمناهج بحث سليمة.

المرسل متأثر بالشعر الأوربي، وأنا أفضل العمودي الفصيح. وقرأت (أولاد حارتنا) في نصّها العربي. وقد لفتت نظري المعلقات وقصائد جرير والفرزدق، وشعر الصوفيّة، وأعمال تاريخية أخرى، مثل: تاريخ الطبري، وأعمال السيوطي، وتاريخ المماليك، وكنت أقوم بتدريس أعمال ابن خلدون في الجامعة.

• والشعر؟

- الشعر العربي شعر جيد، ولكن ليس من السهل على أجنبي أن يميز بين الشعر الجيد والشعر غير الجيد.

• كيف وجدتم هذه الندوة (ندوة التراث

في جامعة عدن)؟

مخطوطات أخرى في (الطاغوت)، و(المتعة)، وهو عُرِفَ قبلي؛ لتنظيم أمور السلم فيما بين القبائل كالدية، وتعذيب المجرم. وقُمتُ بجمع بعض القصائد اليمنية تحت عنوان (نثر وشعر من حضرموت). وقد كنت أقوم بتدريس سيرة والمفضليات وغيرها بطلاب جامعة لندن ثم كمبردج وأرى أن بيئة الإسلام في سيرة ابن هشام تشبه بيئة اليمن، وأستطيع القول إن ما يجري في حضرموت يساعد على تقبل ما يورده ابن هشام في سيرته عن البيئة الإسلامية أيام الرسول.

• هل ترى أن هناك ثغرات في دراسة

تاريخ اليمن؟

- بالطبع كانت هناك ثغرات كثيرة لدراسة التاريخ الحديث، بدأت منذ عهد قريب بمناهج بحث سليمة، وأثناء بحوثي وجدت أن عدداً كبيراً من الوثائق التاريخية تمثل مصادر يمنية لتكوين تاريخ شامل جديد، يغطي كل

نواحي الحياة الاجتماعية. وأذكر أنني قدمت ورقة بحث أثناء وجودي في المملكة العربية السعودية حول الوثائق العرفية وأهمية جمعها وتصحيحها وتوفيرها للمؤرخين والباحثين ولابد من جمع هذه الوثائق والمعاهدات. وهذه الأيام يقوم بعض المهتمين بجمعها، أمثال جعفر السقاف وغيره؛ ليس يخرجوا منها معلومات عن الجوانب الاجتماعية، وهي تمثل جزءاً من التراث، بل هي مخطوطات تاريخية، على الرغم من كونها معاهدات عرفية فإننا نجد فيها - مثلاً - شيئاً عن تقسيم المياه في وادي زبيد للجبرتي. وكان الناس



محطات مضيئة من حياة

الشيخ الجليل القاضي عبدالرحمن بكير " رحمه الله "



حقيقة لقد عُرفَ عن الشيخ الجليل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله عوض بكير بساطته وتواضعه الجم منذ نعومة أظافره حتى أصبح أشهر من نار على علم، ورجلاً يشار إليه بالبنان من خلال إثرائه بكتابهاته ومؤلفاته في مجال القضاء والدين والتاريخ، إنه من الذين يعطون بصمت من غير ضجيج، ولا يأخذون أو يدعون ولا تداخلهم مشاعر الزهو بما أنجزوا، فقد كان الشيخ بكير معطاءً وعلماً وروحاً يفيض بها من حوله، حتى صار وجهة للباحثين وطلاب العلم لما أحاط به نفسه من علم ومعرفة وخبرة منهجية في تاريخ حضرموت العلمي خاصة، وتاريخ شبه الجزيرة العربية عامة، بل كان نبراساً تتلمذ على يديه الكثير من الطلاب ومشايخ العلم.

١٣٧٠هـ، ليتخصص في القضاء». اهـ.
ولي نظارة بعض المدارس الابتدائية والمتوسطة.
- عمل مساعداً إدارياً بمجلس القضاء الشرعي الأعلى بحضرموت (المجلس العالي)، ثم مفتشاً قضائياً، ومستشاراً قضائياً بحضرموت حتى عام ١٩٦٧م.
- عُيِّنَ بعد الوحدة اليمنية في العام ١٩٩٠م رئيس محكمة استئناف (مقتاعد)، ثم عضواً بهيئة الإفتاء الشرعية للجمهورية اليمنية.

تلامذته :

من أبرز تلاميذ الشيخ عبدالرحمن بكير لا للحصر؛ الشيخ عبدالله بن عوض المبارك بكير، الذي ترأس القضاء الشرعي بحضرموت نيافاً وثلاثين سنة بعفة ونزاهة، والشيخ سالم بن مبارك بن عبدالرحمن الكلالي، الذي تولى القضاء بمدينة الشحرور مدة من الزمن، كما كان

الرباط، كما درس على الشيخ عوض بلقي في المكلا، ثم رحل إلى تريم، وأخذ عن السيد عبدالله بن عمر الشاطري شيخ رباط تريم، والسيد علوي بن عبد الله بن شهاب، وغيرهما. وفي سيئون أخذ عن السيد محمد بن علي الحبشي. وأخذ عن الشيخ محمد بن سالم البيحاني صاحب عدن.

وكان له اتصال بالعلامة عبدالرحمن ابن عبيدالله السقاف، وكان يرأسه، ويوجب عليه ابن عبيدالله. ثم رحل إلى السودان، والتحق فيها بكلية غردون بجامعة الخرطوم سنة ١٩٥٠م، وتحصل على شهادة قسم الشريعة بامتياز منها عام ١٩٥٣م. ومن مشايخه هناك الشيخ علي الخفيف.

وقد جاء في المذكرة الشحرية «أنه أول شاب يبعث إلى كلية (غردون) بالخرطوم سنة ١٩٥١م الموافق



وهنا لا بأس أن نستعرض في هذا المقال شيئاً عن حياته العلمية والعملية؛ حيث درس على يد والده فضيلة الشيخ العلامة عبدالله بن عوض بكير رئيس القضاء الشرعي في حضرموت، وأدرك الشيخ بادباه في مسقط رأسه ومولده منطقة الصداغ بغيل باوزير التي وُلِدَ فيها في أجواء ١٩٢٢م، والتحق برباط العلامة ابن سلم، وبه أخذ عن السيد محسن بونمي وغيره من مشايخ



97

العدد (10)

أكتوبر

ديسمبر

2018م

مؤلفاته:

صدر للشيخ عبدالرحمن بكير (رحمه الله) عدة كتب ورسائل منها:

- (١) المدخل إلى المسائل المختارة لمحاكم حضرموت (نماذج في فقه القضاء وفقه الفتوى).
- (٢) تصحيح وتهميش عماد الرضا في آداب القضاء وشرحه.
- (٣) بيع العهدة بين مؤيديه ومعارضيه.
- (٤) الخلاف بين الدعاة وموقف الداعية منه.
- (٥) هل سلم القرآن الكريم.



والده الشيخ القاضي عبداللّٰه بن عوّض بكير

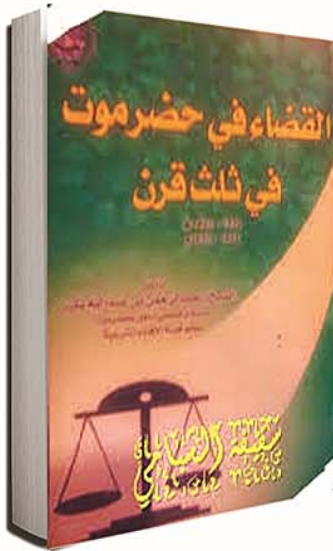
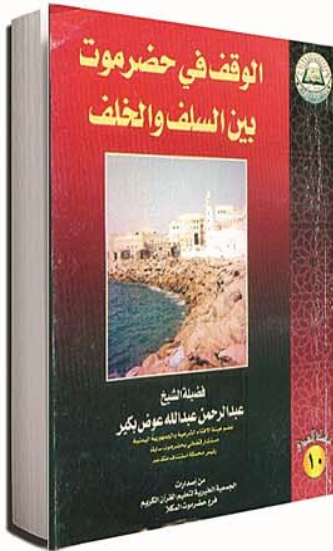
الأدب جامعة حضرموت؟ وهل تناول بعض المختصين بالقضاء والفقه شيئاً من كتبه بالتحليل والقراءة وما جرى بينه وبين علماء آخرين من مطارحات، لا سيما أنه كما وصفه الأستاذ الفاضل عبداللاه محمد هاشم السقاف «انفرد عن غيره من أقرانه علماء وإدارة وتفقهاً، فمن تنظيم للعمل بالمحاكم بحكم منصبه إلى استنباط الأحكام بروح عصره متجاوزاً التقليد وبما لا يخالف الشرع».

كان يهتم الرجل أن يجترح جديداً، وأن يجتهد في ما يجترح (بـ) ما لا يخالف الشرع، كان بتعبير آخر يرسم مشروعه الخاص، ولعله يمكن استيضاح الصورة كاملة من خلال قراءة كتبه بوصفها تجربة بناء لم تجد من يستمر في التواصل معها، فما يلفت في الشيخ أنه مختلف حين لم يندرج في التجربة القضائية بحضرموت كما هي، بل حاول أن يرسم آفاقها، وأن يبحث عن اختلافاتها لا خلافاتها، مع الإشارة إلى أنه كان في كثير من المواقف والآراء بطل تجربته وحده، ونموذجاً من تجارب صناعة الإنسان لنفسه في هذا البلد».

مدرس ومرشد بلدة تباله وبواديه من ضواحي الشحر والقرى المجاورة لها، والشيخ حسين بن محمد السبيلي وهو فقيه ضليع.

قال عنه د. عبدالقادر باعيسى: «عاش الشيخ بكير رداً كبيراً من حياته في بيته مع كتبه وزواره بعيداً عن وسائل الإعلام، ورغم أنه جاوز التسعين من العمر إلا أنك تشعر من خلال نظرات عينيه الحادتين -رغم انطفائهما- أنك أمام رجل يتعزز بصيدك الشخصي بمصافحته، ومن خلال كلمات يقولها لا تزيد عن عشر تشعر بقوة شخصيته، فتوقن بما يمتلكه من قوة ورؤية ثاقبة لا تعرف التذبذب».

وبنظرة إلى مجموع كتبه تعرف السجلات التي خاض فيها من القضاء إلى الفقه إلى تنظيم المحاكم إلى اللغة والنحو، حتى ليتمكن القول إن الشيخ بكير فصل مهم من مرحلة القضاء الحديثة في حضرموت بكل أبعادها، وتكمن الإشكالية في أننا لا نتعاطى مع الإنتاج الثقافي الرصين (ندعه يمر كما يقولون)، ورغم أنه كان في بيته إلا أنه كان منتظماً في تأليفاته مستمراً عليها، ولم يتعرف كثير من القراء عليه لا سيما الشباب إلا بعد أن تم طباعة كتبه مؤخراً، فحين كان المؤلف حاضراً بكامل وعيه كان القارئ غائباً، وحين جاء القارئ غاب المؤلف بشيخوخته، لكن وقد غاب أحد الطرفين في كل مرة يبقى التواصل المعرفي الذي لا ينقطع بمرور الزمن، فمشروع بكير ما زال إلى الآن بغير قراء جادين وبغير مريدين، فهل عرضت بعض كتبه مثلاً على طلاب الدراسات العليا بقسم الدراسات الإسلامية بكلية





كاتب المقال مع الشيخ بكير في إحدى الزيارات

- (٦) الوقف في حضرموت بين السلف والخلف.
- (٧) نغمة في ملحقات من ملحقات علم الأصول.
- (٨) لكيلا نقع في عرض أسلوب الإمام الحبشي.
- (٩) إرواء الرواة بأخبار الشيخ بادباه.
- (١٠) على طريق طرائق الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير.
- (١١) قراءة في تاريخ حضرموت من خلال نصوص قرآنية.
- (١٢) القضاء في حضرموت في ثلث قرن.

وله غير ذلك مما لم يطبع.

وكنت دائماً عندما تتاح لي زيارات خاصة لشيخنا الفاضل عبدالرحمن بكير، اصطحب معي نسخاً من أعداد مجلة (شعاع الأمل) فور إصدار كل عدد جديد، وفي مجلسه وحضرته كنا نتبادل أطراف الحديث، التي تصب في مجملها في مصلحة الأمة والعباد، وغالباً ما أصغي لحديثه وهو يتحفني بلباقته التي تصحبها الابتسامة التي تظهر على محياه.

يقول عنه د. عمر عبدالله بامحسون (مؤسس مؤسسة الصندوق الخيري للطلاب المتفوقين): «يربطني بالشيخ العلامة عبدالرحمن بكير رباط قوي، حيث الوحدة الفكرية التي جمعتنا، وتعاطفي المستمر والمتواصل مع هذه الأسرة التي خدمت

القضاء في المجتمع الحضرمي»، وقال «إننا حين نقارن بين كتاب الشيخ عبدالرحمن بكير (العهد)، وكتاب عبدالقادر عودة في (القانون الجنائي) نرى أن كتاب الشيخ عبدالرحمن بكير أشمل من كتاب عبدالقادر عودة من جوانب عدة، وإذا نظرنا إلى الشيخ عبدالرحمن بكير - والحديث للدكتور بامحسون - من زوايا أخرى نعلم يقيناً أنه لم يكن قاضياً فحسب، بل أستاذاً قديراً، ومربياً فاضلاً، وسياسياً ملهماً، وقد

بسبب وضعه الصحي الذي لم يمكنه من حضور المناسبة لتكريم الرواد، ولمكانته العلمية والدينية والقضائية تم إقامة حفل متواضع مصغر في منزله بالمكلا مساء الأحد ٢٣/٣/٢٠١٤م، دُعيت بدعوة من

تتلمذ على يديه الكثير من أبناء المجتمع الحضرمي الذين يعتزون بانتمائهم إلى المدرسة البكيرية، إذا صح لنا أن نسميها كذلك...» .هـ. وحسناً ما فعلته مؤسسة الصندوق الخيري للطلاب المتفوقين) عندما

جاء في المذكرة الشجرية أن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله بكير كان أول شاب يبتعث من حضرموت إلى كلية (غردون) بالخرطوم سنة ١٩٥١م الموافق ١٣٧٠هـ ليتخصص في القضاء.

نجله الأستاذ بهاء الدين مع نخبة مثقفة من المشايخ الأجلاء والأكاديميين والإعلاميين تم فيه تكريمه بالدرع التذكاري لجائزة الشيخ باحمدان لرواد خدمة المجتمع في حضرموت وصفه أفضل قاض نال جائزة عام ٢٠١٤م، ليشهد شيخنا الجليل أن هناك من يذكره ويكرمه، وهو على قيد الحياة قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

نعم.. رحل فضيلة الشيخ الجليل القاضي عبدالرحمن بن عبدالله

اختارته من بين عدد من رجالات القضاء الذين تقدموا لنيل (جائزة) الشيخ سالم سعيد باحمدان لرواد خدمة المجتمع في حضرموت) لعام ٢٠١٤م في مجال القضاء، والتي حازها دون منافس، حيث منح هذه الجائزة في الحفل الذي أقامته المؤسسة لتكريم رواد خدمة المجتمع في مجالي القضاء والزراعة، وذلك صباح الثلاثاء الموافق ١٨/٣/٢٠١٤م، وتسلمها نيابة عنه نجله الأستاذ بهاء الدين نظراً لتغيبه



99

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م



أثناء تكريم الشيخ بكير
درع الشيخ باحمدان
لرواد خدمة المجتمع
٢٠١٤م

واليمن في اليوم التالي من وفاته
لتشييع جنازته، بعد الصلاة على
جثمانه الطاهر بـ (جامع البلاد)
بالمكلا، و (جامع الصداق) بغيل
بأوزير، ثم توديعه إلى مثواه الأخير،
بمقبرة الصداق بعد صلاة المغرب،
وهذا ليس بغريب أن يحزن أبناء
حضر موت على فقد هذه الشخصية
الحضرمية الفذة التي تركت بصماتها
على مختلف الصعد، وأسهمت في إثراء
الساحة الوطنية بمختلف العلوم.
وختاماً لا يسعنا إلا أن ندعو الباري
عز وجل أن يجزل خير الجزاء لشيخنا
الفاضل القاضي عبدالرحمن بكير
على ما قدمه من أعمال جليلة
تستحق الشكر والثناء في مختلف
العلوم الشرعية والإفتاء الشرعي
والعلوم الأخرى، وأعمال البر والخير
والإحسان، ونسأل المولى أن يرحمه
رحمة واسعة بمغفرته ورضوانه
ويسكنه فسيح جناته في أعلى فردوس
الجنان مع النبيين والصديقين
والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً.
ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم..
وإننا لله وإنا إليه راجعون.

اليمني والعربي والإسلامي بشكل
عام بوصفه علماً بارزاً ورمزاً أصيلاً،
فقد قضى أكثر من نصف قرن ونيف
من السنوات في مجال العلوم الشرعية
والقضاء، فكان خير من جسد الالتزام
بصدق الحديث الذي لا يخاف في الله
لومة لائم، ولكن هذه إرادة الله
سبحانه وتعالى.
لقد كان الشيخ بكير إنساناً قبل أن
يكون شيئاً آخر، إنساناً يجيد فن
التعامل مع من حوله، فينسج معهم
علاقات أساسها الود والاحترام، لذلك
حظي بحب وتقدير كل من لقيه أو
عرفه، والدلالة على ذلك حضور
الآلاف من كل حـدب وصوب من
شرائح المجتمع في حضرموت

عوض بكير من دار الفناء إلى دار
البقاء يوم الاثنين ١٥ ربيع الآخر
١٤٣٧ هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠١٦ م،
إثر معاناة مع المرض الذي أنهك
جسده وأقعده في منزله المتواضع
بحارة البلاد بالمكلا منذ سنوات
خلت، بعد حياة ومسيرة حافلة
بالعطاء في مجال العلوم الشرعية
والإفتاء الشرعي، مخلفاً وراءه تركة
كبيرة من العمل الشرعي والديني
بعد عمر حافل بالعطاء المتعدد في
مجالات متعددة.
لهذا شكلت وفاة هذه القامة
الدينية والقضائية فاجعة ومأساة
وخسارة كبيرة ليس فحسب على
المجتمع الحضرمي، بل المجتمع



لقاء يجمع بين الشيخ بكير
والدكتور بامحسون



محمد بن ثعلب "رحم الله"

وعمر في حمل الهم التربوي

حين قدر لنا أن نحظى برؤيته، والتعرف عليه كان ذاك في مستهل ستينيات القرن المنصرم في (المدرسة الوسطى) بالنقح، كان ضمن ثلة من المعلمين الشباب خريجي السودان و كلية عدن، الذين تعينوا بالمدارس الوسطى. كنا يومها في الصف الأول من المرحلة الوسطى قادمين من المرحلة الابتدائية.

ازدنا قرباً من محمد بن ثعلب رحمه الله حين تعين أستاذاً لنا في الجغرافيا في الصف الرابع المتوسط بعد أن انتقلت وسطى النقح إلى مبناها الجديد في الشرح في الربوة التي تشرف على العيقة، والتي تشغلها اليوم مدرسة سمية، وقد عرفت يومها بمدرسة الجذمان، حيث كان الموقع، قبل ذلك مكاناً معزولاً لمرضى الجذام خارج المكلا ويوم كانت الشرح محدودة البنين والسكان في الجهة الجنوبية البحرية وقبل أن يمتد العمران إلى الهضبة التي يقع عليها ذلك المكان، حيث نقلوا، بعدها إلى مكانهم الحالي في المنطقة التي تلي الغويزي.

إلى عدد من الدول العربية طلباً للمنح والمعونات التربوية فكان من نصيب جل أفراد الدفعة الذهاب فيما حصل عليه وفد السلطنة من منح دراسية. وكان من حظ زملائنا الذين ابتعثوا للدراسة في العراق مزاملة الأستاذ ابن ثعلب، بعد أن كان أستاذاً لهم، فقد ابتعث لإكمال الدراسة الجامعية، وكنا ننظر بعين الغبطة لأولئك الزملاء الذين أضحى أستاذهم زميلاً لهم!. وكان أكثر من يتخرجون من الثانويات من الخارج، وعددهم كان، في ذلك الوقت، محدوداً، وكان أكثرهم يلتحقون بالتدريس في المدارس الوسطى ليلبوا حاجتها، حتى تتوافر الفرص الجامعية للذين يودون مواصلة دراستهم الجامعية، وكان ابن ثعلب واحداً من هؤلاء.

كنا نعد حينها لإكمال المرحلة المتوسطة وحوز شهادتها، حسبما يقتضيه السلم التعليمي، يومها، الذي كان يقسم مراحل التعليم، قبل الجامعة إلى " ٤، ٤، ٤ : ابتدائي، متوسط، ثانوي". كانت حصص الجغرافيا، تلك، تأتي ضمن حصص آخر النهار، حيث كانت المعلومات التي تسري في أجواء الصف، حينها، تنساب إلى أذهاننا مع نسيم العيقة العليل، الذي يهب عبرها قادمًا من البحر، وخاصة في أشهر آخر العام، التي تأتي على مشارف الصيف.

وأكملنا المرحلة المتوسطة:

وانقضى العام وأكملنا المرحلة المتوسطة لنواصل الدراسة الثانوية، وكان من حظ، دفعتنا أن أعقب تخرجها زيارة قام بها وفد تربوي عالي المستوى من السلطنة



عمر عوض باني

ابن ثعلب والجغرافيا:

يذكر صاحب هذه السطور كيف كان محمد بن ثعلب يجول بهم في مواضيع جغرافيا الصف الرابع المتوسط، باذلاً الجهد في ترسيخ المعلومات لهم، رابطاً بين بعض المعلومات، وما يمر بهم من بعض الأمور من خلال سماعهم للمذياع ومحطاته المختلفة، الذي كان حاضراً في حياتهم حضور التلفاز والحاسوب في حياة أجيال اليوم.



د. محمد بن ثعلب (رحمه الله)

التدرج في السياق الأكاديمي:

ويعود الأستاذ محمد بن ثعلب ليمضي سنين في التدريس الثانوي في مستهل السبعينيات ليأخذ ارتقاءه في المجال الأكاديمي، إذ كان من أوائل من اختيروا للتدريس في أول نواة للتدريس الجامعي بحضرموت بافتتاح فرع لكلية التربية بحضرموت في منتصف السبعينيات. وليس مجالنا بالطبع أن نسجل سيرة ذاتية للأستاذ ابن ثعلب، وإنما لنبرز الحس التربوي للرجل حيث لم ينسه الارتقاء في النطاق الأكاديمي المجال التربوي للنشء الذي استهل به حياته العملية. وظل على علاقاته وصداقاته مع زملائه من المعلمين، وفي مقدمتهم الأستاذ الفاضل أحمد سعيد باحبارة. لقد كان الأستاذ محمد بن ثعلب وفياً لمن عاشرهم وزاملهم خلال مدة التدريس العام قبل أن يرتقي في مجال التعليم الجامعي، مما يجعله أهلاً لأن نصفه بتحوير بيت شعر قيل في صفات الكرام:

إن الكرام إذا ما (أكدموا) ذكروا

من كان يألفهم في الزمان الأول^(١)

ومع حلول التسعينيات

تهيات أسباب:

ومع حلول تسعينيات القرن المنصرم استجدت أوضاع وتوافرت أسباب، وتهيات ظروف واتت ابـن ثعلب ليحقق آماله، وليفرغ قدراً كبيراً من همه في خدمة العمل التربوي ورعاية الأجيال الناشئة عبر كيانات ومشاريع. كان يومها قد قدم من المهجر الأستاذ الفاضل عمر محمد بن سهيلان، والأستاذ ابن سهيلان هو أستاذ الأستاذ ابن ثعلب، حين كان الأستاذ محمد طالباً في الخمسينيات

والصحة، اتفق على تكوين جمعية تحت مسمى (الجمعية المساندة للتربية والصحة) لتضم ثلة من المهتمين بشأن التربية والصحة ممن أمضوا زهرة أعمارهم عطاءً في هذين المجالين، وكانت برئاسة الدكتور ابن ثعلب.

بالمدرسة الوسطى بالغيل، كما كان زميلاً له، بعد ذلك، بالمدرسة الوسطى بالنقع، حين كان ابن سهيلان مديراً لها. وابن سهيلان، وإن كان قد غادر البلد بشخصه مدة، إلا أنه ظل بروحه حاملاً لهم الشأن التربوي في البلد، ووفياً له من خلال

كان الأستاذ محمد بن ثعلب من أوائل من اختيروا للتدريس في أول نواة للتدريس الجامعي بحضرموت بافتتاح فرع لكلية التربية بحضرموت في منتصف السبعينيات من القرن الماضي.

وكان للجمعية عطاء مشكور:

ورغم أن الجمعية لم تعمر طويلاً بمقياس السنين والأعوام، إذ توقفت بعد حين، نتيجة لبعض الظروف، ألا أنها عمرت عطاءً، وكانت ظهراً مسانداً للتربية والصحة بما قدمته من خدمات وبما وفرت له من إمكانيات، كانت تفتقر لها بعض المؤسسات، وبما تبنته من ندوات لمناقشة الواقع التربوي والصحي في بلادنا، وكيف يمكن الارتقاء بهما.

التواصل بـ زملاء المهنة ممن عايشهم وزاملهم من التربويين، أمثال الدكتور ابن ثعلب.

وتتكون جمعية ليرأسها ابن

ثعلب:

ومع اجتماع شمل الاثنين، وإخوان لهم من التربويين السابقين، مع زملاء لهم في مجال العمل الصحي، ومن خلال التدارس لخدمة البلد في شأن مجالين هامين أساسيين من هموم المجتمع، هما التربية



وتمضي الأيام ويظل الهم في النفس قائماً:

وتمضي الأيام، ورغم تقدم أستاذنا الفاضل - رحمه الله - في العمر، إلا أنه ظل يؤرقه أمر هؤلاء التربويين الذين أضحوا في مرحلة التقاعد، والذين أفنوا أعمارهم في تربية

من جهد، رغم تقدمه في السن وما كان يعانيه من ظروف صحية، وما كان لديه من مهام واهتمامات أكاديمية، أعجب من حماسه والحنين الذي يعتل في نفسه لشريحة المعلمين وهمومهم، رغم أنه قد غادر، وظيفياً، صفوفهم منذ زمن

تعليمياً، لا يسعه إلا أن يهتبل أية فرص لقول كلمة وفاء وعرفان لهذا العطاء، ولذا عندما دعا الإخوة في (منتدى حضرموت الثقافي) برئاسة الدكتور عبد الله باحاج ومتابعة الشاب النشط، وليد بازباد، إلى ندوة عن ذلك العطاء، وطلب من الأستاذ ابن ثعلب المشاركة في هذه الندوة عن هذا العطاء استجاب مباشرة، وكان مما شرف كاتب هذه السطور أن كان شريكاً للأستاذ في هذه الندوة مع أستاذين فاضلين آخرين ممن نهلوا من ذلك العطاء هما الأستاذ الدكتور سالم عوض رموضة خريج السودان والأستاذ عبدالقادر سعيد بصعر، وكانت ندوة عكست وفاء وعرفاناً ممن نهلوا من ذلك العطاء وكان الأستاذ ابن ثعلب أكثر من نهلوا من ذلك فقد نهل منه



الأستاذ/ عمر محمد بن سهيلان



الأستاذ/ أحمد سعيد باحبارة

كنت أعجب من حماس الأستاذ بن ثعلب والحنين الذي يعتل في نفسه لتربية المعلمين وهمومهم، رغم أنه قد غادر وظيفياً صفوفهم من زمن بعيد.

الأجيال، لماذا لا يضمهم كيان يلتقون تحت مظلة ليقدموا لمجتمعهم ما تختزنه عقولهم من عظيم التجارب وما تزخر به أذهانهم مما مر بها خلال سني أعمارهم من جميل الأفكار.

وظل أستاذنا الفاضل يتحرك بالفكرة ويدعو لها من خلال اللقاء نصف الشهري، الذي يحضره ثلة من التربويين، والذي ينعقد بمنزل صديقه وشريكه في حمل الهم التربوي الأستاذ الفاضل أحمد سعيد باحبارة - أطل الله في عمره - وكذا من خلال التواصل مع آخرين ممن لا يتمكنون من حضور اللقاء. وصاحب هذه السطور واحد ممن كان يعرض الأستاذ الفاضل عليه الفكرة حين يلتقيه ويزوره في مسجد الرحمة القريب من بيته بفوه، ولقد كنت أعجب من حماس الأستاذ وما يبذله

تتلمذاً في وسطى الغيل وابتعثاً لدراسة الثانوية في السودان، ومزامله للأستاذة السودانية في الستينيات في المدرسة الوسطى بالمكلا.

رحم الله أستاذنا محمد بن ثعلب وأسكنه فسيح جناته وجازاه عن تلاميذه ومجتمعه خير الجزاء.

١- تحويراً لقول الشاعر:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا
من كان يالفهم في المنزل الخشن
وأكدوا: أعني بها: صاروا أكاديميين.

ليس بالقليل. ولم يهدأ للأستاذ - رحمه الله - بال حتى تم إشهار هذا الكيان تحت مسمى (المنتدى التربوي) ليمثل المتقاعدين من التربويين والتربويات، ويحمل همهم، ويمكنهم من تقديم عطائهم وإثراء المجال التربوي بتجاربهم وخبراتهم.

ابن ثعلب ووقفه وفاء للعطاء السوداني:

لا يسع كل من عاش التعليم في حقبة الزاهية في عقود منتصف القرن المنصرم أجواءً ومنهاجاً وكادراً



زَع دُمَرَحَا



د. سعيد الجريري

قليلاً ونهق، فشددت عليه قائلاً:
زَع دُمَرَحَا، فما كان منه إلا أن رفع
رجليه الخلفيتين بعنطرة غرامية،
أقره عليها الآن، فأوقعني أرضاً
أبحث عني بين الشنايل، لا أدري
أضحك أم أجري خلفه، لأجلب الماء،
فهناك من يستعجلني في البيت!
وللحمير مراصين (ج. مرصان)
هي عالمها الذي تمارس فيها
حرية مقيدة، ففي الحبل سعة تتيح
للحمار حركة في المكان، حيث
يعتلف، وحيث يرى حركة الأشياء
والأحياء من حوله، وكم يكسر
حاجز الصمت صوت حمار ينهق،
وقد شده منظر ما، أو عابر له في
نفسه محفزات وجدانية. وكم
يعجبك تنغيم الحمير نهيقها على
مقامات أكاد أقول إن لها سلماً
موسيقياً خاصاً لا يعلمه إلا
الراسخون في علمها العجيب.
الحديث عن حمير الذاكرة ذو
شجون، لكنني أكتفي ههنا
بالقول: كم كانت الحمير حميراً
حقيقية رائعة، قبل أن يستعار
اسمها لأفراد من الإنس، شوها
تاريخ الحمير المجيد.

يمتطي فرس امرئ القيس:
مَكْرٍ، مَفْرٍ، مَقْبِلٍ، مدبرٍ معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل
وكانت لنا مواقف طريفة،
وأحداث مؤسفة أيضاً، خاصة
عندما (يعنطر) الحمار، أو ينطلق إذ
ترخي له العنان، أو تزجره بواحدة
من الثلاث الأمريات، فتراه (يوكب)
مثل فرس أصيل،
(يزل الغلام الخف عن صهواته)،
فإن كنت حديث عهد بامتطائه
أزلك عن صهوته، لتهوي على
الأرض، لكنك تعدو خلفه حتى
تكبح جماحه، قبل أن تلتفت إلى
(دُحس) في الركبة، أو (رَضَة) في
الكتف أو الكر سوع. وإن أنس لا
أنسى (شنقلة) تاريخية أوقعني
أرضاً مع (الشنايل) في إحدى
المرات عندما كنت ذاهباً لأجلب
الماء على ظهر الحمار من (جابية
بكريت)، إذ دخل الحمار في لحظة
وله عاطفي مع أتان فارهة أنيقة،
كانت في الطريق الموازي، ولأنني
لم أكن على علم بـ لغة الغزل
الحميري، وعلى عجلة من أمري
فقد همزته قائلاً: زَع دُمَرَحَا

هذه الثلاث من لغة تفهمها
الحمير، لكن لا دراية لي ما إذا
كانت تعلم أن كلاً من هذه الثلاث
اسم فعل أمر له دلالة الخاصة
وإن يكن التجاور الأمري يضيف
عليها إيقاعاً حميرياً جميلاً.
عندما كنا صغاراً كانت لكل منا
علاقات دافئة بحيوانات أليفة
تجمعنا بها ألفة وجودية خاصة،
فلنا ذكريات لا تُنسى مع الكلاب،
والقطط، والحمير ذكوراً وإناثاً،
كذكريات أخرى مع الحمام والماعز
والتبوس والضأن والكباش، حين
كان مجتمعنا القروي الزراعي
الجميل في قلب الطبيعة البكر،
حيث عيون المياه، والمزارع،
والعطاء المتبادل بين الإنسان
والأرض، والإنسان والإنسان.
ولم تكن حمير ذلك الزمان مهزولة،
بل لعلها كانت آخر الحمير (المحترمة)
إن جاز الوصف، فهي مهيبة كأنها
أحصنة. لم لا وهي عنصر أساس
في تكوين البيئة الزراعية، ولها
وظائف جليلة، تمنحها مكانة،
وكان الصببي منا أو الفتى إذ
يمتطي حماره يداخله إحساس من



وظيفة الشعر النار تخيئة

فن الترجمة كمسار من مسارات علم التاريخ يدخل في تكوينه عدد من المكونات الأساسية، المتصلة بلورة شخصية العلم المترجم له .

كما أنه يجب لفت النظر إلى قضية مهمة تتصل بعلاقة الدواوين الشعرية بفن التراجم .. تكمن اللفتة في أن بعض الدواوين الشعرية تصاحبها معلومات تاريخية ثرية، فإن الكثير من الشعراء وهم من أهل العلم الواسع أيضاً، يصدر قصيدته بالمناسبة التي قيلت فيها، ويستطرد في إيراد معلومات مهمة يذكر فيها شخصيات وتواريخ وحوادث، وتفاصيل مهمة كثيرة، كما تجد ذلك في كثير من الدواوين ومن أشهرها ديوان العلامة الأديب المسند عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس المتوفى في ١١٩٢ هجرية المسمى بـ (تنميق الأسفار)، والآخر المسمى بـ (تنميق السفر)، فقد ضمّنهما بالإضافة إلى المنتج الشعري، مقطوعات تاريخية مهمة، تتصل بمؤلفاته، ورحلاته، وجزئيات حياته وشيوخه وإجازاته.

في ترجمته ما قيل في المترجم من مدح أو رثاء أو غير ذلك... ويزداد هذا الأمر نفعاً حينما يكون الشاعر من أهل العلم والصدق والورع والإنصاف... فإنه سيبرز في قصائده، حقائق عديدة تتصل بذات المترجم له، في قالب شاعري متوهج، يكسب الترجمة لوناً خاصاً من الفيض، يجذب العاطفة ويسمو بالوجدان ... كما أن الحذر من مجازفات الشعراء ومبالغاتهم وأوديتهم، يجب أن يكون حاضراً في مخيلة كاتب التراجم !!

ومن الشخصيات المترجم لها شخصيات لها في الشعر باع واسع، وذائقة فريدة، حتى كتبت له الدواوين، وأقيمت حول شاعريته دراسات أدبية وذوقية .. فيكون من النقص فيمن يتولى الترجمة لهم عدم الحديث عنها في فصل من فصول دراسته.



منير بن سالم بازهير

ومن هذه المكونات الشعر، سواءً كان المترجم له من الشعراء أو لا . فمما يضيف من إضافات مميزة على فن الترجمة، كتابة ما قيل في المترجم له من قصائد شعرية، لشعراء زمانه، لتبيين مكانة المترجم له في أعين شعراء الزمان، ورواد الأدب، ووجهاء البيان والبلاغة . فمن اللازم إذن على المعني بفن التراجم، قراءة الدواوين الشعرية المزامنة لمن يترجم له، وأن يسطر



من الإنصاف أن نقول إن ابن عبيد الله السقاف من أبرز من ربط بين الشعر والتاريخ في كتابه (إدام القوت) على نحو فريد.

الحضارم في صناعة البرود ويذكر الشعر المؤكد لذلك. أو تميز نوقهم وجودتها فيذكر ما يتصل بذلك من أقوال الشعراء، أو أن موقع حضرموت موقع قصي فصار مضرِباً للأمثال في البُعد، فيقول قال الشمر دل :

بلغن أقصى الرمل من يرينا
وحضرموت وبلغن الصينا
إلى غير ذلك من الأمثلة وهي كثيرة في الإدام، وساعده على ذلك اتساع عارضته الشعرية ومخزونه الأدبي بشكل يصعب أن نجد له مثيلاً في عصرنا.

وأخيراً .. هناك تاريخ كتب بلغة الشعر هو جدير بالمتابعة والاقتناص والتضمين داخل الدرس التاريخي، كما أن هناك نُتفاً مثورة تصاحب دواوين الشعراء ترتبط بالبحث التاريخي بزواياه الكثيرة.

واتجاهات التاريخ في الشعر كثيرة، فالشعر متنفس يكشف عن واقع عايشه الشاعر، وتاريخ تغلغل بكيانه، وتقلبات اصطلت بها نفسه وصقلت من خلالها ذاته. ومن هنا نخلص إلى ضرورة النظر فيما لدينا من ثروة شعرية لسل ما بها من مادة التاريخ .. هذا وبالله التوفيق.

كتب يوم / الأربعاء / ٢٢ صفر ١٤٤٠ هجري
٣١ أكتوبر ٢٠١٨ م.

كتاريخ ابن هاشم للدولة الكثيرة، واستشهاده بأبيات بامخرمة في تفاصيل بعض الجوانب السياسية، وكذا بأبيات لغيره من الشعراء كمقاطع من الشعر الحميني للعلامة الصوفي سعد السويني.

نعم ابن عبيد الله السقاف في الإدام استخدم هذا المسلك، ولكن لم يقتصر على الجوانب التاريخية البحتة، وإنما لطبيعته الأدبية المتقدمة، نثر أبياتاً تجلي منقبة، أو تشابه موقفاً، أو تؤصل خلقاً، أو تحذر من منقصة، أو تبكت إنساناً أو

ضمن العلامة الأديب عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس أعماله الشعرية، مقطوعات تاريخية مهمة، تتصل بمؤلفاته، ورحلاته، وجزئيات حياته وشيوخه وإجازاته وكذلك العلامة علي بن حسن العطاس.

جماعة على موقف ما، إلى غير ذلك من المقاصد مما لا يصب في أصل المادة التاريخية، لكنه يكشف عن مواهب الكاتب وحضور الذائقة الأدبية في كل تصرفاته؛ لأنها صارت قطعة من شخصيته، ومتنفساً من متنفساته.

ومن الإنصاف أن نقول إن ابن عبيد الله السقاف من أعظم من ربط بين الشعر والتاريخ في إدامه على نحو فريد، فتجده يذكر تميز

بل إننا نجد في الدواوين منظومات إسنادية، تحوي ذكر طرق التلقي والصلة بالشيوخ، كما عند العيدروس السابق ذكره. وقد تفلن لذلك الأهدل في (النفيس اليماني) فضمن قصيدة نظم السند عند ترجمته للوجيه العيدروس.

وكما في ديوان العلامة علي بن حسن العطاس؛ حيث ضمنه منظومة كاملة ذكر فيها مشيخته، ومنظومة كاملة لخص فيها مسالك السيرة وأدوار التاريخ.

وبالجملة فدواوين الشعر يذكر فيها الشعراء قصائد رثاء تختم بذكر تاريخ الوفاة بطريقة الجمل، كما تتضمن قصائد تتصل بتشيد مسجد أو مدرسة أو قصر أو حصن، وأخرى بتوصيف ظاهرة اجتماعية، أو حادثة تاريخية تتصل بالحرب أو بالسلم، أو بمنجزات إنسانية أخرى.

ومن هذه الزوايا بات النظر في دواوين الشعراء مفيداً في فن الترجمة والدراسات التاريخية بل الإنسانية. وهذا مسلك كتاب (السير والتاريخ على ممر الزمان)، بل حتى الأوائل منهم، فنجد ابن هشام يذكر طبيعة القتال في الغزوات ضمن قوالب الشعر، ويذكر نقباء بيعة العقبة الثانية ضمن القالب نفسه وهكذا.

وقد رأيت العديد من التواريخ الحضرمية وُفقت لهذا المزج،

قصة قصيرة

عائلة



مسعود علي الغنيني

- أنا لا أريدك أنت، بل أريدها هي، أو
 واحدة من الأخريات، فأنت قد كفانا
 خالك مؤنتك!!

قالت لا شعورياً:

- أنت ما زلت ملزماً بي، وما يوجد به
 عليّ خالي ليس لك علاقة به.

استشاط والدها غضباً، وكاد أن يفتك
 بها لولا تدخل والدتها التي منعتة من
 الاقتراب منها، ولم تزل به حتى غادر
 البيت مزمجرًا:

- عليكن حسم أمركن، واحدة منكن لا
 بد أن تتزوج هذا الرجل.

عاد والدها في المساء متجهماً..
 حاول إقناع الأخريات فلم يستجبن له،
 ولم يكن أمامه إلا هي.

وافقت على مفض.. ولم تمض
 سوى أيام قليلة حتى زفت بزفاف رمزي
 وخلال ساعات معدودة وجدت نفسها

خلف الحدود.

بدأت الحياة تدب في جسدها
 المهدود، فقد رأت عالماً لم تتخيله
 حتى في أقصى أحلامها الجامحة.. فها
 هي في فيلا فخمة، مصممة على أحدث
 طراز، تزينها الزخارف والمنمنمات
 الجميلة، والفسيفساء الزاهية، يحيط
 بها سور جميل، وتكسوها خضرة
 نضرة، وأشجار بديعة، ومسبح فسيح،
 ويقوم على خدمتها طاقم من الخدم،
 وعلى سيارتها سائق خاص، وأسواق،
 ومولات، وشاليهات، ومتنزهات...

ولكن! كان هناك شيء مفقود!! حاولت
 في البداية أن تتجاهله، وسعت جاهدة
 للتغلب عليه، لكنها لم تستطع، فقد كان
 الأمر أكبر منها.. أخذت تسأل نفسها كيف
 ستواجه زوجها وهل سيتقبل ذلك؟ ماذا
 سيقول لها؟ وماذا ستكون ردة فعله؟

يتذكرها سكان القرية، ويتذكرون
 تندرهم على نحاتتها اللافتة، فكانوا
 يتهامسون بلمزها في مجالسهم
 المكتظة كلما رأوها تزرع طرقاً
 القرية ذهاباً وإياباً.. اعتادت السكن
 في بيت جدتها في أقصى القرية
 بسبب تقدير أهلها عليها، وعلى
 أخواتها اللاتي يضح بهن ذلك البيت
 الضيق، فليس هناك متنسع أو طعام
 يكفي الجميع، فالأوضاع التي يمر بها
 بلدها الممزق قد وصلت حداً لا يطاق.
 فضلت العيش عند جدتها تخدمها
 وترعاها وتجد عندها ما لا تجده في
 بيتهم، وخالها يرسل لها مصروفاً
 شهرياً مع مصروف جدتها نظير رعايتها
 واهتمامها بها.. بقيت على هذه الحال
 أعواماً.. حتى أتى ذلك اليوم الذي سمعت
 فيه أباه يعرض على أختها الكبرى
 رجلاً قادماً من إحدى دول الجوار يبحث
 لنفسه عن عروس، وكانت أختها ترفض
 بشدة رغم إصرار والدها والحاحه
 عليها.. وقفت برهة تستمع لذلك
 الجدل وصوت أبيها الصاخب يرتفع
 مختلطاً بعويل أختها المتوسل حتى
 كاد يتنبه له جيرانهم المتحذرون.

تغلبت على خجلها، واقتربت منهم،
 حاولت تهدئة والدها إلا أنه كان في أقصى
 درجات الغضب، اقتربت منه أكثر حتى
 أمسكت بيده المرتعشة، وهي تقول:

- أنا على استعداد للزواج منه إن هي
 رفضت!!



قصة قصيرة

أصوات



صالح باعامر

فضاء الغرفة فاصطدمت
بصراصير دائبة وجيوش نمل
متقاطره: وأسراب بعوض مغيرة.
تناهت لي أصوات تتجادل:

صوت بدا قادماً من زمن موغل:
أحكمتنا قبضتنا على مكلأهم
فتأهوا ولولا نقودهم القادمة
من كل مكان لما حاربوا السواد.

صوت من زمن وسيط:
لولانا لما تعلموا وثقّفوا
وصاروا على ما هم عليه

صوت من الزمن الحاضر (١):
سَنُظَلُّ نراوح مكاننا إن لم
نكثّر من السواد ونكثّفه.

صوت من الزمن الحاضر (٢):
منحناهم حرية فطمعوا في
أكثر منها.

نادى مناد يدعوهم إلى الكارثة:
إن نالوا فيما يطعمون تهنا.

صوت من الزمن الجديد:
لا ثنائية، ولا ثلاثية، فلا شيء
سوى أحاديّتنا.

السواء الذي أدمني أرديته، لم
أدر أهو بإشارة من مالك الظلام
أو توجيه من ملك ما لكه
الساعي إليّ أكثر إظلاماً.

الثواني تجري راكضة نحو
اكتمالات الدقيقة تلو الدقيقة
والساعة تلو الأخرى، أنفاسي
تتلاحق، نظراتي ترقب خطو
الزمن، تفكيري أسير حيرته،
بين الأذعان الإيجابي والعصيان
الممنطق، الأزمنة تتبأرز،
تتصارع، الزمن الذي أرقبه
يتراكم هما وغما.

ينشق البياض من أحشاء
السواد، أضمه فيمطرني عناق
لملت دواخلي فأقبل قلبي
محتضنا توقّي المرفرف فوق
كراسة السابع عشر من سبتمبر
ألف وتسعمئة وسبعة وستين
ميلادي - يوم تحرير المكلأ.
بسّطت الصفحة الأولى من
الكراسة بياضها، فانتصبت
فوقها وأخذ قلبي يخطو بين
أسطرها ليشكل الجملة الأولى
فإذا بمالك السواد يقتحمني
ناشراً ظلامه.

همست لي صاحبة الشامة
بالاقتراب، لبيت طلبها متقدماً
نحوها فأعاق تقدمي انهمار
ملايين الحشرات النازلة من
فضاءات أكثر، مددت حواسي في

أخذت الأسئلة تتزاحم على مخيلتها
المجهد.. ولم تُدر ماذا تصنع. تذكرت ذلك
اليوم البعيد الذي واجهت فيه والدها
الغاضب.. أعطاه هذا الموقف شجاعة كافية
لتواجه زوجها مثلما واجهت والدها. أخبرت
زوجها أنها لا تستطع العيش معه، وأن هذه
الفيلا وهذا البلد لم يعودا يتسعان لها، ولا
تستطيع التحمل أكثر، وأنها تريد المغادرة..!
نزل الأمر كالصاعقة على مسامعه الواهنة،
وجنّ جنونه.. فأخذ يضربها بقسوة بالغة
حتى سالت الدماء قانية من فمها:

- كيف لا تستطيعين العيش هنا؟! ألا
تتذكرين كيف كنت تعيشين في بيت أبيك
الخاوي؟ هذه الحياة المترفة تحلم بها كل
بنات قريتك البائسة، أخبريني لماذا لا
تستطيعين العيش هنا؟ هل لديك شيء
تُخفيته عني هيا تكلمي تكلمي؟
أجابت باكية وهي تمسح الدم النازف
والدمع المتساقط:

- لو كنت أخفي شيئاً لما قبلت بك.. ألا تعلم
أني قبلت بك من بين كل أخواتي.. أنا لا
أستطيع العيش هنا لأسبابي الخاصة، إنها
أسباب تخصني وحدي، لا تجبرني على
البقاء! حتى لا تجدني يوماً معلّقة على
إحدى شجيرائك الأثيرة.. دعني أعود إلى
بلدي لا أريد منك شيئاً.
- لن تغادري أي مكان وسوف تبقى هنا
إلى الأبد.

قال كلمته الأخيرة وهو يغادر الفيلا
المضطربة، ويغلق الباب خلفه بعنف حتى
سَمِعَ صريره من على بُعد أمتار.
بقيت أكثر من شهر حبيسة غرفتها
الموحشة لا تغادرها مطلقاً. ولم يُدْهِو يزورها
أو يسأل عنها حتى نما خبرها إلى أحد
أقاربها فتدخل في الأمر وضغط على زوجها
ببعض أقاربه للسماح لها بزيارة أهلها
والمكوث عندهم مدة فربما غيرت رأيها..
وافق زوجها على رحيلها بعد إلحاح شديد.
تغيّر كل شيء فيها، اكتست نضارة طاغية،
وبدت عليها آثار النعمة، فاكتنزت أردافها،
وامتلا جسمها، ولم تعد تلك الفتاة التي
يتندر بها الجميع.. بل فتاة أخرى فاتنة عادت
لتدّرع شوارع قريتهم المنهكة من جديد!.



108

العدد (10)
أكتوبر
ديسمبر
2018م

توقيع
قلم

فتبينوا

زملائك دون أن يسلم النقود لأي أحد من الجالسين وغادر الحلقة والنتيجة عراك وخصومة بين (المبصرين) كل يتهم زميله بالاستحواذ على الأموال "وقد مررت مع هذه الطرفة أو لعلها الحكمة من حيث الفهم والاستيعاب بثلاث مراحل الأولى يمكن وصفها بمرحلة (النكتة) التي تستدعي في أجواء السمر والفرح دون الإدراك لمعانيها البعيدة . أما المرحلة الثانية فقد عدتها في باب الحكايات التي تهدف إلى (الموعظة) التي ترمي إلى نبذ السخرية والاستهزاء بمصائب الناس ، وتحث على الإحساس بنعمة البصر ، والدعاء للعميان بالشـفاء والعافية وعظيم الأجر عند الله ، والمرحلة الثالثة هي مرحلة (الحكمة) التي تدعو إلى عدم الانخداع بظواهر الأمور وتنبه إلى أن ليس كل ما يلمع ذهباً ، وأن الرضاة من الرحمن والعجلة من الشيطان ، وأن الحقيقة بنت البحث والتقصي والتأني .



أ. د. عبدالله سعيد بن جـسار الجعـيدي

بالبعض الأوهام والظنون مبلغ التصديق بها وجعلها مسلمات تبني عليها مواقف مغلفة بالظلام وبثقافة لا تعترف بفضيلة التبين وغالبا تعشش هذه السلوكيات عند الشعوب الفارغة حيث يدمن أفرادها التفاصيل التافهة ويتركون ما ينفعهم في دنياهم ، وهكذا وفي غياب ثقافة الحوار، وسطحية نظرة الناس إلى خلق التسامح والمسامحة - رغم ما يرددون من أن المسامح كريم - تتلبد الغيوم بالمشاعر السلبية البعيدة عن روح الإسلام السامية وقد تنهيا فرص عند المتخصصين المحظوظين وهم على قيد الحياة في تبيان الحقيقة التي تتفكك بمعرفتها الأزمات وتتغير الأحوال إلى المحبة التي تأتي بعد العداوة ، وهناك من يغيب في اللحود وفد حملوا مع ما حملوا أوزار الظنون الأثمة وتداعياتها.

وبين مفردتي (فتبينوا) القرآنية (ومصمص العجم) (الشعبية تقفز من العقل الباطني بين فينة وأخرى طرفه سمعتها في طفولتي من رجل مسن لا يبدو عند عرضها رغبته في الفكاهة رغم ذلك كما كان ظاهر الأمر ، المهم تدرج فهمي لها بتقادم السنين ، كما سنوضحه ، وجاء في الطرفة:

" وقف أحدهم وسط حلقة من

الرجال المكفوفين وهز

بكيس به نقود معدنية

ويردد وهو يلوح

بالكيس في أكثر من

اتجاه أمسك هذا

الكيس ووزعه على

في الثقافة الشعبية الحضرية ومما يدخل في باب التأكيد على تمحيص الأمور تستحضر عادة النصيحة الفورية (مصمص العجم) وذلك لمن أراد أن يتخذ قرارا مهما في حياته مثل مصاهرة عائلة أو كسب شريك في العمل أو اختيار صديق أو التحقق من نبأ .. إلخ ، والمعنى الحرفي لتلك المقولة (مصمص العجم) هو : التوجيه بتخليص نواة البلع من بقايا مذاقها الحلو أي التنظيف بالمص تنظيفا تاما . أما المعنى الاصطلاحي المشحون بالنصيحة فيقوم على الدعوة بأخذ الحيطه والحذر واستيعاب المسألة من كل جوانبها ولهذا هم يقولون في معنى مقارب (قاييس عشر وأقطع مرة) فلاضير مادام هناك متسع من الوقت في تقليب الأمور قبل عملية القطع والفصل وهو قرار تنفيذ وليس قرار تدبير .

وتحلينا لفظة (فتبينوا) عند سماعها في سياق مقارب إلى الآية الكريمة ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ والتبين هنا بمعنى التحقق والتأكد من صحة الأخبار ، والإشارات الربانية العظيمة في هذه الآية تعطينا دروسا عميقة تتعلق بأهمية التروي قبل الحكم على الأمور أو تنميطها بكيفيات لا تساعد على اتخاذ القرار المناسب .

في العلاقات البينية تجد معظم الخلافات والخصومات تقوم على أساس الظن والوهم من زاوية نظر خاصة بأصحابها وليس على أساس الفهم والمصارحة الهادئة وأحيانا تبلغ



قوافل البدو أمام سدة المكلا عام ١٩٤٦م

<http://elamir.net>



حضر موت - استخراج الماء من البئر



مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

Hadhramaut Centre for Historical Studies
Documentation and Publication.

من إصدارات المركز

